أولو العزم من الرسل

في القرآن الكريم

دكتور

طه وادي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

مكتبة مصر

٣ ش كامل صدقي - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

تقديم .. و .. تنويه

د. محمد نبيل غنايم

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين ، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أخى القارئ :

بين يديك كتاب قيم فى موضوعه ومضمونه ، وشكله وأسلوبه ، ذلك أن موضوعه ومضمونه خير أنبياء الله ورسله ، وهم أولو العزم من الرسل : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم وعلى سائر المرسلين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولأن كاتبه عالم أصيل ، وأديب مبدع ، وحافظ متقن ، فجاء أسلوبه وصياغته فى نظم جميل وأسلوب بديع .

وبين يديك كتاب متفرد فى بابه ، جديد فى عرضه وطريقته ، فمع أنه فى قصص الرسل وسيرة النبى ﷺ ، والمؤلفات فى ذلك كثيرة قديما وحديثا .. إلا أنه تفرد فى ذلك من عدة وجوه :

فقد جعل القرآن الكريم مصدرا أساسيا لجميع ما كتب عن هؤلاء المرسلين الخمسة ، حيث قام بجمع الآيات التى تتحدث عن كل منهم ، وأحصاها بدقة ، وقدم جداول لها ، ثم انطلق منها يقدم الأفكار والمسائل ، ويتناول النشأة والتطور ، والرسالة والقوم ، والنتيجة والنهاية . ولا غرو فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى وتنزيله المبين ، وهو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم استعان فى ذلك بالأضواء اللامعة من السنة النبوية المطهرة ، وأقوال الصحابة والتابعين وبعض المفسرين وكتاب التاريخ والسيرة ، فجاءت المعلومات موثقة من كل الجهات ، وعلى رأسها أعظم الوثائق القرآن الكريم .

كذلك فإن المؤلف ـ د . طه وادى ـ لم يقدم تاريخ هؤلاء العظماء من الأنبياء سردا تاريخيا ـ كما فعلت كتب التاريخ والسير ، لكنه اعتمد على المواقف المهمة يعرضها ، ويستشف منها المغزى التربوى ، والآثار الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية، معتمدا فى ذلك على الدلالات اللغوية والنحوية والإيحاءات والصور البلاغية لآيات الذكر الحكيم .

والمؤلف .. يعرض كل ذلك بأسلوب الأديب المتذوق ، الذى يجمع بين الرقة والعذوبة ، ويبعدك عن السرد والملل ، فتحس كأنك تقرأ قصيدة شعرية ، أو قصة عاطفية ، لا تريد أن تتركها حتى تصل إلى نهايتها ، إنه يصعد بك من مجموع الأحداث والمواقف إلى قمة العقدة والحبكة ، ثم يتنزل بك إلى النهاية والحل ، ولذلك فإن أسلوب د. طه وادى ـ فى هذا الكتاب القيم ـ يذكرك بأسلوب الشيخ محمد الغزالى والأستاذ خالد محمد خالد رحمهما الله .

ثم إن المؤلف بهذا الإحصاء الدقيق لما جاء فى القرآن الكريم عن هؤلاء الرسل ـ سواء فى سور مكية أو سور مدنية .. وعدد الآيات فى كل منهما ـ أضاف شيئا جديدا للقارئ ، لا يجده فى الكتب الأخرى فى هذا المجال الخاص بقصص أولى العزم من الرسل .

أخى القارئ :

بين يديك كتاب جدير بقراءتك وإعادتها عدة مرات ، فستخرج منه بفوائد عديدة ، وكلما أعدت القراءة زادت الفوائد ، فلقد سعدت بقراءته ومتابعته ، وأفدت منه كثيرا ، وكنت كلما أتيح لى الوقت للقراءة لا أريد تركه إلا للضرورة ، فهنيئا لك به ، وجزى الله مؤلفه خير الجزاء ، وجعله ذخرا له يوم الدين .. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

د. محمد نبيل غنايم
أستاذ الدراسات العليا الشرعية
بجامعتى أم القرى .. والقاهرة

خطبة الافتتاح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾

[يوسف : ٣]

الحمد لله الذى شرح صدرنا لتقديم هذا العمل الدينى الجليل .. وهو قصص أولى العزم من الرسل ، الذين أشار إليهم رب العزة ـ سبحانه ـ فى خطاب أشرف خلقه وأفضل رسله محمد ﷺ ، حتى يثبت فؤاده ، ويقوى إيمانه ، فيصبر ـ ومن آمن معه ـ على إيذاء كفار قريش ، كما صبر أولو العزم من الرسل على إيذاء شعوبهم وعداوة أقوامهم ، لأن جميع أولئك الرسل المكرمين ما ضعفوا ولا استكانوا، وظلوا ـ بفضل الله ـ صابرين .. صامدين .. مؤمنين بتأييد رب العالمين ، حتى بلغوا شريعة الله إلى الناس أجمعين . كذلك يطلب المولى ـ جل وعلا ـ من رسوله ﷺ ألا يستعجل عذاب الكفار ، لأنهم سوف يرون ما يوعدون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[الأحقاف : ٣٥]

أولو العزم من الرسل الكرام خمسة : نوح ــ إبراهيم ــ موسى ــ عيسى ــ محمد، عليهم خير الصلاة وأزكى السلام من الله وملائكته وسائر خلقه . وقد صدر الجزء الأول من هذه القصص المباركة (١٤١٦ ــ ١٩٩٦) .. وكتب الثانى فى مكة المكرمة (١٤١٧ ــ ١٩٩٧) . وقد آثرت أن أقدم الجزأين فى مجلد واحد ، لأنهما يمثلان سلسلة نورانية متكاملة الحلقات . وهذا الجهد المتواضع ، صادر من قلب خاشع ، يرجو رحمة ربه ومغفرته ، ويأمل قربه ومحبته . يقول سبحانه فى حديث قدسى : « ما تقرب عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلى حتى أحبه .. » .

اللهم .. إنا نرجو رضاك ورحمتك وقربك ومحبتك . اللهم تقبل عملنا هذا خالصا من أجل نور وجهك الكريم وبركة رسلك المقربين .

اللهم : نور بصيرتى .. واغفر خطيئتى .. وثبت حجتى .. وأجب دعوتى .. وارفع درجتى .. أنا ومن صلح من ذريتى .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين .

القاهرة فى يوم الاثنين
١٣ من رمضان ١٤٢٣
١٨ من نوفمبر ٢٠٠٢

المتوكل على الله أبو محمد
طـه بن عـمران وادى
أستاذ الأدب العربى
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

الجزء الأول

ـ نــــوح .. الرســـول الأول والأب الثــانى .

ـ إبراهيم .. أبو الأنبياء ومؤســس الكعبــة .

ـ موســى .. كليم الله ورسول بنى إســرائيل .

ـ عيســى .. كلمــة الله ورســول النصـــارى .

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾
[الفرقان : ١]

(١)

أحمد الله حمد عبد خاضع لخالقه ومولاه، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد بن عبدالله، وكل من تبعه بإحسان وو الاه .

أما بعد .. فهذه محاولة متواضعة ، أقوم بها ابتغاء مرضاة الله ــ عز وجل ــ لتقديم شرح ميسر معاصر لقصص الرسل أولى العزم المكرمين .. على هدى من آيات الذكر الحكيم . وهذا الموضوع ليس بجديد على ، ولا ببعيد عن دائرة اهتماماتى ، فقد كانت تلاوة القرآن الكريم ، والوقوف عند قصص الأنبياء.. أول درس فتح مشاعرى ، وفتق أفكارى، وشرح صدرى للعلم والتعليم . حدث ذلك فى مجالس أبى .. **الشيخ عمران بن أحمد بن عبد الرحمن وادى ــ المصرى مولدا .. العربى محتدا** . وقد درس رحمه الله فترة فى الأزهر الشريف ، لكنه لم يكمل تعليمه لأسباب عائلية ــ ذكرتها فى كتابى «الليالى» (جـ١) . وظل ذلك الرجل الطيب يحمل لقب «شيخ» إلى أن توفى . وكان يختم «القرآن الكريم» مرة ــ على الأقل ــ كل أسبوع ، ويجتمع عنده فى «مندرة الدار» ــ خاصة في ليالى شهر رمضان المباركة ــ بعض المريدين ، فيشرح لهم بعض الدروس الدينية والقصص القرآنية . كذلك ألحت على فكرة الكتابة عن قصص القرآن الكريم كلما قرأته ، وتلوت آياته الكريمة ، وتدبرت معانيه ودلالاته المعجزة . وقد أشرت إلى هذا

سريعًا فى بعْض كتاباتى ، وآخرها كتاب «فى البــدء تكــونُ الأحــلام» ــ الــذى صدرتْ طبْعتهُ الأولى سنة ١٩٩٥ .

أخيرًا .. وفقنى الله ــ سبحانه وتعالى ــ بفضل من عنده ، وأمدّنى بهدْيٍ مــن نفحاته ، لكى أتصدّى لهذا العمل الجليل ، وهو تقديم شرح / ميسّر / مختصــــر / معاصر / لقصص الرُسل الصالحين .. مستعينًا فى ذلك بوحْيٍ من مُحكــم آيــات الذكر الحكيم ــ الذى شرّفنا الله به ، وقال فى حقــه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[ص : ٢٩]**

إن القرآن الكريم دستور المسلمين للفوْز بخير الدنيا والآخرة ، لذلك قيل : « خُذْ من القرآن ما شئتَ لما شئْتَ» . وعلى هذا فقد اعتمدته مصدرًا (أولَ) لشرح أبعاد القصص القرآنى ، وتوضيح عناصر السرد القصصى ، التى وردت فى أكثر مــن موْضعٍ من سور الذكر الحكيم . وقد استعنتُ على فهم كثير من المعانى والمغــازى ببعض كتب التفسير ، وكتب قصص القرآن القديمة والحديثة علــى حَــدٍّ ســواء . بالإضافة إلى بعض الدراسات الخاصة بإعجاز القرآن وأسرار بلاغتــه ، وبعــض الكتب الخاصة بالرُسلِ ، الذين ورد ذكرهم فى هذا البحث .

أما المنهج الذى هدانى الله سبحانه إليه .. فهو منهجٌ دينى / أدبى :

اعتمدت سبيل القرآن الكريم نفسه نهجًا قويما ، أدرس من خلاله كل ما يتصــل من قريب أو بعيد بقصص أولى العزم من الرسل ، الذين اشــتملت عليــهم هــذه الدراسة وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ــ عليهم السلام . فكل حقيقة وردت فى إطار القصص مستمدةٌ فى المقام الأول من الذكر الحكيم وبهديٍ منـــه . كذلك لم أستطع أن أتخلص من بعض آلياتِ البحث الأدبى ، والدرس القصصــى ، التى شُغلت بها كثيرًا: إبداعًا ونقدًا ، وقدمت فى هذه وتلك أعمالا كثيرة .

(٢)

ما أشد حاجتنا ــ نحن البشر أجمعين ــ فى هذا العصر المادى ، وفى تلك المرحلة التى سادت فيها بعض المفاهيم الخاطئة ــ التى جعلت بعض الجماعات تمارس الإرهاب الفكرى والقتل الجسدى أحيانا باسم الدين ــ إلى أن نعود إلى المصادر النقية الأولى فى التشريع ، وهى : القرآن الكريم والسنة النبوية ، فالرسول ــ ﷺ ــ يقول فى حديث شريف «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى .. كتاب الله وسنتى** » .

كما أن تدبر قصص الأنبياء يطلعنا على الوجه المشرق للرسالات السماوية المختلفة ، ويوضح العلاقة الطيبة التى ينبغى أن تسود بين البشر أجمعين ، إذ إن جميع الناس أمام رب الناس مثل أسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، لذلك ينبغى أن نرفع شعار : « **الدين لله والوطن للجميع** » .. مدركين أنه لو شاء ربك لهدى الناس أجمعين . تلك كانت إحدى الوظائف النبيلة التى من أجلها قص الله ــ سبحانه وتعالى ــ على نبيه الكريم أخبار الرسل السابقين : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ **[هود : ١١٨ ــ ١٢٠]** .

وقد استلهم أحمد شوقى معنى الآية الكريمة الأولى فى قوله :

الدين للديان جل جلاله　　　لو شاء ربك وحد الأقواما

فالله ــ جل شأنه ــ يقص على رسوله أخبار الأنبياء السابقين ، وما حدث لهم مع شعوبهم ، حتى يقوى إيمانه ، ويطمئن نفسه ، ويثبت قلبه ، حين يعلم أن الرسل والأنبياء كافة ، قد تعرضوا لما تعرض له من الأذى والعذاب والرفض والتجاهل . وهذه القصص التى تروى الحق ، وتحكى الصدق ، فيها عبر وعظات ، وذكرى لمن آمن بما جاءت به الرسل . وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى

قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف : ١١١]

وعلى هذا فقد « امتاز قصص القرآن الكريم بسمو غاياته ، وشرف مقاصده ، وعلو مراميه . واشتمل على فصول فى الأخلاق ، مما يهذب النفوس ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب وطرقا فى التربية والتهذيب شتى ، تساق أحيانا مساق الحوار ، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار . كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم ، والشعوب وحكامهم . وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم فى الأرض ، وأقوام ضلوا فساءت حالهم ، وخربت ديارهم، ووقع عليهم العذاب والنكال ، يضرب بسيرهم المثل ، ويدعو إلى العظة والاعتبار.

كل هذا قصه الله فى قول بين ، وأسلوب حكيم ، ولفظ رائع ، وافتنان عجيب ، ليدل الناس على الخلق الكريم ، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح ، ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان ، وأقوم سبيل ، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم ، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد . »[(١)].

(٣)

لحكمة ــ لا يعلمها إلا الله ــ لم يشأ ــ سبحانه ــ أن يقص على رسوله أخبار كل الرسل والأنبياء السابقين . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر: ٧٨] .

معنى هذا أن قصص الأنبياء لم ترد كلها فى القرآن لحكمة بالغة ، يعلمها الله وحده . فما أتاكم الله فخذوه .. وما سكت عنه فدعوه ، لأنه هو العليم الخبير .

---

(١) محمد جاد المولى وآخرون : قصص الأنبياء ، ط المكتبة التجارية ، القاهرة (د.ت) .ص جـ.

كذلك شاء الله ــ سبحانه ــ أن يذكر معظم قصص الأنبياء والرسل فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، حيث لا يرد فى سياق سورة من السور إلا ما يراه اللطيف الخبير مناسبا لسياق الحال وملائما لطبيعة الموقف الذى ترد فيه . ومن المعلوم أن أبسط تعريف للبلاغة هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » . ومن المعروف أيضا أن : « لكل مقام مقال » . وكان عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) يرى أن سر الإعجاز القرآنى ، يعود إلى ما أسماه « نظرية النظم » ، وهى نظرية تتفق مع بعض الاتجاهات الحديثة والمعاصرة فى علم اللغة .. وعلم الأسلوب ، فهو يرى ــ بحق ــ أن القرآن (معجز) بالطريقة التى أنزل بها ، وبالنسق الذى ورد فيه .. « وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذى هى فيه ، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها .. »[1] .

لا نود أن نطيل فى البحث عن أسرار بلاغة القرآن الكريم ، وإنما نود القول بأن القرآن (معجز) بكل ما فيه : على مستوى الآية والسورة .. والترتيب الكلى للآيات والسور ، وبناء على هذا فسوف ندرس قصص الرسل أولى العزم .. فى السور المختلفة التى وردت فيها ، حتى نكمل عناصر القصة ، ونبرز إطار العبرة، ومغزى الحكمة الإلهية السامية .

إن الله سبحانه ــ رغم إعجاز النص القرآنى ــ جعله فى مستوى فهم البشر ، حتى يتعظوا بما فيه من آيات بالغة ، وعبر نافذة . وقد وردت آية ، كررت أربع مرات فى سورة « القمر » تأكيدا لفكرة أن الله قد يسر القرآن لمن أراد معرفة الحق ، فهل من باحث عن العظة والنجاة ؟! والآية المقصودة هى قوله تعالى:
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر : ٢٢]

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ــ ط الخانجى ــ القاهرة ــ ١٩٨٤ ــ ص ٤٠٢ ..

ومع أن الذى لا ريب فيه أن القرآن الكريم كتاب نور وعبادة ـ فى المقام الأول ـ وأنه يهدى العصاة ويزلزل الجبال الصم ، حيث يقول ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة الحشر : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر : ٢١]

المعنى المقصود ـ هنا .. والله أعلم ـ هو أن القرآن لو أنزل على جبل ، لرأيت الجبل الأصم متذللا خاضعا ومتصدعا متشققا ، أى أن ما فى القرآن من وعد ووعيد ، وزواجر وعبر ، وقصص وآيات ، تخضع الجبل والصخر .. فكيف تكون حال الإنسان صاحب السمع والبصر والقلب والعقل ؟! ولهذا فإننى لم أكتب هذا الشرح المختصر ـ من أجل غاية دينية فحسب .. أو من أجل أن يقرأه المسلمون فقط .

إن الغاية من كتابة هذا المؤلف (غاية إنسانية) نبيلة ، تهدف إلى أن تقدم دعوة عامة للبشرية جمعاء .. من أجل المحبة والإخاء ، والتسامح والصفاء .

إن القيم الروحية ـ وحدها ـ هى القادرة على أن تؤسس دعائم ثابتة للسلام بين جميع البشر فى كل زمان ومكان . كما أن المادة التى تعتمد على الثروة أو السلاح أو كثرة العدد أو ازدهار الحياة .. كل ذلك لا يكون نواة لحضارة أبدية وسلام دائم بين البشر . ولن تعرف الإنسانية طريقها إلى الكمال إلا بالعودة إلى قيم الروح ، وطهارة النفس، وطمأنينة القلب، ونزع مخالب العقل واليد واللسان.

إن هذا الكتاب يحمل دعوة للسلام فى عصر الصراع والحروب ، ورسالة للحب فى زمن الكراهية والغدر ، ورؤية لوحدة الوجود من خلال التعدد فى الفكر أو المعتقد . أيها البشر فى كل مكان وزمان : تسامحوا .. تحابوا .. اتحدوا .. كونوا عباد الله ، شركاء فى كل ما خلق الله .. فأنتم جميعا تعبدون الله ، وتسعون إلى التقارب ابتغاء مرضاة الله .. وما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط ..!!

ونأمل ـ بمشيئة من الله وفضل ـ أن يصدر هذا الكتاب الخاص بقصص الرسل والأنبياء والصالحين ـ كما وردت فى القرآن الكريم ـ فى ثلاثة أجزاء :

الأول : أولو العزم من الرسل : يتناول سيرة كل من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ــ عليهم السلام .

الثانى : محمد الرسول والرسالة : مع أن النبى الكريم ــ ﷺ ــ واحد من الرسل أولى العزم ــ فقد آثرنا أن نقدم سيرته العطرة فى جزء خاص بها وحدها .

الثالث : قصص الأنبياء والصالحين : الذين ورد ذكر بعضهم فى القرآن الكريم، حتى تكتمل الصورة العامة للقصص القرآنى . والله الموفق .. والمعين .

* * *

اللهم غير وجهك ما ابتغيت
وسوى النفع لخلقك ما نويت
وعليك رجائى ألقيت
وإليك بذلى وضعفى انتهيت

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ **[البقرة : ٢٨٦]**

اللهم علمنا ما ينفعنا .. وانفعنا بما علمتنا .. أنت مولانا .. ونعم النصير ..!!

المتوكل على الله أبو محمد
طـه بن عمران وادى

شعبان ١٤١٦ هـ
يناير ١٩٩٦

الفصل الأول

نوح .. الرسول الأول
والأب الثانى

أولو العزم من الرسل

تمهيد :

احتشدت سور القرآن الكريم بكثير من القصص الديني للرسل والأنبياء والصالحين ، لتكون في قصصهم عبرة للمتقين وهدى للمؤمنين .. ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [البقرة : ٣، ٤](١) .

والإسلام الحق يقتضى أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، لأن الإيمان (كل متكامل) ، ولا يصح أن نؤمن بقدر من عناصر الإيمان ، ونهمل قدرا آخر ، حتى لا نكون مثل الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض . ويحدد رب العزة فى محكم آياته معنى الإيمان الحق والخير الكامل فى قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝ ﴾ [البقرة : ١٧٧](٢) .

فى هذه الآيات الكريمة توضيح وتفصيل لمعنى البر .. والإيمان الحق .. والعمل الصالح ، ويعنينا منه الآن — فى هذا السياق الخاص بقصص الأنبياء — أن من علامات البر الإيمان بالرسل والأنبياء ، وألا نفرق بين أحد منهم .

فالإيمان بكل الأنبياء أحد فروض الإسلام ، ومقتضى الحال لا يقودنا إلى التعرف على تلك الشخصيات بمجرد الاسم ، وإنما يجب أن نعرف حقيقة دورهم ومعالم سيرتهم ، لأن لنا فيهم أسوة حسنة . إن الوعى بإطار السير العطرة لهؤلاء

---

(١) الغيب : الأمور الخفية التى لا تدركها الحواس .

(٢) البر : اسم جامع لكل أعمال الخير التى يرضى عنها الله سبحانه .

الأنبياء الصالحين ، يقوى مشاعر الإيمان ، ويوقظ الضمائر ، ويجعل الإنسان يدرك بعض أسرار عظمة مولاه وخالقه ، حين يعرف أن الله لا يظلم أحدا .. وأنه ـ سبحانه ـ يحاسب البشر على مثقال الذرة .. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة : ٧،٨]

إن قدرا كبيرا من أزمة البشر ومأساتهم ، تعود إلى فقدان الضمير . وهذا ما يغرس الأثرة فى النفوس ، ويجعل المرء يحل لنفسه ما لا يحل لغيره . بل إن كثيرا من البشر يحلون لأنفسهم بعض ما يحرمونه على غيرهم . فالدول الاستعمارية ـ مثلا ـ ترى أن من حقها أن تنهب ثروات الدول الضعيفة .. كما أن بعض أصحاب السلطة وأعوان السلطان يرون أن من واجبهم أن يأخذوا ـ أحيانا ـ أى شىء ، وربما كل شىء ، لأنهم يملكون القوة الغاشمة . إن بعض الناس طغاة ، لأنهم بعيدون عن حظيرة الإيمان ودوحة المحبة . لقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم .. فازدادوا طغيانا وكفرا وإذلالا لخلق الله ، غير مدركين أن الله إذا غضب على امرىء رزقه من حرام ، وإذا ازداد غضبه عليه بارك له فيه .

إن معرفة قصص الرسل والأنبياء ذات (وظيفة أخلاقية) كبرى فى حياة البشر. والتربية الروحية ـ وحدها ـ هى القادرة على نشل العالم من مستنقع الظلم والطغيان والاستبداد والعدوان .

القرآن الكريم يرشدنا إلى هذه الوظيفة التربوية ، حين يوضح فى سورة «الأعراف» أن الطريق لهداية من يكفرون بآيات الله ، ويتبعون أهواءهم ـ ويكونون مثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، أى يخرج لسانه تعبا ـ يتمثل فى تلاوة القصص عليهم ، حتى يعتبروا ويرجعوا عن جهلهم وضلالهم ، والآية الكريمة تستخدم فعل (الأمر) .. وهذا أمر حقيقى ، مطلوب الأداء، واجب التنفيذ على سبيل الاستعلاء والتعالى، لأن الأمر ـ هنا.. كما يذكر البلاغيون ـ صادر من الرب الأعلى إلى البشر الضعفاء ، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ

شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥،١٧٦][(١)] .

نظرا لأهمية هذه الغاية الأخلاقية ، وتلك الوظيفة التربوية السامية ــ التى تنجم من معرفة قصص الرسل والأنبياء والصالحين ــ وجدنا القرآن الكريم يدلنا على هذا التأثير القوى لفنون القص ، حيث يهدى بها الله من شرح قلبه إلى الإيمان ، ويرد بها من ضل عن سواء السبيل .

قصص الفرقان ــ إذن ــ ذات وظيفة تربوية جليلة .. وكانت ــ ولا تزال ــ محتفظة بها ؛ من أجل ذلك ــ وغيره ــ كثرت القصص والأمثال فى القرآن الكريم . ويمكن أن نقسم القصص القرآنى إلى نوعين كبيرين من القصص :

الأول : قصص الأنبياء والصالحين

هناك مجموعة كبيرة من الأنبياء .. وبعض الصالحين ، الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم من عصور مختلفة وأماكن متنوعة ، وقد وردت قصصهم ــ مطولة أو مختصرة ــ حتى يكثر المولى عز وجل لعباده من ضرب الأمثال ، التى تهدى العصاة ، وتثبت إيمان المسلمين . وكأن الله ــ سبحانه ــ يريد أن يقول لعباده .. إن كل ما تفعلونه من خير أو شر ، قد حدث لأمم سابقة ، أرسل الله لهم من يهديهم إلى الطريق المستقيم ، لأن الله لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل رسولا . فمن شاء ــ بعدئذ ــ فليؤمن ومن شاء فليكفر . وهنا تتجلى للمولى سبحانه وتعالى صفة (العدل) ، لأنه لا يعاقب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم من يعرفهم طريق الحق والخير، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء : ١٥][(٢)] .

---

(١) لرفعناه : رفعنا منزلته وقدره ــ أخلد إلى الأرض : كناية عن الميل إلى البقاء فى الحضيض ، لأنه اتبع هواه .

(٢) تزر : تتحمل ــ وازرة : مذنبة (اسم فاعل من الفعل وزر) .

وفى سياق القصص الذى ضربه الله ــ فى القرآن الكريم ــ للعظة والعبرة والتفكير ، تأتى أسماء كثير من الأنبياء والصالحين ــ الذين ورد ذكر بعضهم ــ أيضا ــ فى بعض أسفار الكتاب المقدس : العهد القديم والعهد الجديد ــ مثل :

آدم ــ إدريس ــ هود ــ صالح ــ لوط ــ إسماعيل ــ إسحاق ــ يعقوب ــ يوسف ــ شعيب ــ داود ــ هارون ــ سليمان ــ زكريا ــ يحيى ــ لقمان ــ أيوب ــ الخضر ــ إلياس ــ إليسع ــ يس ــ ذو الكفل ــ يونس ــ السيدة مريم ــ طالوت ــ امرأة فرعون ــ أصحاب الكهف .. وغيرهم .

وهناك قدر من الاختلاف فى التفاصيل بين هذه القصص فى القرآن الكريم ، وفى الكتاب المقدس .. ليس هنا مجال لذكره ، لأن دراستنا سوف تهتم بالصورة القصصية ــ كما وردت فى القرآن الكريم فحسب .

الآخر : الرسل أولو العزم

هناك مجموعة أخرى من الرسل ، ورد ذكرهم فى القرآن فى أماكن متعددة ، ورويت قصصهم ــ فى أكثر من سورة ــ بقدر من التوسع والتفصيل ، لأنهم كانوا ذوى مكانة دينية سامية ، وقدموا كثيرا من التضحيات ، وتحملوا ألوانا من العذاب والاضطهاد ، حتى بلغوا رسالات ربهم ، لذلك يصفهم المولى ــ عز وجل ــ بأنهم « أولو العزم من الرسل » فى سورة « الأحقاف » ، حيث يقول مخاطبا رسوله محمدا ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **[الأحقاف : ٣٥]**

هؤلاء الرسل العظام الخمسة .. هم :

نوح ــ إبراهيم ــ موسى ــ عيسى ــ محمد .. عليهم السلام .

هؤلاء الرسل أولو العزم ــ أصحاب الرسالات الكبرى والبطولات العظمى ــ هم الذين سوف نتوقف عندهم فى البداية .. آملين أن نعود للقسم الأول فى المستقبل بإذن الله ــ إن كان فى العمر بقية . والله الموفق إلى أهدى سبيل .. وهو نعم المولى ، ونعم الوكيل ..!

قصة نوح .. عليه السلام

الموضع والدلالة :

قصة نوح ــ عليه السلام ــ وردت فى (ثمانية وعشرين) موضعا من القــرآن الكريم . وذلك يدل على ما لها من أهمية كبرى فى حياة البشــرية ، وأنــها درس عظيم من دروس الهداية والعظة . والقرآن نفسه يشير بوضوح إلى دوره العظيــم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٦][(١)] .

تلك إشارة صريحة من المولى ــ عز وجل ــ إلى مكانة ســيدنا نــوح عليــه السلام، إذ إنه « أول رسول » من أولى العزم النبيل وأصحاب المكانة الســامية . وقد كفر به وآذاه ــ ماديا ومعنويا ــ أهله وعشيرته ، حيث خرج عن طاعته أحــد أولاده .. وزوجه . لكنه على الرغم من ذلك ظل قوى الإيمان صامد العزيمــة .. خاصة وأنه قد طال عمره قبل الطوفان وبعده ، حيث لبث فى قومه ألف ســنة إلا خمسين عاما ، أى أنه عاش يدعو إلى الله ما يقرب مــن تسـعمائة ســنة ، لذلــك يضرب به المثل فى .. طول العمر ، والقدم .

مثلما كان نوح أول رسول يبلغ رسالة ربه إلى قومه ، فإنه يعد أيضــا « الأب الثانى» للبشرية ــ بعد أبينا آدم عليه السلام . وقد عذب الله قوم نــوح بــالغرق ، حيث أهلكهم بطوفان عرم .. ولم ينج من البشر إلا من كان معه على الفلك . (التى يكنى عنها القرآن بقوله «ذات ألواح ودسر» ، أى أنها مصنوعــة مــن الخشــب والمسامير) .

معنى هذا أن الذين عمروا الأرض بعد الطوفان .. هم قوم نوح ، سواء أكــانوا من صلبه وهم أبناؤه: سام وحام ويافث، أم من الذين اتبعوه من المؤمنين برسالته.

فأولئك وهؤلاء جميعا .. أبناؤه بالدلالة المعنوية للبنوة .. وهم الذين جعلــهم الله (خلائف) فى الأرض بعد أن أغرق الذين كذبوا بآياته ، وعصوا رسوله .

---

(١) منهم : من ذرية نوح وإبراهيم .

مواضع القصة

نقدم ــ فى البداية ــ (ثبتا) بالمواضع ، التى ورد فيها ذكر قصة نــوح ــ فــى القرآن الكريم ــ وهى كما يلى[1] :

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	آل عمران	٣	مدنية	٣٣	١
٢	النساء	٤	مدنية	١٦٣	١
٣	الأنعام	٦	مكية	٨٤	١
٤	الأعراف	٧	مكية	٥٩ ــ ٦٤	٧
٥	التوبة	٩	مدنية	٧٠	١
٦	يونس	١٠	مكية	٧١ ــ ٧٣	٣
٧	هود	١١	مكية	٢٥ ــ ٤٨	٢٤
٨	إبراهيم	١٤	مكية	٩	١
٩	الإسراء	١٧	مكية	٣ ، ١٧	٢
١٠	مريم	١٩	مكية	٥٨	١
١١	الأنبياء	٢١	مكية	٧٥ ــ ٧٦	٢
١٢	الحج	٢٢	مدنية	٤٢	١
١٣	المؤمنون	٢٣	مكية	٢٣ ــ ٣٠	٨
١٤	الفرقان	٢٥	مكية	٣٧	١
١٥	الشعراء	٢٦	مكية	١٠٥ ــ ١٢٢	١٨
١٦	العنكبوت	٢٩	مكية	١٤ ــ ١٥	٢
١٧	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١٨	الصافات	٣٧	مكية	٧٥ ــ ٨٢	٨
١٩	ص	٣٨	مكية	١٢	١
٢٠	المؤمن (غافر)	٤٠	مكية	٥ ــ ٣١	٢

(١) استعنا فى هذا الإحصاء ببعض ما ورد فى كتاب : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبيـــاء ، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الثالثة ــ ١٩٨٦ ــ ص ٥٤ ، واستدركنا بعض ما فاته فى هذا المجال .

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
٢١	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٢	ق	٥٠	مكية	١٢	١
٢٣	الذاريات	٥١	مكية	٤٦	١
٢٤	النجم	٥٣	مكية	٥٢	١
٢٥	القمر	٥٤	مكية	٩ ــ ١٧	٩
٢٦	الحديد	٥٧	مدنية	٢٦	١
٢٧	التحريم	٦٦	مدنية	١٠	١
٢٨	نوح	٧١	مكية	١ ــ ٢٨	٢٨
				٢٨ ــ موضعا	١٢٩ ــ آية

من الثبت السابق تتضح الحقائق التالية :

١ ــ ورد ذكر نوح فى القرآن فى (٢٨) موضعا ، تشتمل على (١٢٩) آيــة .. وهذا يؤكد مدى عناية القرآن الكريم بنوح وبقصته : لما له من دور دينى عظيـم .. ولما لسيرته العطرة من حكم ودروس واعظة ، لذلك كان من المصطفين الأخيار .. ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٣ ، ٣٤] .

٢ ــ إن نوحا وقصته قد وردا فى واحد وعشرين موضعــا أو «ســورة» مــن السور (المكية) .. والآيات التى تقص قصته بلغ عددهــا : (١٢٢) مائــة واثنتيــن وعشرين آية ، معنى هذا أن قصة كفاح نوح الرسول مع قومه قصـــها الله ــ فــى مكة ــ على نبيه محمد ، لكى يثبت فؤاده ، ويوضح أن ما يلقاه من عناد وتكذيب ، وإعراض وتعذيب ، قد تعرض له من كانوا قبله من الرسل . كما كان ذكر القصــة مهما بالنسبة للمؤمنين ، حتى يزدادوا إيمانا مع إيمانهم . وهو مـــهم ــ أيضــا ــ بالنسبة للكافرين ، حتى يعتبروا ويرجعوا عن ضلالهم ، إذا عرفوا عاقبة من قبلــهم من المكذبين الضالين .

وهذا واضح من قوله تعالى فى سورة « يونس » .. وهى مكية :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس : ٧١ ــ ٧٣][1] .

٣ ــ نظرا لأن معظم عناصر سيرة نوح قد وردت بالتفصيل فى سور (العهد المكى) أثناء وجود الرسول ﷺ فى مكة المكرمة ، قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، فلم يكن ثمة داع للحديث عنها مرة أخرى فى السور المدنية ــ التى أنزلت على الرسول أثناء إقامته بالمدينة . وما ورد من ذكر نوح كان مجرد إشارة عابرة ، لذلك نجد ذكره فى كل سورة من السور المدنية لا يزيد عن (آية) واحدة . وعلى هذا فقد تحولت القصة المفصلة فى سور العهد المكى إلى مجرد (مثل عابر) فى آيات العهد المدنى ــ كما نجد فى تلك الآية الكريمة ــ على سبيل المثال ــ فى هذه السورة المدنية :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم : ١٠] .

من هنا وجدنا أن ذكر نوح عليه السلام ، قد ورد فى العهد المدنى فى (٧) سبعة مواضع .. وكل موضع يتكون من آية واحدة ــ فى الغالب .

الجدول التالى يوضح نسبة المواضع والآيات ، كما وردت فى المرحلتين المكية والمدنية :

---

(١) كبر مقامى : صعب عليكم وجودى بينكم ــ اجمعوا : احزموا . غمة : خفاء ــ اقضوا إلى : أخبرونى ــ تنظرون : تنتظرون وتتأخرون ــ الفلك : السفينة ــ خلائف : ورثة ، يخلفون من قبلهم .

العهد	الموضع	الآيات	النسبة
المكى	٢١	١٢٢	٩٤,٥%
المدنى	٧	٧	٥,٥%
المجموع	٢٩	١٢٩	١٠٠%

٤ ـ إن هناك سبعة (٧) مواضع مطولة .. أو شبه مطولة ـ وردت فيها قصة نوح مع قومه ـ بيانها كالتالى :

مسلسل	السورة	رقم الآيات	عددها
١	نوح	١ ـ ٢٨	٢٨
٢	هود	٢٥ ـ ٤٨	٢٤
٣	الشعراء	١٠٥ ـ ١٢٢	١٨
٤	القمر	٩ ـ ١٧	٩
٥	المؤمنون	٢٣ ـ ٣٠	٨
٦	الصافات	٧٥ ـ ٨٢	٨
٧	الأعراف	٥٩ ـ ٦٤	٧
---	٧	---	١٠٢ ـ آية

هذه المواضع المطولة .. وشبه المطولة ـ فيها قدر من التشابه والتقارب والتكامل فى الإطار العام لعناصر بناء القصة .. أو لبعض تفاصيلها الجزئية ، لأن الله جلت قدرته ، وتعالت مشيئته أراد ـ وهو تعالى أعلم ، وأعز وأكرم ـ أن يوضح لعباده المؤمنين عدة أمور :

الأول : تأكيد (وحدة النص القرآنى) .. وأن ما يرد مجملا فى موضع ، يأتى مفصلا فى موضع آخر ، فالقرآن يفسر بعضه بعضا ، وتشرح آياته الكريمة بعضها بعضا . وهنا يتم ما يسمى **بالتفسير (الداخلى) للنص المقدس** . وهذا وجه من وجوه (إعجاز) القرآن الكريم ، الذى لا تحصى أسرار بلاغته ، أو تعد مجالات

إعجازه . يروى أن الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن قال عنه : « والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو ، وما يعلى عليه . فقال له أبو جهل : إن هذا لا يرضى الكفار من قومك الذين أنت واحد منهم . فقال له الوليد : دعني أفكر . فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه ؟ » . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر : ١٨ ــ ٢٤](١) .

الثانى : إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ كان يختار من قصص رسله وأنبيائه ما يلائم (الموقف) النفسى للرسول والذين آمنوا معه ، فكان ــ جل وعلا ــ يقدم جزءا من القصة ، يناسب طبيعة الحالة التى كانوا عليها ، لذلك فإن الوعى بمناسبات النزول أمر مهم ــ بل أمر واجب ، من أجل الفهم الكامل لآيات الذكر الحكيم .. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، حتى يقدم المولى لعباده أكثر من عبرة من خلال قصة واحدة .. وبهذا يصدق قوله جل من قائل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٧](٢) .

الثالث : إن عناية الذكر الحكيم بقصة سيدنا نوح ــ عليه السلام ــ بهذا الشكل المفصل فى مواضع عدة ، يوضح مدى الجهد والجهاد ، اللذين بذلهما هذا الرسول الكريم ــ على المستويين : النفسى والمادى ــ من أجل إعلاء كلمة الله ونشر عبادته بين قوم مشركين ، خاصة أنه أول رسول من ذرية آدم ــ عليهما السلام . ومن المعروف أن الفترة التاريخية بينهما كانت طويلة إلى حد ما . وهذا ما جعل قوم نوح يعبدون الأصنام ، ويصرون على الكفر وعصيان الرسول . وإصرارهم على الكفر ــ هو الذى جعل الله يبيدهم بالطوفان جزاء كفرهم

---

(١) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن ، ط دار المعارف ، القاهرة ــ الثامنة ــ ١٩٧٥ ــ ص ١٣ .

(٢) فصلنا : وضحنا دلائل القدرة والرحمة .

وعصيانهم ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . هذا ما يظهر جليا من آيات سورة «الأعراف» المكية ، التي يقول فيها سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ـ ٦٤][(١)] .

فتلك الآيات الكريمة تقص سيرة نوح مع قومه ، لكنها ـ فى الوقت نفسه ـ موجهة إلى الرسول ﷺ ، حتى يصبر على ما يلقى من نكران وعصيان . وهذه إحدى وظائف القص النبيلة فى الذكر الحكيم .

---

(١) الملأ : أهل الصدارة والزعامة ـ ضلال : بعد عن الحق والصواب ـ ضلالة : جهالة ـ رسالات ربى : أوامره ونواهيه ـ عامين : غير مبصرين للحق (عمى معنوى) .

فى ضوء الآيات القرآنية

سنورد فى هذا الجزء (نص) الآيات الكريمة ، التى وردت فيها قصة نوح ـ عليه السلام ـ بشكل مفصل أو مجمل ، لأن بعضها يذكر قصة ذلك النبى الكريم وما حدث له مع قومه قبل الطوفان وبعده . والقسم الآخر فيه إشارة سريعة إلى ذكر نوح الرسول وقومه فى معرض الحديث عن الرسل والأنبياء الآخرين .. وعلى هذا فإن **الترتيب قائم على أساس كثرة عدد الآيات الكريمة** ، التى ورد فيها ذكر سيرة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه .

القسم الأول : مواضع القصة

أولا : سورة نوح

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا۟

لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

[نوح : ١ ــ ٢٨]

ثانيا : سورة هود

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ

مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [هود : ٢٥ ـ ٤٨] .

ثالثا : سورة الشعراء

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ

وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلۡمِى بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ۝ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِى كَذَّبُونِ ۝ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِى وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ [الشعراء : ١٠٥ ـ ١٢٢]

رابعا : سورة القمر

﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٌ وَٱزۡدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغۡلُوبٌ فَٱنتَصِرۡ ۝ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنۡهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونًا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٍ قَدۡ قُدِرَ ۝ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجۡرِى بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾ [القمر : ٩ ـ ١٧]

خامسا : سورة المؤمنون

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ ۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى

ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون : ٢٣ ـ ٢٩] .

سادسا : سورة الصافات

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات : ٧٥ ـ ٨٢] .

سابعا : سورة الأعراف

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ـ ٦٤] .

ثامنا : سورة يونس

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ

أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس : ٧١ ـ ٧٣] .

تاسعا : سورة الأنبياء

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ، ٧٧] .

عاشرا : سورة العنكبوت

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت : ١٤ ، ١٥] .

حادى عشر : سورة غافـر

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾
[غافر : ٥]

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾
[غافر : ٣١]

ثانى عشر : سورة التحريم

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم : ١٠] .

القسم الثانى : مواضع تتصل بالتمثيل والموازنة

١ ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[آل عمران : ٣٣]

٢ ـ ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ..... ﴾

[النساء : ١٦٣]

٣ ـ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾

[الأنعام : ٨٤]

٤ ـ ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة : ٧٠]

٥ ـ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

[إبراهيم : ٩]

٦ ـ ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٣]

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧]

٧ ــ ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ .... ﴾ [مريم : ٥٨]

٨ ــ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحج:٤٢]

٩ ــ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الفرقان : ٣٧]

١٠ ــ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧]

١١ ــ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ [ص : ١٢]

١٢ ــ ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

[الشورى : ١٣]

١٣ ــ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ [ق : ١٢]

١٤ ــ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٤٦]

١٥ ــ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النجم : ٥٢]

١٦ ــ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد : ٢٦]

الإطارُ .. والمغْزَى

إن من يقرأ فى بعض كتب قصصِ الأنبياء[1] .. يجد تفاصيل كثيرة ، لا حاجة لها فى فهم الإطار العام للقصة ـ كما ذكرها القرآن الكريم . ولا ريب أن القرآن الكريم كان يقصد إلى أهداف محددة ، لذلك قصر عناصر القصّ على ما ذكر فحسب ، حتى تتضح ـ مباشرة ـ المغازى الجليلة الأولى بالرعاية فى هذه القصص . والمولى سبحانه وتعالى يشير إلى ذلك فى قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١][2] .

ويبدو أن بعض كتَّاب قصص القرآن استعانوا فى شرحهم لهذه القصص ببعض ما ورد فى « الكتاب المقدس» .. خاصة « التوراة » ، وفتحوا الباب لدخول ما يسمى بـ «الإسرائيليات» . ومعظم ما جاءوا به من تفاصيل وإضافات ليستْ لها كبير أهمية فى فهم القصص الدينى ، أو إظهار غاية معينة يهدف إليها القرآن الكريم ، حين وَصفَ قصص الأنبياء بـ « أحسن القصص » ، لأنها تقوم على بلاغة (الإيجاز) ، لأن الإعجاز فى التعبير يأتى ـ غالبًا ـ عن طريق أسلوب الإيجاز . فنجد ـ مثلا ـ الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى (٧٠٠ ـ ٧٧٤ هـ) يتوقف فى بداية القصة ، ليكمل سلسلة النسب بين نوح وآدم .. كما يحاول أن يحدد الفترة الزمنية بينهما بالسنين

---

(١) يراجع على سبيل المثال :

ـ أبو إسحاق النيسابورى الثعلبى : قصص الأنبياء المعروف بعروس المجالس ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٥ ـ ص ٥٤ ـ ٦٠ .

ـ الحافظ إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء ، ط مطبعة الأنوار المحمدية ـ القاهرة ـ (د . ت) ص ٦٤ ـ ٦٧ .

ـ الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، ط دار الفكر العربى ، القاهرة (د. ت) جـ ١ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ـ ص ٥٣ ـ ٧٧ .

(٢) قصصهم : أى قصص الرسل والأنبياء ـ عبرة : عظة وحكمة .

والقرون.. وتحديد عمر نوح الزمنى يوم بعث بالرسالة : « فقيل كان ابن خمسين سنة ، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين ، وقيل ابن أربعمائة وثمانين ، حكاها ابن جرير (الطبرى) ، وعزا الثالثة إلى ابن عباس »[1] .

هذه التفاصيل ــ وكثير أمثالها ــ ليست لها أهمية فى فهم المغزى المراد من القصص القرآنى . فالأمر (المسكوت عنه) مُغيَّبٌ لحكمةٍ بالغة ، يعلمها الله وبعض الراسخين فى العلم . على هذا سنحاول من خلال النصوص القرآنية أن نوضح ــ باختصار ــ الإطار العام لقصة نوح عليه السلام ، وبعض ما تدل عليه من المواعظ والمغازى .

نوح ــ عليه السلام ــ يُعد أول رسول ــ من أولى العزم ــ بُعث إلى أهل الأرض بنص القرآن نفسه ، إذ قال لقومه ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الشعراء : ١٠٧] . وكل الأنبياء من ذريته ، بل إن البشر كلهم من ذريته وذرية من اتبعوه من المؤمنين ، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الصافات : ٧٧] . كما أنه كان كثير العبادة والصيام والشكر لله بالنية والقول والفعل ، لذلك يقول عنه القرآن ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٣] ، أى أن نوحا كان يتميز بأمرين : طُول العمر وحُسْن العمل ، ولعل طول عمره كان (معجزة) فى حد ذاته ، لأنه لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا[2] .

وقد ضل قوم نوح الطريق إلى عبادة الله بسبب طول الفترة الزمنية بين آدم ونوح ، **وعبدوا مجموعة من الأصنام ، ذكرت أسماؤها فى مجال الحوار بين نوح** وقومه بعد أن دعاهم إلى الإيمان فلم يستجيبوا : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾

[نوح : ٢١ــ٢٣]

---

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ــ ص ٦٥ .

(٢) السنة والعام بمعنى واحد تقريبا ، وقد ذكرت الكلمتان لتجنب التكرار اللفظى .

لقى نوح من قومه أصنافا من العناد والكبر والإيذاء ، واتهموه بالجنون ، ورأوا أن الذين اتبعوه هم أراذل الناس ، وطلبوا منه أن يتخلى عن المؤمنين ، وإلا رجموه بالحجارة . وقد تربصوا به وبالمؤمنين معه ، وأذاقوهم ألوانا من العذاب والاستهزاء . وإذا ما أدركنا أن نوحا ــ عليه السلام ــ قد لبثَ في قومه قبل الطوفان فترةً طويلة من الزمان ، لعلمنا مدى ما تحمله من سفهاء قومه من العذاب واللجاج فى الخصومة والعداوة ، لذلك دعا ربه وهو مغلوب ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝ ﴾ [نوح : ٥ ــ ١٢] .

كان نوح فى دعوته لهداية قومه ، يُعدد لهم بعض مظاهر نِعم الخالق ــ سبحانه، ويوضح لهم ــ بالحكمة والمنطق ــ آياتِ الله وشواهدَ عظمته فى الكون وفى أنفسهم ــ بالإضافة إلى ما سوف يلقونه من نعيم مقيم فى الآخرة ، ومن ثم أخذَ يجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة ــ كما تذكر الآيات الكريمة : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ ﴾ [نوح : ١٣ ــ ٢٠] .

رغم ذلك كذبوه وعذبوه .. وطال صبره وصبر من آمن معه . تلك هى المأساة المحزنة .. والمفارقة المبكية : إنه يريد لقومه النجاة فى الدنيا والآخرة ، ويتمنى أن يخرجهم من ظلام الكفر وعبادة الأوثان ، إلى نور الإيمان وعبادة الرحمن . لكنهم كفروا به وسخروا منه ، واتهموه بالجنون : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا

سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المؤمنون : ٢٤ ، ٢٥][1] .

وبسبب من العناد والظلم والضلال ضاق بقومه ، لذلك فإنه دعا عليهم ..

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح : ٢٥ ، ٢٦][2] .

حين استغاث نوح بربه استجاب لدعائه ، فنصر رسوله ومن آمن معه ، وأهلك من كفر به ، هكذا تتجلى صفة (العدل) بأسمى معانيها ، لقد أنذر الله الكافرين .. لكنهم لم يهتدوا .. ولم يكفوا عن إيذاء الرسول والمؤمنين ، فحق عليهم العذاب :

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات : ٧٥ ، ٧٦]

وقد نجا من ذلك الكرب العظيم والعذاب الأليم بأن أمره الله أن يصنع سفينة كبيرة من الخشب والمسامير ، حتى إذا جاء وعد ربك « وفار التنور » ، حمل فيها نوح كل من آمن به : من أهله ومن قومه . كما حمل أيضا من الطيور والدواب زوجين: ذكرا وأنثى ، حتى تعمر الأرض بعد الطوفان .

هنا تظهر المعجزة الباهرة والآية الساطعة التى أيد بها المولى عز وجل رسوله نوحا عليه السلام ــ الذى كان يعيش وقومه فى شمال العراق ــ تلك المعجزة .. هى إلهام الله إياه ليصنع سفينة ضخمة ذات ألواح ودسر ــ أى مصنوعة من الخشب والمسامير ــ تتسع لركوب المؤمنين بها ، وحمل بعض الكائنات التى تساعد البشر على الحياة : ويكون من كل منها زوجان : ذكر وأنثى ، حتى تعمر الأرض وتكمل مسيرة الحياة .

حتى تبرز معجزة نوح ــ وتقوم بدورها ، وتظهر صدق دعوته ــ أرسل الله الطوفان العرم بمشيئته وقدرته ، لكى ينقذ المؤمنين بنوح ، ويهلك العصاة حتى لو كانوا من أهل بيته . وقد صدر الأمر الإلهى الحكيم بظهور الطوفان عندما « فار

---

(١) جنة : جنون .
(٢) تذر : تبقى ــ ديارا : أحدا يدور على الأرض .

التنور » ، والمقصود بذلك عند جمهور المفسّرين [فاضَ] وجهُ الأرض ، أىْ نبعت الأرض (الماء) من سائر أرجائها ، حتى نبعت (من) التنانير (الأفران) التى هى مجال النار..» [1] .

وتأييدُ الله له بصُنع السفينة وفيضان الطوفان يؤكدان أن الربّ الخالق العظيم رءوف رحيم بالمؤمنين ، ومنتقم شديدُ العقاب بالنسبة للعصاة والكافرين .

يذهب بعض الشراح والمفسّرين إلى أن نوحا حمل معه ــ فى السفينة ــ من أبنائه الذكور ثلاثة ، هم : سام ــ حام ــ يافث .. وترك ابنه العاصى كنعان ، وزوجته الخائنة ، فغرقا مع غيرهم من المغْرقين الكافرين . ويرون أيضًا أن الابن العاصى كان من هذه الزوجة الخائنة[2] ــ والله تعالى أعلم .

والآيات التى تصور موقف نوح من ابنه ، وردت فى سورة «هود» .. وهى :
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود : ٤٠ ــ ٤٣][3] .

تلك حكمة بالغة من حكم ربنا سبحانه وتعالى فى هذه القصة الدينية الخالدة ، وهى : إن الخيانة وعدم الطاعة قد تأتيان من الزوج .. أو من الولد . فهذا هو الرسولُ الأمين نوح قد خرج عن طوْعِه ابنُه وزوجُه .. وذلك لا يقلل من شأن نوح عليه السلام ، ولا يشفع لمن كفر من أهله ، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى ، لذلك

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ــ جـ١ ، ص ١١ .

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٦٣ .

(٣) مجراها ومرساها : مسيرها ووقوفها ــ يعصم : يحمى وينقذ ــ حال : منع وفصل .

يحذرنا الله سبحانه ــ فى محكم تنزيله ــ قائلاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن : ١٤] .

وقد صدقَ الله وعدَه .. فنجى نوحا والذين آمنوا معه ، وأغرق الكاذبين الكافرين ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس : ٧٣] .

أهمُّ عناصر القصة

يمكنُ أن نُجمل قصة نوح ــ عليه السلام ــ كما وردتْ فى القرآن الكريم أثناء العهد المكى ، حتى تتضحَ من خلال القصة الأهداف النبيلة والحِكم البالغة ، التى أراد ربُّ العزة ــ سبحانه وتعالى ــ أن يبيِّنها لرسوله الكريم محمد بن عبد الله ــ ﷺ ــ وللمسلمين من بعده فيما يلى :

نوح .. الرسول الأمين : أول رسول يُبعث من ذرية آدم . ويبدو أن طول المدة الزمنية بينهما هى التى جعلت قومَ نوح يعبدون مجموعةً من الأصنام ، ورد ذكرها فى سياق القصة ، وهى : ودّ ــ سواع ــ يغوث ــ يعوق ــ نسر . فأرسل الله نوحًا ليخرجهم من الظلمات إلى النور .. لكنهم كذّبوه :

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح : ٢١ ــ ٢٣] .

وقد صبر نوح على قومه ــ والصبرُ .. صفةٌ من صفات نوح عليه السلام ــ وأخذ يدعوهم ليلا ونهارا ، سرًّا وجهارا ، لكنهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوه ، ووضعوا ثيابهم على رؤوسهم حتى لا يروه ــ رغم أنه كان يقيمُ دعوته على البراهين الساطعة ، التى تبين قدرة الخالق سبحانه فى خلقه .. وأنه بالتالى يكون ــ وحده ــ الجدير بالعبادة والإيمان .

لكن سفهاءَ قومه استكثروا أن تأتيهم الهداية من رجل منهم . وقالوا : إذا كان الله يريد أن يهديهم فلم لم يبعث لهم ملكا رسولاً ؟!

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المؤمنون : ٢٤ ـ ٢٥] .

اتهم قوم نوح رسولهم بالجنون ، وادعوا أن الذين اتبعوه هم الأراذل والسفهاء .. ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون :

﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الشعراء : ١١١ ـ ١١٥] .

اشتد إيذاء قومُ نوح له ولمن آمن معه .. وما آمن معه إلا قليلٌ منهم . وطال صبرُ نوح على قومه ـ رغم أنه لا يسألهم أجرًا نظير دعوته . لكن أجره على الله الذى أمره أن يكون من المسلمين . هنا ينبغى أن نؤكد **أن الأديانَ كلها (رسالةٌ واحدة) .. رغم اختلافِ الرسل والأنبياء ، لأن الدين عند الله الإسلام ؛ أى أنْ يُسلِّم البشرُ لله بالوحدانية والعبادة .. وأنه وحده لا شريك له .. واحد أحد ، ليس له كفوًا أحد :**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود : ٢٥ ـ ٢٦]

اشتدَّ الإيذاء وطال أمد العصيان من قوم نوح ، وسخروا به وبمن معه ، فضاق صدره ، ونفد صبره من كثرة التعذيب والسخرية ، فدعا ربه وطلب منه أن ينصره على أعدائه الذين آذوه وكفروا برسالته :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح : ٢٦ ـ ٢٧] .

فأمر اللهُ رسوله أن يصنع سفينةً كبيرة ـــ يبدو أن نوحا كان مثل بعض قومه يُحسن النجارة صُنعًا . فكان سفهاءُ القوم كلما مرّوا به سخروا منه .. ومن أتباعه ، بعد أن خُفى عليهم مقام هؤلاء المؤمنين الفقراء عند ربهم .

والعجيبُ فى أمر هؤلاء الضالين أنهم هم الذين استعجلوا غضب الله عليهم وانتقامه منهم :

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود : ٣٢] .

وحين جاء الوعد الحق نزل المطر من السماء ، وفاضت المياه من الأرض ، واستوت السفينة على الجودى (الماء الغزير) ، وحمل نوح فيها أكثر أهله وكل أنصاره وبعض الكائنات الحية التى تُعين الذين ينجون من الطوفان على المعيشة وإعمار الكون : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود : ٤٠]

أمر آخر عجيب .. ورد فى سياق قصة نوح عليه السلام : هو أنه كان من بين العصاة المكذّبين : زوجه وأحد أبنائه . وهذا ابتلاءٌ من الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لواحدٍ من خيْر رُسله أولى العزم ، لكى يأخذ الناسُ ـــ فى كل زمان .. ومكان ـــ من الحديث مغزى ومن القصة عبرة ، وأن الخيانة أمر طبيعى فى تكوين البشر ، وأنها ـــ أىْ الخيانة ـــ غير مستبعدة حتى من الزوجة شريكة الحياة ، التى ينبغى أن تكون لزوجها سكنًا ورحمة وعفة وأمانة .. كما أنها يمكن أن تصدر من الأبناء الذين يجب أن يكونوا للآباء أوفياء صادقين مخلصين . لكن الله ـــ سبحانه ـــ يضربُ الأمثالَ للناس لعلهم يتفكّرون .

أخيرًا .. كانت الخاتمة المشرقة : انتصر الإيمانُ والمؤمنون ، وخذل الله الشركَ والمشركين ، الذين كذّبوا بآيات ربهم ، وعصوْا رسوله الأمين . فبعد أن أهلك الطوفان الكافرين بمن فيهم : زوج نوح وولده ، أمر الله السماءَ والأرض أن تتوقفا.

ورست السفينة بسلام .. ونجا نوح ومن آمن معه .. وهؤلاء المؤمنون هم الذيـــن عمَّروا الكون .. واستمرت ذريتهم تحمل مسيرة البشر .. إلى أن يرثُ اللهُ الأرضَ ومن عليها .. وهو خيرُ الوارثين :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ **[العنكبوت : ١٤ ــ ١٥]** .

هكذا نصر اللهُ رسوله نوحًا عليه السلام .. وجعل قصته آيةً لكل من يأتى مـــن البشر . وقد ذكر ربُّ العزة ــ سبحانه وتعالى ــ على رســـوله محمـــد ــ ﷺ ــ قصة نوح مع قومه ، حتى يثبِّت فؤاده ، ويقوى إيمانه ، ويعرّفه بـــالدليل الصـــادق والبرهان الواضح أن ما يتعرض له من أذى سفهاء قريش سبق أن تعرض له أولـو العزم من الرسل السابقين ، لذلك يخاطبه فى الذكر الحكيم قائلا :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **[الأحقاف : ٣٥]**

هذه ــ باختصار شديد ــ أهم معالم قصة نوحٍ عليه السلام .. التى ذكرها الله ــ سبحانه ــ لرسوله والمسلمين ، ليدركوا أن الله ينجى المؤمنين ، ويهلكُ المشركين ، لأنه يقـــول ــ جـــلَّ مـــن قـــائل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[الذاريات : ٥٦]** . ولم نشأ عامدين أن نشرح كل عناصر القصة ، لأننا نفضـــل أن تُقرأ من خلال النص القرآنى نفسه ، حتى نزداد معرفة به ، ويقينا لما يدعونا إليه . والله يقول الحق ، ويهدى إلى سواء السبيل .

ذكر أبو إسحاق النيسابورى (ت ٤٢٧ هـــ) بعض أفضال نوح عليـــه الســـلام ، فقال : « لم يُسمَّ أحدٌ من الأنبياء باسمه ، وسُمى بذلك لكثرة نوحه علـــى نفســـه .

وكان أول نبى من أنبياء الشريعة ، وأول داع من الله تعالى ، وأول نذير عن الشرك ، وأول من عذبته أمته لردهم دعوته ، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه ..

وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمرًا ، وقيل أكبرُ الأنبياء ، وشيخُ المرسلين ، وجعل الله معجزته فى نفسه ، لأنه عمَّر ألفَ سنة ، لم ينقص له سن ، ولم تنقص له قوة . ولم يبالغ أحد فى الدعوة مثل ما بالغ ، وكان يدعو قومه ليلا ونهارا ، إعلانًا وإسرارًا . ولم يلق نبى من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقى .. لأنهم « كانوا قومًا فاسقين » . كما جعله الله ثانى المصطفين فى الميثاق والوحى . وفى البعث هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ . وأعطاه الله الفلك وعلمه صنعته ، وحفظه بما فيه وأجراها فى الماء . وسماه (عبدًا) شكورًا . وأكرمه بالسلامة (النجاة) والبركة .. وجعل ذريته هم الباقين ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الصافات : ٧٧ – ٨١][1] .

تعقيب

تلك أهم عناصر القصة .. وهذه بعض خصائص سيرة ذلك الرسول العظيم – الذى عده الله – سبحانه وتعالى – من الرسل أولى العزم ، نتيجة ما ضحى ، وما تحمل من أجل هداية البشر وتبليغ رسالة الخالق – سبحانه وتعالى – إلى عبادِه فى ذلك الزمانِ البعيد .

تلك كانت نجاةَ نوح ومن آمن معه .. وغيرها كانت عاقبةَ من كذبوا بالرسالة والرسول .. فاعتبروا يا أولى الألباب .

---

(١) أبو إسحاق النيسابورى : عرائس المجالس ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٥ – ص ٦٠ ، ٦١.

هذه أهم الحكم البالغة والآيات النافذة ، التى أراد الله سبحانه أن يوضحها لعبـاده من ذكر قصة نوح ، فقال عزّ من قـائل : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾[1]

[القمر: ١٥ ـ ١٧]

نعم .. ما أوضح آياتك ، وما أنصع كلماتك يا رب .. العالمين ، فقـد يسـرت القرآن لعبادك .. ولكن هل من معتبر ومتعظ ؟!

سلام على نوح فى العالمين ، إنه من المصطفين المكرمين ، ومـن عبـاد الله الصالحين ، ورسله المفضّلين ، وفى قصته آيات للسائلين ، الذين يريدون صـلاح الدنيا والدين .

(١) تركناها آية : تركنا سفينة نوح عبرة وعظة ـ مدّكر : معتبر ، متّعظ ـ نذر : إنذارى بـالعذاب ـ للذكر : للتذكير بما حدث من قبلُ لنوح وقومه .

الفصل الثانى

إِبراهيمُ .. أبو الأنبياءِ
ومؤسسُ الكعبة

قصة إبراهيم الخليل

يشغل سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مكانةً رفيعة ومنزلة سامية فـــى تـــاريخ الأديان السماوية كلها . ويحملُ عدة ألقاب وكنى ، تؤكد تلك الدرجـــة المقدســـة .. منها:

١ ـ **خليل الله** : الحبيب الوفيّ المخلص فى المودة ، وهى صفة مســـتمدة مـــن قولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء : ١٢٥]

فالآية الكريمة تصف إبراهيم بصفتين ـ وردتا بصيغة « المبالغة » علـــى وزن (فعيل) :

الأولى : إنه كان حنيفا .. أى مبتعدا عن الشرك بالله ، ومـــائلا عـــن العقـــائد الباطلة عن بصيرة ، ومقبلا على الحق ، ومستقيما على نهج الدين القيم .

الثانية : خليل الله(*) .. أى الصفى المصطفى الموحد لربـــه ، المخلـــص فـــى عبادته، لذلك اتخذه الله خليلا . « وهذا من باب الترغيب ، لأنه إمام يقتـــدى بـــه ، حيث وصل إلى درجة الخلة ، التى هى أرفع مقامات المحبة ، لكثرة طاعته . وقـــد وصفه الله فى آية أخرى { وإبراهيم الذى وفى .. } أى وفى كل مقامات العبادة»(١).

٢ ـ **أبو الأنبياء** : من المعروف أن نسب إبراهيم ينتهى إلى سام بـــن نـــوح . (وقد وردت فى بعض كتب قصص الأنبياء ـ نقلا عن التوراة ـ سلســـلة النســـب بينهما) . كما رزق بولدين من الذكور ، هما :

ـ إسماعيل : (ابن السيدة هاجر المصرية) .

ـ إسحاق : (ابن السيدة سارة ـ زوجته الأولى) .

(*) تنسب مدينة «الخليل» فى فلسطين إلى سيدنا إبراهيم ، لأنه مات فيها .. ولا يزال قبره موجودا بها.

(١) مختصر تفسير ابن كثير : اختيار وتحقيق محمد على الصابونى ، ط دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ١٩٨١ ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٢ .

وكل الرسل والأنبياء ، الذين عاصروا إبراهيم مثل : لوط (وهو ابن أخى إبراهيم) .. وإسماعيل ، وإسحاق ، أو جاءوا بعده مثل : يعقوب ، ويوسف ، وهود، وصالح ، وذو الكفل ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وأيوب، ويونس ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى .. وأخيرا محمد . هؤلاء الرسل والأنبياء — جميعا — ينتهى نسبهم إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام . وإلى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد : ٢٦] .

بعد هذا الإجمال يفصل الله أسماء النبيين من ذرية إبراهيم فى سورة « الأنعام » فيقول ربنا جل وعلا : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٣—٨٧] .

من هذه الآيات الكريمة — وغيرها — يوضح القرآن الكريم أن كل الأنبياء والرسل ، ينتهى نسبهم إلى سيدنا إبراهيم خليل الله .. الذى اختاره واصطفاه من دون العالمين . فإبراهيم ونسله ذرية طاهرة مؤمنة ، لذلك اختصهم الله بحمل رسالته وتبليغ شريعته ، وعلى هذا فإن كل نبي بعث بعد إبراهيم فهو من ذريته .

٣ — **مؤسس الكعبة** : بعد أن ترك إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل — فى الوادى الذى توجد به مكة المكرمة — كان يزورهما من حين لآخر . وفى إحدى تلك الزيارات — بعد حادثة فداء إسماعيل — أمر أن يبنى بيتا لعبادة الله ، تؤدى فيه مناسك العبادة وشعائرها . والمكان المختار لبناء الكعبة كان بوحى من الله . ويسمى أيضا « البيت الحرام » ، أى الذى يحرم فيه صيد الطير ، وقتل أى كائن حى إلا فى حالة الاضطرار القصوى .

هناك بعض أحاديث وروايات تشير إلى أن المكان الذى بنيت فيه الكعبة المشرفة، مكان مبارك مقدس منذ عهد آدم إلى يوم القيامة . يقول الرسول ﷺ «**إن هذا البلد (مكة) حرمه الله يوم خلق الله السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة**[1] » .

على هذا تكون الكعبة (أول بيت) وضع لعبادة الله منذ ذلك التاريخ البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وإلى ذلك تشير كثير من الآيات الكريمة منها :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٦،٩٧].

بكة : هى مكة ، لأن الباء والميم كليهما من الحروف الشفوية ، التى تنطق من الشفة . يبدو ــ والله أعلم ــ أن بكة كانت الاسم القديم لمكة .. ثم حدث إبدال صوتى بين الحرفين ــ (الباء والميم) ــ لقرب مخارج النطق بينهما . وفى هذا يقول ابن كثير : « بكة من أسماء مكة . قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة ، بمعنى أنهم يذلون بها ، ويخضعون عندها . وقيل لأن الناس يتباكون فيها، أى يزدحمون.. وقد ذكروا لها أسماء كثيرة هى: مكة ــ بكة ــ البيت العتيق ــ البيت الحرام ــ البلد الأمين ــ أم القرى ــ القادس ، لأنها تطهر من الذنوب ــ المقدسة ــ الحاطمة ــ الرأس ــ البلدة ــ البينة ــ الكعبة »[2] ــ مقام إبراهيم .

٤ ــ **أبو المسلمين** : من الصفات الرفيعة ، التى يوصف بها سيدنا إبراهيم عليه السلام ــ أيضا ــ أنه (أبو المسلمين) .. وقد وصفه ربه ومولاه وصفا صريحا بهذه الصفة فى سورة الحج حين قال سبحانه :

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٧١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ــ ص ٣٠١ .

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج : ٧٨][1] .

كما ورد تأكيد لذلك أيضًا فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

فإبراهيم الخليل يوصف بأنه «أبو المسلمين» ، وعلى هذا فإنَّ أولى الناس بالنسبة إليه ليس اليهود أو النصارى ، وإنما النبى محمد ﷺ ومن اتبعه من المسلمين .

من هذه الصفات – وغيرها – تتضحُ المكانةَ الرفيعة لشخصية إبراهيم عليه السلام فى تاريخ الأديان السماوية ، **لأنه أبو الرسل والأنبياء جميعا .. وهو بانى أول بيت مقدس وضع لعبادة الله** وأداء كثير من الشعائر مثل الصلاة والحج والزكاة والأضحية ، لذلك استحق أن يكون خليل الله الذى اختاره واصطفاه فى الدنيا والآخرة ، لأنه من المشفعين فى العباد يوم القيامة بعد رسولنا محمد عليهما السلام. كما أن المسلمين مطالبون بأن يصلوا عليه فى كل صلاة .. بل فى كل تشهد – مثل رسولهم محمد .. ﷺ .

كذلك فإن إبراهيم يعد **أول رسول ، له رسالة مدونة** . قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى : ١٨ ، ١٩] .

معنى هذا أن ما جاء به محمد ﷺ ليس جديدا كله ، وإنما بعضه قديم وموجود فى «صحف إبراهيم وموسى» عليهما السلام . وقد وردت إشارة أخرى لهذا المعنى فى سورة «النجم» ، حيث تقول الآية الكريمة : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم : ٣٦ ، ٣٧] .

هكذا تضاف إلى مآثر إبراهيم مأثرة أخرى .. وهى أنه كان أول رسول صاحب رسالة مدونة فى الصحف .. أى مكتوبة فى الأوراق .

---

(١) اجتباكم : اختاركم واصطفاكم – حرج : ضيق وعسر – ملة : دين – فى هذا : فى القرآن سماكم المسلمين أيضا .

مواضع ذكر إبراهيم وقصته

(مرتبة بحسب الكثرة)

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	الأنعام	٦	مكية	٧٤ ـ ٨٩	٢٦
				١٦١	١=٢٧
٢	البقرة	٢	مدنية	١٢٤ـ١٣٦	١٣
				١٤٠	١
				٢٥٨	١
				٢٦٠	١=١٦
٣	آل عمران	٣	مدنية	٣٣ـ٣٤	٢
				٦٧ـ٦٨	٢
				٨٤	١
				٩٥ـ٩٦ـ٩٧	٣=٨
٤	النساء	٤	مدنية	٥٤ـ٥٥	٢
				١٢٥	١
				١٦٣	١=٤
٥	التوبة	٩	مدنية	٧٠ـ١١٤	٢
٦	هود	١١	مكية	٦٩ـ٧٦	٧
٧	يوسف	١٢	مكية	٦ـ٣٨	٢
٨	إبراهيم	١٤	مكية	٣٥ـ٤١	٧
٩	الحجر	١٥	مكية	٥١ـ٦٠	١٠
١٠	النحل	١٦	مكية	١٢٠ـ١٢٣	٤
١١	مريم	١٩	مكية	٤١ـ٥٠	١٠
				٥٨	١=١١
١٢	الأنبياء	٢١	مكية	٥١ـ٧٣	٢٣
١٣	الحج	٢٢	مدنية	٢٦ـ٢٩	٤

				٤٢ـ٤٣	٢
				٧٨	١=٧
١٤	الشعراء	٢٦	مكية	٦٩ـ٨٨	٢٠
١٥	العنكبوت	٢٩	مكية	١٦ـ٢٧	١٢
١٦	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١٧	الصافات	٣٧	مكية	٨٣ـ١١٣	٢١
١٨	ص	٣٨	مكية	٤٥ـ٤٧	٣
١٩	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٠	الزخرف	٤٣	مكية	٢٦ـ٢٩	٤
٢١	الذاريات	٥٠	مكية	٢٤ـ٣٧	١٤
٢٢	النجم	٥٣	مكية	٣٦ـ٣٧	٢
٢٣	الممتحنة	٦٠	مكية	٤ـ٥	٢
٢٤	الأعلى	٨٧	مكية	١٨ـ١٩	٢
١٧٠ مكية + ٤٠ مدنية = ٢١٠ آية					

من هذا الثبت يتضح ما يلى :

١ ــ إن ذكر إبراهيم وقصته قد وردا فى سبع عشرة سورة (مكية) .. تشتمل على مائة وسبعين آية . كما ورد ذلك أيضا فى سبع سور (مدنية) .. تشتمل على أربعين (٤٠) آية .

٢ ــ إن قصة إبراهيم قد وردت معظم تفاصيلها وعبرها فى العهد المكى ، حتى يثبت الله قلب رسوله محمد ، ويقدم لقومه ذكر من قبلهم من الرسل ، حتى يقتنعوا أن الرسول ، يوحى إليه قصص من سبقه من الرسل وما حدث لهم مع أقوامهم . إن من مظاهر (إعجاز القرآن الكريم) أنه يقدم أخبارا وأحاديث وقصصا ومعلومات، تتصل بسير الرسل والأنبياء السابقين وتاريخ الأمم الماضية .. ويستشرف بعض أنباء الغيب ، التى تتصل بالله وملائكته والجن واليوم الآخر وغير ذلك . هذا كله لم يكن للرسول وقومه به علم .. فحين يأتى القرآن بتلك الأنباء كلها،

فإن فى ذلك آية على أنه تنزيل من رب العالمين ، الذى يجب أن يؤمنوا به ويعبدوه، ويصدقوا الرسول الذى جاء به ، لذلك يطلب الله ـ سبحانه ـ من عباده أن يتدبروا ما جاء فى القرآن ، ويطيعوا ما أمر به الرسول ، لأن من يطع الرسول، فقد أطاع الله .. ومن يتول ويعرض ، فإنك ـ يا محمد ـ لست عليهم بحفيظ أو مسيطر . وفى هذا المعنى تقول الآية الكريمة : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء : ٨٢] .

٣ ـ النسبة المئوية ـ بين الآيات المكية والمدنية ـ يمكن أن نتبينها من الجدول التالى :

العهد	الموضع	الآيات	النسبة
المكى	١٧	١٧٠	٨١%
المدنى	٧	٤٠	١٩%
المجموع	٢٤	٢١٠	١٠٠%

معنى هذا أن ما ورد ـ فى سور العهد المدنى ـ يكاد يصل إلى (خمس) النسبة، لأن الإسلام كان قد استقر فى أثناء وجود الرسول والمسلمين فى المدينة المنورة . إن قصة إبراهيم ـ مثل قصة نوح .. عليهما السلام ـ قد وردت معظم تفاصيلها فى مرحلة العهد المكى . ويبدو أن معظم ما جاء فى العهد المدنى ، قد ورد فى سياق الحوار والجدل بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى خاصة اليهود ، الذين كانوا موجودين بكثرة فى «يثرب» . فسورة «البقرة» وهى أطول سورة ـ فى العهد المدنى وفى القرآن كله ـ ورد فيها حديث عن إبراهيم الخليل ، لكن الحديث ـ فى مجمله ـ ليست له علاقة كبيرة بالقصة .. كما تجد فى هذه الآيات على سبيل المثال :

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٥ ــ ١٤١] .

فهذه الآيات الكريمة ــ فى مجملها ــ جاءت فى سياق المجادلة والمحاجة والمقارنة بين الإسلام وغيره من الديانات ، حتى توضح لأهل الكتاب أن عقيدة محمد مثل عقيدة إبراهيم ، فكلاهما حنيف مؤمن خالص الإيمان بعيد عن الشرك . كذلك يؤكد معنى الجدل والمحاجة فى الآيات أن الفعل (قال) ورد ست مرات فى هذا السياق ، لأن الله سبحانه يريد أن يؤكد لليهود والنصارى أن محمدا لم يأت برسالة مختلفة عما سبقه من الرسالات ، وإنما دينه مثل دين إبراهيم وملته ، وأنهم لو صح إيمانهم باليهودية والنصرانية ، لآمنوا بالإسلام وبرسالة محمد . وبالله الحى القيوم ، الذى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٣ ، ٤] .

٤ ــ يمكن أن نعيد ترتيب الآيات الكريمة ــ التى وردت فيها قصة إبراهيم عليه السلام وأخبار سيرته ومغازى نبوته وأهداف رسالته ــ ترتيبا (تنازليا) بحسب الكثرة العددية ، فتكون مقسمة إلى ثلاث مجموعات هى : أ ــ الكبيرة ــ ب ــ المتوسطة ــ جـ ــ القليلة ، وبيانها كما يلى :

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
أ ــ ١	الأنعام	٦	مكية	٧٤ ــ ٨٩ ، ١١٦	٢٧
٢	الأنبياء	٢١	مكية	٥١ــ٧٣	٢٣
٣	الصافات	٣٧	مكية	٨٣ــ١١٣	٢١
٤	الشعراء	٢٦	مكية	٦٩ــ٨٨	٢٠
٥	البقرة	٢	مدنية	١٢٤ــ١٣٦ ١٤٠ــ٢٥٨ــ٢٦٠	١٦
٦	الذاريات	٥٠	مكية	٢٤ــ٣٧	١٤
٧	العنكبوت	٢٩	مكية	١٦ــ٢٧	١٢
٨	مريم	١٩	مكية	٤١ــ٥٠ــ٥٨	١١
٩	الحجر	١٥	مكية	٥١ــ٦٠	١٠
١٠	آل عمران	٣	مدنية	٣٣ــ٣٤ــ٦٧ــ ٦٨ــ٨٤ــ٩٥ ٩٦ــ٩٧	٨
ب ــ ١١	هود	١١	مكية	٦٩ــ٦٧	٧
١٢	إبراهيم	١٤	مكية	٣٥ــ٤١	٧
١٣	الحج	٢٢	مدنية	٢٦ــ٢٩ــ٤٢ــ ٤٣ــ٧٨	٧
١٤	النساء	٤	مدنية	٥٤ــ٥٥ــ١٢٥ ــ١٦٣	٤
١٥	النحل	١٦	مكية	١٢٠ــ١٢٣	٤
١٦	الزخرف	٤٣	مكية	٢٦ــ٢٩	٤
جـ ــ ١٧	ص	٣٨	مكية	٤٥ــ٤٧	٣
١٨	التوبة	٩	مدنية	٧٠ــ١١٤	٢
١٩	يوسف	١٢	مكية	٦ــ٣٨	٢
٢٠	النجم	٥٣	مكية	٣٦ــ٣٧	٢
٢١	الممتحنة	٦٠	مدنية	٤ــ٥	٢

٢٢	الأعلى	٨٧	مكية	١٨ـ١٩	٢
٢٣	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
٢٤	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١

نلاحظ على الجدول السابق ما يلى :

ـ إن قصة إبراهيم الخليل قد وردت فى أربعة وعشرين (٢٤) موضعا فى القرآن الكريم ، تشتمل على مائتى آية كريمة وعشر .

ـ عدد المواضع (المكية) سبعة عشر (١٧) موضعا ، وعدد آياتها = (١٧٠) مائة وسبعون آية بنسبة (٨١%) .

ـ عدد المواضع (المدنية) سبعة (٧) مواضع ، وعدد آياتها = (٤٠) أربعون آية بنسبة (١٩%) .

ـ هناك عشرة مواضع مطولة (توضحها المجموعة الأولى أ) ، وردت فيها أهم أحداث سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام . وهذه المواضع ثمانية : منها ستة مكية.. وموضعان مدنيان فحسب .

هذا يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه ، وهو أن قصة إبراهيم الخليل قد وردت معظم أحداثها فى أثناء العهد المكى .. كما توضح ذلك بجلاء السور المكية التى أشرنا إليها فى الإحصاء السابق .

ـ السر فى أن قصة الخليل قد وردت فى أثناء العهد المكى .. هو أن ربنا سبحانه وتعالى أراد أن يعرف رسوله محمدا والذين آمنوا بقصة جده الكريم ، ليكون لهم فيها عبرة وأسوة ، وأن الرسول قد جاء بما جاء به من كانوا قبله من الرسل .. ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى : ١٣][1] .

---

(١) شرع : سن ـ لكم .. يا أمة محمد ـ يجتبى : يختار ويصطفى .

الآيات القرآنية الكريمة

التى ورد فيها ذكر إبراهيم وقصته

إن تفسير القرآن بالقرآن يعد أفضل مناهج التفسير ، وهو أيضا الوسيلة المثلى لمعرفة المراد الحقيقى من كلام الله سبحانه ، المنزل على قلب رسوله الأمين ــ محمد ﷺ . وقد أردنا ــ بفضل من الله وتوفيقه ــ أن نجمع كل الآيات القرآنية الكريمة ، التى ورد فيها ذكر إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ وقصته العطرة ، حتى يقرأ من هدى الله قلبه كل الآيات الخاصة بسيدنا إبراهيم فى سياق واحد ، لكى تتضح أمامه الصورة كاملة ، والحكمة دالة على بيان ما أراد الله ذكره وتوضيحه من خلال هذه القصة .

والهدف السامى الذى نهدف إليه من خلال جمع أجزاء القصة من السور المختلفة ووضعها فى (سياق قرآنى) واحد ــ هو أن نتعرف على إطار القصة وعناصرها من خلال الآيات الكريمة ، فذلك أبين لما أراد ربنا ــ عز وجل ــ توضيحه ، وأظهر للحكم البالغة التى أراد ــ سبحانه ــ ذكرها ؛ إذ لا يخفى على الكثيرين أن معظم كتب قصص الأنبياء المتداولة دخلتها بعض زيادات وإضافات عن طريق ما يعرف باسم « الإسرائيليات » ، وهى إضافات لا نستطيع أن نكذبها، ولا نقدر على تصديقها . كما أنه ليست لها كبير أهمية فى فهم إطار القصة ــ كما أراده رب العزة سبحانه وتعالى ، لأن الله ذكر ما ذكر لحكمة ، وتجاوز عما تجاوز عنه لحكمة أيضا ، لا يعلمها إلا هو . إن (المسكوت عنه) فى القرآن الكريم مقصود، لذلك ينبغى أن تكون معرفتنا فى إطار ما قدمه الله لنا ، لأنه سبحانه يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : ٧] .

فالآية الكريمة ــ هنا ــ صريحة . تدعو المسلمين إلى أخذ ما أمر به الرسول ، واجتناب ما نهى عنه ــ من خلال الوحى المنزل الذى أوحى الله به إليه . وقد ثبت

أن الرسول ﷺ قال : « **إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه** »[1] .

من أجل ذلك سنورد المواضع المختلفة التى ورد فيها ذكر إبراهيم وقصته ـ لنتعرف عليها من خلال المصدر الأول .. المصدر الأصدق ، وهو القرآن الكريم ـ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

* * *

وها هى السور المختلفة مرتبة حسب الكثرة العددية للآيات الكريمة :

أولا : سورة الأنعام

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٧٤ ـ ٨٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ـ جـ ٣ ـ ص ٤٧٣ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٤ ـ ٨٩] .

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

ثانيا : سورة الأنبياء

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ

وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ (٧١) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ (٧٢) وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ (٧٣) ﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٧٣]

ثالثا : سورة الصافات

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ (٨٣) إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ (٨٤) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ (٨٥) أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ (٨٩) فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ (٩٣) فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ (٩٥) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ (٩٦) قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ (١١٣) ﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ١١٣].

رابعا : سورة الشعراء

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

[الشعراء: ٦٩ ـ ٨٨] .

خامسا : سورة البقرة

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

[البقرة : ١٢٤ ـ ١٣٦]

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

سادسا : سورة الذاريات

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الذاريات : ٢٤ ـ ٣٧]

سابعا : سورة العنكبوت

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

[العنكبوت : ١٦ــ٢٧]

ثامنا : سورة مريم

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم ٤١-٥٠] .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم : ٥٨] .

تاسعا : سورة الحجر

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحجر: ٥١ ـ ٦١] .

عاشرا : سورة آل عمران

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٣ ، ٣٤] .

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٦ ، ٦٧] .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٥ ـ ٩٧] .

حادى عشر : سورة هود

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٦] .

ثانى عشر : سورة إبراهيم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٤١] .

ثالث عشر : سورة الحج

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج : ٢٦ ـ ٢٩] .

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحج : ٤٢ ، ٤٣] .

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج : ٧٨] .

رابع عشر : سورة النساء

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء : ٥٤ ، ٥٥] .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء : ١٢٥] .

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

خامس عشر : سورة النحل

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٣] .

سادس عشر : سورة الزخرف

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٩] .

سابع عشر : سورة ص

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٧] .

ثماني عشر : سورة التوبة

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة : ٧٠] .

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

تاسع عشر : سورة يوسف

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف : ٦] .

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف : ٣٨] .

عشرون : سورة النجم

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النجم : ٣٧ ، ٣٨]

حادى وعشرون : سورة الممتحنة

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة : ٤ ـ ٥] .

ثانى وعشرون : سورة الأعلى

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى : ١٨ ـ ١٩]

ثالث وعشرون : سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

رابع وعشرون : سورة الشورى

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى : ١٣] .

إبراهيم الخليل .. أبو الأنبياء جميعا الذين بُعثوا بعده ، وله صلة وثيقة بالديانات السماوية كلها : اليهودية والمسيحية والإسلام ، لذلك وجدنا قدراً من التوسع والإفاضةِ فى قصته فى بعض كتب قصص الأنبياء ، بل فى بعض كتب التفسير أيضا[1] . وإذا أضفنا إلى ذلك أنه عمر طويلاً ، حوالى مائة وسبع وثلاثين سنة[2] . وقيل مائة وخمس وسبعين .. وقيل مائة وتسعين .. وقيل مائتى سنة[3] .. والله أعلم.

كما أنه تنقل بين بلاد كثيرة ، حيث وُلد وعاش الفترة الأولى من حياته فى بلاد الكلدانيّين (جنوب العراق) . وبعد أن أخفق فى هداية قومه رحل إلى مدينة أور ، حيث كان يعيش الكلدانيون أيضا (قربَ الشاطئ الغربى لنهر الفُرات فى جنوب العراق) . ثم رحل ومعه زوجته سارة وابنُ أخيه لوط وامرأته غربا إلى فلسطين ، وكانت تسمى بلاد الكنعانيين فى مدينة «شكيم»، التى تعرف باسم «نابلس» . وإلى هذا تشير الآية (٢٦) من سورة العنكبوت : ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

ثم انتقل إلى مصر فى عهد ملوك الرعاة (الهكسوس) ، وأقام فيها فترة[4] .. ثم عاد هو وزوجه إلى فلسطين مرةً ثانية ، ومعهما السيدة « هاجر » ــ التى سيتزوجها ــ بعد ذلك ــ بطلب من زوجته سارة . وبعد أن تلد تخرج هى وطفلها

---

(١) راجع على سبيل المثال :

ــ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء . ــ أبو إسحاق النيسابوري : عرائس المجالس .

ــ ابن كثير : قصص الأنبياء . ــ ابن كثير : تفسير ابن كثير .

ــ محمد جاد المولى وآخرون : قصص الأنبياء . ــ محمد على الصابونى : صفوة التفاسير .

ــ أبو محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن .

ــ القرطبي : تفسير القرطبى .

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٨٩ .

(٤) يذكر عبد الوهاب النجار .. أنه « حدث جدب فى الأرض ، فانتقل إبراهيم إلى مصر ، وذلك فى عهد ملوك الرعاة ، وهم العماليق ، ويسميهم الرومان «هكسوس» .. قصص الأنبياء ، ص ١٢٣ .

بعيدًا ، لتستقر هى وابنها إسماعيل فى وادى مكة المكرَّمة . ولا نعلم علـــى وجــه اليقين السرَّ فى خروج السيدة هاجر وابنها إسماعيل من أرض فلســطين ، لتذهــب بعيدًا إلى وادى مكة . يبدو أن الله قد هيأ الأسباب لتلك الرحلة ، حيث غارتْ السيدة سارة من السيدة هاجر ، لأنها أنجبتْ ولدًا ذكرًا ، بينما كانتْ هى عجوزًا عقيمـــا . وطلبتْ من زوجها إبراهيم أن يذهبَ بهاجر بعيدا .. فاستجاب الخليل لزوجته ســارة التى كانت ابنة عمه أيضا . كل هذا كان من أجل تنفيذ إرادة الله سبحانه .. حتـــى يرفعَ هو وابنه قواعد البيت العتيق . والله تعالى أعلم .

خلال تلك الفترة كان إبراهيم ينتقل بين زوجتيْه سارة (فى فلسطين .. أم إسحاق) وهاجر (فى الجزيرة العربية .. أم إسماعيل) . وكان يدعو إلى عبادة الله ، فى كــل مكان يحل فيه . وبعد أن كبر أولاده .. وبنى هو وإسماعيل البيتَ الحــرام ونشــر دعوة الله ، حضرته الوفاة فى فلسطين فى مدينة « الخليل » ــ التى سميت باســمه ــ حيث دفن فيها .

كل ذلك الصراع من أجل نشر دعوة الحق .. وتلك الرحلات المتواصلة فى بلاد الدنيا القديمة : العراق ــ فلسطين ــ مصر ــ الجزيرة العربية .. بالإضافــة إلــى طول عمره وعلاقة الديانات السماوية المختلفة به ــ كل ذلك فتح البــاب واســعًا ، لتدخل سيرته العطرة بعض الزيادات والإضافات ، التى لم ترد فى القرآن الكريـم ، لذلك سنحاول أن نحدد الإطار العام للقصة ــ كما وردت فى الذكر الحكيم فحسب . ونشير فقط إلى أن سيرته العطرة فى الكتاب المقدس بها تفاصيل كثيرة .. لم تـــرد فى القرآن الكريم .

إبراهيم يبحث عن الحق

ولد إبراهيم بن آزر ، الذى ينتهى نسبه إلى نوح عليه السلام فى منطقة مختلـف فى تحديدها جنوبى العراق . وحين بلغ إبراهيم سنَّ الرشد ومرحلة الوعـــى ، رأى قومه يعبدون الأصنام من دون الله . كما كانوا يعبدون ــ أيضا ــ ملكا لهم اســـمه

«النمروذ» . فلم يطمئن إلى ما كان يعبده قومه من دون الله ، لذلك بدأ رحلة البحث عن إله يستحق العبادة ، إذ أدرك أن الأصنام التى كانَ يعبدها أهله ـــ ومنهم أبـــوه ـــ لا تُبصرُ ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ، بل إنها لا تملك دفع الضر عن نفسها؛ ومن ثمَّ بدأ إبراهيم بعد أنْ بلغ رشده ـــ بوحى مما هيأه الله له ـــ رحلةَ البحث عن الربِّ الخالق المدبر للكون .

وفى ليلة مظلمة رأى أحد النجوم الكبيرة يضىء ظلام ليل ، لم يكن فيه قمـــر ، فظنه الإله . لكن النجمَ غابَ بعد قليل .. فلم يطمئن إلى ألوهيته . وفى ليلة أخـــرى رأى القمرَ مشرقًا يضىء ظلام الليل والكون ، فاستبشر به إلى حين ، لكنه سرعان ما غاب واختفى أيضا . وتكرر الظن نفسه مع الشمس ، حين رآها بازغة منيرة .. غير أنها غابتْ واختفتْ ، كما غاب النجم والقمر من قبل . فظلَّ يفكر ويتأمل إلـــى أن أدرك أن للكون كله خالقًا ، يدبر أمره ويسير شئونه . وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة من سورة الأنعام ، وهى :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعـــام : ٧٦ ـــ ٧٩](1) .

ندرك من هذا الموقف الأول الحاسم فى حياة إبراهيم عليه السلام ، أن الإنســـان ينبغى عليه أن يفكر فيما لا يقتنع به ، حتى لو خالف قومه أجمعين بمن فيهم أبـــوه نفسه . فإبراهيم حين رأى قومه يعبدون الأصنام التى يصنعونها بأيديهم ، لم يطمئن قلبه إلى ما يفعلون . وظل يفكر ويتأمل فيما حوله إلى أن أضاء نور الإيمان قلبه ،

---

(١) جن : أظلم ـــ أفل : غاب واختفى ـــ بازغا : مشرقا ـــ يهدنى : يوفقنى إلى طريق الهداية ـــ الضال: الذى لا يعرف طريق الحق ـــ فطر : خلق ـــ حنيفا : مؤمنا بالله ومبتعدا عن الكفر .

فأسلم وجهه لله ، واعترف له بالفضل عليه وعلى كل الموجودات .. فى الأرض والسماوات . كما ندرك من هذا أيضا أن إبراهيم مثل محمد ــ عليهما السلام ــ قضيا فترة تفكير وتأمل وبحث فى أسرار الكون قبل أن يختارهما الله لنشر دعوته . وفترة تفكير إبراهيم فى الإله الذى يستحق العبادة ، تُشبه ــ إلى حد ما ــ فترة الانقطاع والتبتل ، التى كان يقضيها محمد ــ ﷺ ــ فى غار حراء قبل بعثته .

إبراهيم يدعو قومه إلى الإيمان

بعد أن هدى الله إبراهيم إلى طريق الإيمان ، أراد أن يحمل الدعوة إلى أهله ، لأن من يعرف طريق الحق يجب أن يعرف غيره به . إن إبراهيم أخذ يفكر فيما حوله إلى أن توصل إلى عبادة الخالق ، الذى فطر (خلق) السموات والأرض ؛ ومن ثم توجه إلى دعوة قومه الذين يعبدون الأصنام ، وفيهم أبوه (الذى كان واحدا من صناعها وبائعيها .. وربما كان هذا من أسباب عناده وعدم استجابته لدعوة ابنه)[1] . أخذ إبراهيم يناقش قومه بالحكمة والرأى الحسن فى أمر الأصنام التى يعبدونها من دون الله . فقال لأبيه وقومه : ما هذه الأصنام التى تصنعونها بأيديكم ، ومع ذلك تستمرون فى عبادتها ؟

فردوا عليه بأنهم يفعلون هذا ، لأنهم ورثوا هذه العادة عن آبائهم وأجدادهم ــ دون أن يفكروا فى أمرها . فأخبرهم بأنهم إن ظلوا على هذه الحالة ، فسوف يكونون هم وآباؤهم فى كفر واضح ، لأن هذه الأصنام لا تستطيع أن تحقق النفع لهم أو لنفسها ، كما لا تقدر أن توقف الضر عن نفسها أو عنهم . فسألوه إن كان جادا فيما يقول ، فأخبرهم بأنه جاد ، ويدعوهم إلى عبادة الخالق العظيم . لكنهم ظلوا على كفرهم واستمروا فى ضلالهم وزيغهم .

---

(١) الثعلبى يذهب إلى أكثر من هذا ، ويذكر أن الأب كان يصنع الأصنام ، ويطلب من ابنه إبراهيم بيعها. الثعلبى : عرائس المجالس ، ص ٧٥ .

ولما يئسَ من مجادلة قومه .. ورأى أنهم ــ بمنْ فيهم أبوه ــ مصــرون علــى الشرك بالله والعكوف على عبادة الأصنام ، انتظر حتى خرج أهلُ المدينة أجمعين ، لأن تلك كانت عادة لهم في إحدى المناسبات الخاصة بهم . فأخذ فأسًا ، وبدأ يكسِّر الأصنامَ قطعًا صغيرة ، حتى لا يستطيعوا إصلاحها وترميمها ، ولكى يثبتَ لــهم ــ بالدليل العملى ــ أن تلك الأصنام ، لو كانتْ تستحقُ العبادة لاســتطاعت أن تمنــع الأذى عن نفسها . وبعد أن حطم الأصنام كلها ، ترك أكبر صنــمٍ منــها ســليما ، وعلق الفأسَ فى رقبته . وعاد إلى مسكنه مطمئن النفس . لم يفكر إبراهيــم فيمــا يمكن أن يناله من أذى وعذاب ، بل كان غاية ما يأملُ هو أن يهدى قومه إلى عبادة الله .

هكذا ينبغى أن تكون حال أصحاب الرسالات ، لا تهمهم الراحةُ الشخصية ، ولا تشغلُهم أمورُهم الخاصة ، وإنما تعنيهم ــ فى المقــام الأول ــ مصلحــة شــعبهم وقضية أمتهم ، لذلك جادل إبراهيم قومه واختلف معهم .. غير عابئ بأن فى هؤلاء الذين خاصمهم واختلف معهم أباه الذى أنجبه ورعاه ، والحاكم المتجبر الذى يمكن أن يُذيقه أشد ألوان العذاب .

الحساب .. والعقاب

بعد أن رجع قومه إلى المدينة ، ورأوا ما حدث لأصنامهم ، تساءلوا عمن يكون ذلك المرءُ ، الذى تجرأ وحطم التماثيل التى يعبدونها . فقيل إنه لا يجرؤ على هــذا إلا فتى يسمى إبراهيم الذى أعلن كفره بها . فأمر الملك بأن تُعقد له محاكمةٌ أمــام الناس أجمعين ، حتى يشهدوا محاكمتَه ، ويروا عاقبةَ من يخالف عاداتهم ، ويبتعــد عن عقيدتهم ، ويكفر بعبادتهم التى ورثوها عن آبائهم .

فسألوه : أأنت فعلت هذا بآلهتنا التى نعبدها يا إبراهيم ؟!

فرد عليهم مستهزئا ساخرا بمنطق واضح : إن الذى حطمها هو الصنم الأكــبر ، الذى يحملُ الفأسَ ، لذلك يجب أن تسألوهم، إن كانوا يتكلمون .

هنا أسقط فى أيديهم ، وعلموا أنهم ظالمون لأنفسهم . لكن الظالم لنفسه ــ أحيانا ــ تأخذه العزة بالإثم ، ويأبى أن يرجع إلى طريق الحق ، حتى لو تبينه بنفسه .

فقالوا له : إنك تعلم أنها لا تتكلم ولا تسمع ، فكيف نسألها ؟!

فرد عليهم إبراهيم بمنطق سليم ، ورأى حكيم : لماذا إذن تعبدون ما لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، وتبتعدون عن عبادة الله الذى خلقكم ورزقكم . أف لكم .. أى ما أسخفكم .. كيف تعرفون أنها لا تتكلم ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع، ومع ذلك تعبدونها من دون الله ؟!

هكذا جعل إبراهيم قومه يعترفون بأنهم لا يتدبرون ولا يفهمون ، لأنهم يعبدون ما لا يعقل . أفضل برهان فى النقاش أن تجعل الخصم يقر بذنبه ، ويعترف بخطئه. هذا ما فعله إبراهيم ، إذ جعلهم يعترفون بأنهم لا يعقلون ولا يعرفون طريق الحق . هكذا أقام عليهم الحجة ، وألزمهم بالدليل الصحيح الذى اعترفوا به على أنفسهم . وإلى هذا تشير الآية الكريمة .. « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » .

الضال ــ أحيانا ــ لا يستقيم ، حتى لو ألزمته الحجة الناصعة . سأله النمروذ ــ ملك القوم ــ الذى كانوا يعبدونه أيضا مع التماثيل والأصنام : إذا لم تكن تعترف بعبادة الأصنام ، فبمن تعترف بالألوهية ؟

فرد إبراهيم : إنى أعبد الله رب العالمين .

ثم سأله النمروذ : ما أهم صفات هذا الرب الذى تتكلم عنه ؟

فقال إبراهيم : إن الله يحيى ويميت .

قال النمروذ : أنا أحيى وأميت مثل ربك ، سأحضر رجلين حكم عليهما بالموت: فأقتل واحدا ، فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر ، فأكون قد أحييته .

قال إبراهيم فى ثقة المؤمن ووعى المرسل ، حتى يسد عليه الطريق ويفحمه بالدليل : إن الله يجعل الشمس تأتى من المشرق ، فاجعلها تطلع من المغرب .!!

هنا بهت ــ ودهش وصمت عجزا ــ النمروذ ، الذى كفــر ، ولــم يســتطع أن يستمر فى الجدال مع إبراهيم . ومع أن النمروذ عرف طريق الحــق ، فقــد ظــل ماضيا فى كفره ، سادرا فى طغيانه .

بين إبراهيم وأبيه

ثمة موقف آخر أكثر صعوبة وعسرا ــ من الناحية النفسية .. علــى الأقــل ــ حدث بين إبراهيم وأبيه ، إذ يبدو أن الأنبياء والمرسلين مبتلون بمثل هذه المواقــف النفسية الحرجة والفكرية الصعبة . حدث هذا من قبل مع نوح حين عصــــاه ابنــه وزوجه.. ورفضا أن يدخلا فى دوحة الإيمـــان ، وبالتــالى فــى ســفينة النجــاة والخلاص.

مثل ذاك الموقف الصعب نفسه حدث بين إبراهيم وأبيه ، الذى أصر على كفــره وعبادة الشيطان دون الرحمن . وهذا ابتلاء عظيم من رب العالمين لأولى العـــزم من رسله ، حتى يزدادوا صبرا ، ويمتلئوا هدى وتقي ، لكي يثبتوا للبشر أجمعين :

أن التمسك بالإيمان وعبادة الرحمن ، أقوى من التمسك بحب الوالــد والولــد .. وهما أعز البشر . فالمرء بضعة من أبيه .. كما أن الولد بعض من كله ، فالمرء قد يضحى بنفسه وماله وبكل ما يملك من أجل أعز اثنين ، يتصلان به ماديا ومعنويــا اتصالا حميما لا فكاك منه ، وهما الوالد والولد . هكذا ضحى نوح بولده ، وهجــر إبراهيم أباه من أجل طاعة الله . وذاك هو الحوار الذى دار بينهما ــ كما ورد فــى القرآن الكريم :

قال إبراهيم : يا أبتى [يلاحظ أن الحوار يبدأ بذكر اسم الأب منسوبا إلى الابــن (يا أبتى) ، حتى يرقق قلبه ، ويذكره بصلة الرحم التى تجمــع بينــهما . كمــا أن الأسلوب (أسلوب نداء)، الغرض البلاغى منه هو التمنى والرجاء ، لأن الابــن لا يأمر أباه ، بل يتوسل إليه ، ويرجوه :

يا أبتى .. لماذا تعبد الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ، ولا تفيدك فى شىء ؟

ثم يكرر مخاطبته بيا أبتى إننى قد علمت ما لم تعلم ، وهدانى الله إلى طاعتـــه ، وأمرنى أن أدعو الناس إلى عبادته ، فاتبع ملتى ودينى ، حتى تكون مـــن الذيـــن هداهم الله إلى طريق الرشاد .

يا أبتى (للمرة الثالثة) لا تعبد الشيطان ولا تمض فى طريقه ، لأنه عصـــى الله من قبل ، ويحاول أن يشكل حزبا من العصاة ، تكون واحدا منهم .

يا أبتى .. (الرابعة) إنى أخاف أن يغضب الله عليك ، فتصبح للرحمن عصيـــا ، وللشيطان وليا .

فسأله الأب فى تحد : هل ترفض عبادة آلهتى يا إبراهيم؟! (لم يقل يا بنى .. كأن الخطاب موجه إلى شخص غريب) . وإذا لم تكن تريد أن تعبد آلهتى .. فعلى الأقل يجب ألا تعيبها أو تهينها ، فإن لم تكف عن ذلك ، فسوف أسبك وأقاطعك وأرجمـك بالحجارة .

غضب الأب ، وطلب منه أن يبتعد عنه زمانا طويلا ، أى أنه طـــرده وأمـــره بالانفصال عنه . عز على إبراهيم أن يغضب أبوه ، وأن يصر على كفـــره ، وأن يطرده حتى لا يحدث حوار بينهما مرة أخرى . لكن إبراهيم ظل محتفظـــا بحســـن خلقه ورباطة جأشه ، حريصا على احترام والده ، وأخبره أنه سوف ينفذ رغبتـــه ، وقال : سلام عليك ، سأطلب لك العفو والمغفرة من الله ، الذى هدانـــى لعبادتـــه ، واختصنى برعايته .

هكذا تصرف إبراهيم الرسول مع أبيه الكافر ، تصرف المؤمن الحق ، الـذى إذا خاطبه الجاهل واستثاره ، قال سلام عليك ، لن ينالك منى أذى .. !! هذه أخـــلاق عباد الرحمن التى توضحها آية أخرى ، هى :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ۝ ﴾ [الفرقان : ٦٣][1] .

---

(١) هونا : تواضعا ولين جانب ــ الجاهلون : السفهاء ــ سلاما : قولا سديدا يسلمون فيه من الإثم .

بعد أن هجر إبراهيم أباه ـ ظل يطلب له العفو والمغفرة ـ كما وعده حين قال: «سلام عليك سأستغفر لك ربى ..» وهذا ما تبينه آية كريمة أخرى هى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

هذان الموقفان : موقف الحوار مع الأب .. والجدال مع النمروذ ـ الله أعلم ـ هل حدثا قبل تحطيم الأصنام أم بعدها .. وهل حدثا أيضا قبل إلقائه فى النار أم بعد ذلك ؟!

وقد سردناهما ـ هنا ـ لنبين مدى العذاب المادى والنفسى ، اللذين تحملهما إبراهيم حتى يهدى أهله وقومه إلى الإيمان .

يا نار كونى بردا وسلاما

بعد أن حطم إبراهيم عليه السلام الأصنام ، أبان لقومه أنهم لا يعقلون ، إذ كيف يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر . دحضت حجتهم ، فأحسوا الضعف والهوان لأنه سخر منهم ، ومن آلهتهم المصنوعة بأيديهم . وبدلا من أن يؤمنوا بالله رب إبراهيم اتخذوا من المحاكمة التى تدينهم وسيلة لتنفيذ حكم جائر عليه . هكذا الطغاة فى كل عصر ، يرتكبون الآثام والجرائم ، ويعذبون من يكشف لهم خطاياهم . صدر الحكم الجائر ، إذ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦٨][1] .

أخذ الكفار يجمعون الحطب من كل مكان ، وأشعلوا النار فيه من كل ناحية ، ثم قذفوه من مكان عال مقيدا بالحبال ، فظل موقنا بأن الله لن يتخلى عنه . ويقال « إن جبريل استقبله حين ألقى به فى النار ، فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك . فقال إبراهيم عليه السلام : حسبى من سؤالى ، علمه

---

(١) حرقوه : أحرقوه بالنار .. والتضعيف يفيد المبالغة .

بحالى ، حسبى الله ونعم الوكيل . وفى الخبر أن إبراهيم عليه السلام إنما نجا بقوله «حسبى الله ونعم الوكيل . »[1] .

يذكر أن النار ظلت مشتعلة عدة أيام .. وبعد أن خمدت ظهرت المعجزة . النار الحامية لم تحرق سوى حبال القيد الذى أوثق به . أما إبراهيم فإنه خـــرج سـليما نضرا ، لم يمسسه سوء ، لأن رب العزة إذا أراد شيئا ، فإنما يقول لـــه : كـن ، فيكـــــــون .. ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦٩ ، ٧٠] .

هكذا نجا الله رسوله وأنقذه من مكر الماكرين . وتلك معجزة من معجـزات رب العزة ــ سبحانه ــ أن ينجى عباده المؤمنين ويخذل الكافرين ؛ إذ لا يستوى الإيمان والكفر ، كما لا يستوى الطيب والخبيث ، أو النور والظلمة .!!

العجيب أن يزداد المؤمن إيمانا فى هذه الدنيا الدنية ، وأن يتمادى الضـال فـى ضلاله ، لأن المؤمن ذو قلب طاهر وعقل مفكر ، أما الكافر فإنه يطيع شـــهواته ، ويستسلم لرغباته ، وتغره الحياة الدنيا ، من هنا يكون عدلا حساب الله موزعا بيـن الثواب والعقاب . من عمل صالحا فله الرضا والرضوان ، ومن أساء فعليه اللعنـة والجحيم . فتدبروا يا أولى الألباب .. !!

الهجرة إلى الشام .. ومصر

إن أى وطن لا يضيق بأهله ، لكن سوء المعاملة تجعل البشر يفرون من قضـاء الله إلى قدره . وفى هذا يقول أبو الطيب المتنبى :

لعمرك ما ضاقـت بـلاد بأهلها ولكـن أخـلاق الرجال تضيـق

بعد أن نجا الله خليله ورسوله إبراهيم ، آمن به مجموعة قليلة من قومه ، منـهم زوجه سارة ابنة عمه ــ كما جاء فى معظم كتب القصص[2] ، التـى تبـالغ فـى

(١) الثعلبى : عرائس المجالس ، ص ٧٧ .

(٢) الثعلبى : عرائس المجالس ، ص ٧٨ .

وصف جمالها ــ بعد أن صارت زوجة له . كما آمن به أيضا لوط ابن أخيه[١] ــ وفي بعض روايات أنه ابن أخته[٢] ــ وجماعة أخرى من أهله وقومه .

ويبدو أن إبراهيم الخليل ــ أشرف خلق الله عند الله بعد محمد عليهما السلام ــ أوجس خيفة على من آمنوا معه ، ففكر في الهجرة إلى بلاد الشام .. وبالتحديد إلى فلسطين ، حيث « أقام ومن معه في «شكيم» وهي مدينة نابلس »[٣] .

وإلى هذه الهجرة تشير الآية الكريمة : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

هذا قدر معظم الأنبياء والرسل أن يضطهدهم قومهم ، فتضيق بهم بلادهم ، وتكون الهجرة طريق الخلاص والبحث عن مكان جديد ، لنشر الدعوة إلى عبادة الله . حدث هذا مع إبراهيم ، وموسى ، ومحمد عليهم السلام . إن أرض الله واسعة، لذلك يجب أن يهاجر المؤمن من بلدة إلى أخرى ، إذا أحس أنه غير آمن على نفسه أو على دينه أو أهله . وإلى هذا تشير الآية الكريمة :

﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٥٦].

ثمة آية أخرى تؤكد الفكرة ذاتها .. هي :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء : ٩٧] .

ويبدو أن إبراهيم أقام في منطقة جنوب فلسطين هو ومن آمن معه .. بينما أقام لوط في مدينة تسمى «سدوم» ، تقع قرب منطقة تعرف اليوم باسم «إريحا» غربي البحر الميت ، وكان أهلها فجارا كفارا ، حاول لوط أن يدعوهم إلى عبادة الله والبعد عن الخطايا ، فلم يستجيبوا ، فأهلكهم الله بكفرهم وفساد أخلاقهم .

---

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٤٨ .

(٢) شوقي ضيف : الوجيز في تفسير القرآن الكريم ، ص ٥٤١ .

(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ١٢٣ .

أقام إبراهيم فى جنوب فلسطين ، وأخذ يدعو إلى عبادة الله فترة من الزمـــان — الله أعلم بعدتها . ثم رحل إلى مصر بسبب القحط والفقر .

ثمة تفاصيل كثيرة تروى — نقلا عن التوراة — عما حدث لـــه فـــى فلســطين ومصر فى هذه الفترة ، لن نذكرها ، وإنما نكتفى بذكر أنه أقام فى مصر مدة — لا يعلمها إلا الله — ثم عاد إلى فلسطين ومعه خير كثير .. وجارية تسمى هـــاجر . وظـــل يدعو إلى عبادة الله فى فلسطين ، وكانت زوجه عاقرا لا تلد . وقد بشـــرتها الملائكـــة بغلام عليم فى أثناء توجهها لعقاب قوم لـــوط .. ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝ ﴾ [الحجر : ٥١ — ٥٦][1] .

ميلاد إسماعيل والرحلة إلى وادى مكة

أراد ربنا — رب العالمين — أن يكافئ رسوله الخليل إبراهيم على ما تحمل من عذاب ومشقة وألم فى سبيل الدعوة إلى عبادته فى كل مكان يحل به ، لهذا وهبـــه ذرية صالحة ، فالمال والبنون زينة الحياة .. لكن المعجزة الإلهية مـــع إبراهيـــم ، تتمثل — هنا — فى أمرين :

الأول : إنه كان كبيرا فى السن ، ورغم ذلك رزقه الله بالبنين مـــن زوجيـــه : الصغرى هاجر أم إسماعيل .. والكبرى العاقر أم إسحاق .

الثانى : إن الله جعل فى ذريته النبوة والكتب السماوية ، فكل من أرسل بكتـــاب منزل ، كان من حفدة إبراهيم عليه السلام ، لذلك يسمى — بحق — أبا الأنبياء .

---

(١) نبئهم : أخبرهم يا محمد — ضيف : لفظ يطلق على المفرد والجمع .. المقصود أضياف إبراهيم من الملائكة — وجلون : خائفون .. وجل : صيغة مبالغة وصفة مشبهة باسم الفاعل — قانط : يائس .. اسم فاعل .

بنى إبراهيم بهاجر ودخل بها . ويبدو أن ذلك كان برضى من سارة التى أدركت أنها لن تلد ، لأنها عجوز عاقر . بعد مدة حملت هاجر وأنجبت إسماعيل عليه السلام ، ثم قرر إبراهيم أن يبعد أم إسماعيل عن سارة .. فهل حدث ذلك حتى لا يؤذى مشاعرها ، ويدخل الحزن على قلبها .. أم أن الغيرة اشتعلت فى صدرها ، وطلبت هى منه أن يبعدها ..؟!

لقد أراد الله سبحانه — فقط — أن يهيئ الأسباب .. ويجعل ذرية إبراهيم تعمر بقاع الأرض . كما يجب أن ندرك أن هذه الرحلة كانت سببا فى نشأة مكة وإعادة بناء الكعبة . أراد الله .. وما شاء فعل . هكذا يجزى الله عباده المؤمنين ، ويبارك فيهم وفى ذرياتهم . فتدبروا يا أصحاب العقول ، وسيروا فى طريق الحق ، يوفقكم الله ، ويبارك فى أهلكم وذرياتكم فى الدنيا والآخرة .

رحل إبراهيم بهاجر وإسماعيل بعيدا عن بيت المقدس إلى وادى مكة . هكذا جعل الله كل مكان حل فيه إبراهيم حرما آمنا . كانت أرض الحجاز قبل أن ينزل بها إبراهيم وآل بيته واديا غير ذى ماء ولا زرع .. ففجر الله بئر زمزم ، وبدأ كثير من الناس يفدون إلى حيث الماء ، وبدلهم الله من بعد خوفهم أمنا .

ترك إبراهيم أهله فى مكة ، وهو آمن مطمئن . وعاد إلى زوجته سارة التى حملت بعد ذلك ، وأنجبت له طفلا هو : إسحاق عليه السلام . وتحققت البشرى وقرت عين سارة ، لأن المعجزة قد تمت ، ورزقها الله بما بشرتها الملائكة به . رجل عجوز قارب المائة سنة .. وامرأة عاقر تجاوزت الثمانين .. لكن الله رزقهما ذرية صالحة مباركة . إنها معجزة .. ومنة من الله — الذى لا تحصى عطاياه — لإبراهيم ، الذى تحمل العذاب ، لكى يبلغ رسالة ربه .. وعطية لسارة ، التى صبرت ورضيت بقضاء الله — الذى حرمها من الإنجاب إلى حين . هكذا يهب الله المؤمنين والصابرين ، إنه هو الحكيم العليم الوهاب ، الذى يعطى من يشاء بغير حساب .

الفداء .. وبناء البيت الحرام

ظل إبراهيم فترة من الزمان يتنقل بين أسرتيه فى الشام والجزيرة العربية . وبعد أن شب إسماعيل عن الطوق ، صار صبيا فتيا ، يملأ عين أب طال حرمانه من عاطفة الأبوة ، ويحرك شغاف قلبه ، وتأنس إليه نفسه . فى تلك المرحلة التى تعلق فيها الأب المحروم بولده البكر – رأى رؤيا غريبة .. إن الله يأمره بذبح فلذة كبده . فماذا يصنع .. وإن طاوعه قلبه ، فهل يوافق على هذا ولده ؟ إن إبراهيم نفسه عصى والده ، ولم يقبل أن يشاركه فى عبادة الأصنام .. فهل يقدر ابنه على ما لم يقدر عليه أبوه ؟ شتان بين رغبة الأبوين : لقد خالف إبراهيم أباه ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . بينما وافق إسماعيل ، لأن هذا أمر من الله له ولوالده . وعلى الإنسان دائما أن يقبل كل ما يأمر الله به ، لأنه يعلم ما لا نعلم ، ويوجهنا لما فيه صلاح الدنيا وخير الآخرة . إن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع شتى من الأوامر والتكاليف ، فيظهر الفرق جليا بين المطيع المؤمن والعاصى الكافر . هنا يكون الثواب والعقاب قضاء عادلا . ويعلق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله :

«وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله فى أن يذبح هذا الولد العزيز ، الذى جاءه على كبر ، وقد طعن فى السن بعدما أمر بأن يسكنه هو وأمه فى بلاد قفر ، وواد ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع . فامتثل لأمر الله فى ذلك . وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه . فجعل الله لهما فرجا وخرجا ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان »[1] .

والآيات التى تصور ذلك فى سورة «الصافات» هى :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٦١ .

لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات : ١٠٢ ــ ١٠٧] .

لقد استجاب إبراهيم لما رأى فى المنام ، لأن رؤيا الأنبياء وحى صادق ــ وليست أضغاث أحلام . كذلك قبل إسماعيل أن ينفذ أبوه أمر الله فيه . وحينما أطاع الأمر ، فدى الله إسماعيل بذبح عظيم ، وجاءه جبريل حاملا كبشا من الغنم . منذ تلك اللحظة وإسماعيل .. وكل من سمى باسمه ، يكنى عنه باسم « أبو الفداء » ، لأنه قبل أن يضحى بنفسه ــ والجود بالنفس أقصى غاية الجود ــ من أجل مرضاة الله . وحين أطاع فداه الله وأنقذه بكبش سمين . وقد صار هذا اليوم ــ فيما بعد ــ موسما للمسلمين ، يحتفلون به كل عام .. وهو «عيد الأضحى» المبارك ، الذى يأتى فى موسم الحج .

جاء إبراهيم ــ بعد أن كبر ولده إسماعيل وصار رجلا ــ وحى من السماء يأمره ببناء الكعبة . واختيار هذا المكان ــ فى مكة المكرمة ــ كان وحيا منزلا من عند الله ، فأخذ إبراهيم يرفع القواعد من البيت الحرام بمساعدة ولده إسماعيل ، ووضع فيه الحجر الأسود المقدس . وهناك روايات تروى أن آدم هبط به من الجنة.. أو أن جبريل جاء به إلى إبراهيم . المهم أن تلك الروايات المختلفة لها دلالة واحدة ، هى قدسية ذلك الحجر الأسود .. الموجود بالكعبة إلى اليوم ، وتقبيله إحدى شعائر الحج والعمرة والزيارة .

إبراهيم الخليل إذن هو بانى الكعبة بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام . وثمة روايات أخرى تذكر أنه جدد البناء وأعاد تشييده . وإلى هذا الحدث العظيم ــ حدث بناء الكعبة ــ تشير بعض الآيات الكريمة ، ومنها :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨][1] .

---

(١) القواعد : ج قاعدة ، وهى الأساس الذى يبنى ويرفع عليه البناء . البيت : البيت الحرام ــ مسلمين : خاضعين لطاعتك ــ مناسك : ج منسك وهو موضع العبادة (اسم مكان) ــ الذرية : الأبناء والأحفاد ــ أمة : جماعة .

هكذا يكون إبراهيم مؤسس أول بيت يعبد فيه الله على الأرض . ولا يزال هذا البيت الحرام معمورًا بذكر الله وعبادته منذ رفعت قواعده إلى اليوم :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .

وقد جعل الله الكعبة بيتا طاهرًا للعبادة ، وحصنا شريفًا للأمان .. وأوجب على كل قادر الحج ، والعُمرة ، والزيارة ، تكريمًا لإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٥](1) .

وبعد أن أكمل إبراهيم رسالته ببناء البيتِ الحرام ، عاد إلى فلسطين ، حيث مات، ودفن ــ فى مدينة الخليل ــ بعد عمرٍ لا يعلمه إلا الله .

تعقيب .

تلك باختصار شديد .. أهم عناصر قصة إبراهيم الخليل ــ كما وردتْ فى الذكر الحكيم . وقد أوردتْ معظم كتب قصص الأنبياء تفاصيل كثيرة فى أثناء سرد قصته، لم نشأ ــ قَاصدين ــ أن نتعرضَ لها ؛ لأنها ــ فى مجملها ــ تؤكد مكانةَ هذا الرسول الكريم السامية ، وكيف أن الله أعطاه من صفات الخير وعلامات الفضل ، ما لم يخصَّ به غيره من الرسل والأنبياء ، لذلك يقول الله ــ سبحانه وتعالى ــ عنه:

---

(1) مثابة : مجمعًا ومرجعا للحجاج والمعتمرين والمقيمين والزائرين ــ أمنا : آمنا ، لا يتعرض أحد بسوء لمن يدخله ــ مقام إبراهيم : مكان بجوار الكعبة المشرفة . مُصلى : موضع للصلاة .. (اسم مكان) ــ طهّر بيتى من الأصنام والرجس ــ الطائف : الوافد أوْ الزائر ــ العاكف : المقيم ــ الركع السجود : جمع راكع وساجد .

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

وإبراهيم كان أمة بمعنى أنه كان معلما لكل صفات الخير ، وإماما فـى توحيـد ربه . وكان فى الفضائل وعمل الخير أمة ، أى جماعة كبيرة ، لأنه وفــى وفـاء كاملا كل ما أمر الخالق به .. وكان شاكرا لأنعم الله ، لذلك اختـاره وهـداه إلـى طريق الحق والخير .

مرة أخرى تصفه الآيات الكريمة بـهذا الوصـف : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

فالأواه : هو الذى يكثر التأوه والندم على ما فعل ، أو كثير الدعاء والاسـتغفار أملا فى رحمة الله ـ والحليم : الذى يضبط نفسه فلا يرتكب المعاصى .

«هذا هو إبراهيم خليل الرحمن ، والناجى من النيران ، ومقدم القربان ، ومشـيد البنيان ، ومكرم الضيفان ، وأول من يكسى فى الجنان »[(١)] .

« ... عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ـ ﷺ ـ قال إنكم تحشـرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ قوله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنـا كنا فاعلين » . وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام[(٢)] .. »

« ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل أولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أمر المصلى أن يقول فى تشهده ، ما ثبت فى الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره ، قلنا يا رسول الله : هذا السلام عليك قد عرفناه،

---

(١) الأحاديث القدسية : مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ (د. ت) جـ ٢ ـ ص ٢٥ .

(٢) ومعنى الحديث الشريف : إن الناس تحشر يوم القيامة (حفاة) ج حاف : أى بلا خف ولا نعل ، (عراة) : ألا لا ثياب عليهم ، (غرلا) : بضم الغين وتسكين الراء : أى غير مختونين ، والغرلة ما يقطعه الخاتن عند الختان ، وهى الغلفة .

وقيل إن الحكمة فى كون إبراهيم ـ عليه السلام ـ أول من يكسى فى الجنة ، لكونه جرد من ثيابه حين ألقى به فى النار بعد أن حطم الأصنام التى كان يعبدها قومه . والله تعالى أعلم .

فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين ، إنك حميد مجيد »[(1)] .

تلك أهم معالم السيرة العطرة لإبراهيم الخليل ، الذى كان أمة ؛ أى جماعة فى العبادة والتقوى ، وإماما فى الحق ومعلما لطرق الخير .. ووفى كل ما أمره الله به، فاجتمعت فيه كل خلال الخير وآيات البر . هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، إذ ليس على الله بمستنكر أن يجعل إبراهيم خليله ، ويشرفه بأن يكون أبا للأنبياء من بعده .

إبراهيم ــ الذى توقره كل الديانات السماوية ، لأنه أبو الأنبياء جميعا ــ ليس يهوديا ولا نصرانيا ، بل إمام كل الأنبياء ، والمبشر بكل الرسالات ، لذلك يقول عنه رب العزة .. ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٧ ، ٦٨] .

إذن .. لم الاختلاف حول الأنبياء .. وهم ليسوا إلا رسلا مكرمين ، مختارين ، ليبلغوا رسالة الله إلى البشر . إن كل الديانات السماوية ذات مصدر واحد .. وتدعو إلى أمر واحد : هو عبادة إله واحد .. والإيمان بدين واحد ، هو الإسلام .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٤ ــ ٦٦] .

---

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٨٥ .

تلك كانت أهم عناصر القصة العطرة لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد حاولنا أن نبرزها من خلال الآيات الكريمة التى وردت فى الذكر الحكيم ، واستبعدنا الكثير مما ورد فى بعض كتب قصص الأنبياء ، لأننا نقصد إلى تقديم السيرة من خلال القرآن الكريم فحسب . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب . وسلام على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .. وارضنا وارض عنا يا أرحم الراحمين !!

الفصل الثالث

موسى .. كليم الله

ورسول بنى إسرائيل

قصة موسى .. كليم الله

ثلاث شُعبٍ متجاورة

الحديثُ عن قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام .. كما وردتْ فى سور القـــرآن الكريم ـ ليس بالأمر السهل ، لأنه حديث طويلُ متشعِّب ، إذ أنه يفضى بالضرورة إلى قصص فرعية متنوعة ، وأخبار متفرقة مبثوثة فى أماكن مختلفة مـــن آيـــات الذكر الحكيم . إن الحديث عن قصة موسى يمضى فى ثلاث شعب ، ويســـير فـــى ثلاثة موضوعات كبرى ، هى :

أولا : قصص كثيرة وأخبار متنوعة حول شعب (بنـــى إســـرائيل) وعاداتـــهم وطبائعهم قبل بعثة موسى رسولا إليهم وإلى غيرهم من الشعوب ، بالإضافة إلـــى أنباء متفرقة عن صفاتهم وأخلاقهم بصفة عامة قبل بعثة موسى وبعدهـــا وفـــى أثنائها . وهى أخبار تبين بعض ما هم عليه من حب الجدل والرغبة فى المحاجـــة وتسويف العهد والنفاق .. وقد وردت أنباء بنى إسرائيل هذه فى كثير مـــن ســـور القرآن الكريم منها : سورة البقرة ، والمائدة ، والأعراف ، والإسراء ، ومريـــم ، وطه ، والشعراء، والنمل ، والسجدة ، وغافر ، والزخرف ، والدخان ، والجاثيـــة ، والأحقاف ، والصف . وهذا يدل على أن القرآن الكريم أراد أن يوضـــح للبشـــرية عامة ـ والمسلمين خاصة ـ خصال بنى إسرائيل ، وذلك مصداقا لقوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ **[النمل:٧٦]**.

الحديث عن هذه الشعبة من القصص حديث ذو شجون ، يطول شرحه ، وليست له ـ فى رأينا ـ علاقة وثيقة بقصة موسى عليه السلام ـ التى هـــى الموضـــوع الرئيسى فى هذا الكتاب ـ لأن بعض تلك الآيات الكريمة ، تتصل بعـــادات بنـــى إسرائيل وأخلاقهم قبل بعثة موسى ـ رسولا ـ وبعدها .

ونكتفى من ذلك بمثال واحد ــ مما وردَ فى سورة البقرة ــ هو :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠ ــ ٤٨].

يذكر «ابن كثير» فى معرض تفسير هذه الآيات الكريمة ــ باختصار ــ ما يلى: «يأمر الله تعالى بنى إسرائيل بالدخول فى الإسلام ، ومتابعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومهيجا لهم بذكر أبيهم (إسرائيل) .. وهو يعقوب عليه السلام.

وتقديره : يا بنى العبد الصالح المطيع لله ــ كونوا مثل أبيكم فى متابعة الحق .. (ومن) نعمة الله عليهم أن فجر لهم (من) الحجر (ماء) ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، ونجاهم من عبودية فرعون ، وجعل منهم الأنبياء والرسل والملوك ، وأوفوا بعهدى للنبى (محمد) ﷺ أرض عنكم وأدخلكم الجنة ، واخشونى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات .. وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، يعنى القرآن .. الذى أنزل على محمد مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل . ولا تكونوا أول كافر من بنى إسرائيل بالقرآن وبمحمد ، فإن يهود المدينة أول بنى إسرائيل (الذين) خوطبوا بالقرآن . وأنهم لا ينبغى أن يشتروا بآيات الله (أى الكتاب الذى أنزل إليهم .. وهو التوراة) ثمنا قليلا .. هو متاع الدنيا وشهواتها . كما ينهى الله اليهود أيضا عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل،

وتمويهه به ، وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل . فنهاهم عن الشيئين معًا . كما يأمرهم الله بالصلاة والزكاة والركوع مع الراكعين من أمة محمد . وكيف يليق بكم يا أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبرّ — وهو جماع الخير — أن تنسوا أنفسكم ، فلا تَأْتمِرون بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصَّر فى أوامر الله .. ألا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنبهوا من رقدتكم، وتبصروا من عمايتكم»[1] .

فهذه الآيات الكريمة وردتْ فى سياق سورة «البقرة» .

وكما هو معروف فإنها سورة (مدنية) ، أنزلت على الرسول بعد الهجرة إلى المدينة (يثرب) . وكان يعيش فيها بعض اليهود ، وقد علموا أن رسولاً سيبعثُ فى هذه البلاد — كما بشرتهم بذلك التوراة ، فظلوا هناك ينتظرون مجيئه ، وينظرون ما هو فاعل معهم . وحين جاءهم الرسول بما لا تهوى أنفسهم ، جادلوه وكفروا به. وقد أراد سبحانه أن يوضح لرسوله — من خلال سورة البقرة — مدى تعنت اليهود ونفاقهم وسوء أخلاقهم ، حتى يأخذ حذره منهم ، ويصبر عليهم ، بعد أن تعلمه الآيات الكريمة أن ما يفعلون معه ، قد صنعوه بأنبيائهم ورسُلهم من قبلُ . وحول هذا الرأى يذكر بعض العلماء :

« إن القصة التى أمر فيها موسى قومه بذبح البقرة ، لم يكن الغرض منها الإتيان بكل ما اشتملت عليه ، واندرج فيها من الحالات والأحكام ، بل الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد ﷺ نموذجا مما بلغ إليه تعنت بنى إسرائيل فى إبطائهم عن امتثال أمر الله ، ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به ، دون استيفاء القصة استيفاء كاملا ، يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة ، بل هو يقص علينا نمطا من تعنتهم وصلابة أعناقهم »[2] .

---

(١) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابونى — على نفقة حسن الشربتلى — ط دار القرآن الكريم — بيروت — جـ ١ — ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ط دار الكتب العلمية — بيروت — سنة ١٩٨٦ — ص ٣٥٥.

معنى ذلك أن قصة البقرة ، قد ساقها الله ــ سبحانه وتعالى ــ لبيان مدى تعسف بنى إسرائيل ومماطلتهم فى التعامل حتى مع الرسل والأنبياء . والأمثلة على ذلـــك كثيرة فى القرآن الكريم ولكن ليس هنا مجال لذكرها الآن .

بناء على هذا .. فسوف نستبعد من عرضنا لقصة موسى ــ عليـــه الســـلام ــ بعض الآيات والقصص الواردة فى القرآن الكريم ، والتى تدل على عادات اليـــهود وأخلاقهم بصفة عامة . ونقتصر هنا ــ فقط ــ على ما له علاقة مباشرة بقصة ذلك الرسول الكريم ــ موسى بن عمران ــ عليه سلام الله ورحمته .

ثانيا : قصص تتصل بسير بعض الأنبياء والصــــالحين ، الذيــن (عــاصرهم موسى)، وتعامل معهم فى مرحلة من مراحل حياته الطويلة ــ « تذكـــر بعــض الروايات أنه عاش حوالى مائة وعشرين سنة تقريبا .. والله أعلم »[1] .

ومن أهم الشخصيات التى تعامل معها موسى أو عاصرها :

١ ــ **آسيا زوجة فرعون** : التى كفلت موسى ــ وهو فـــى المـــهد صبيـــا ــ وصدقت برسالته فيما بعد . وقد ورد ذكرها فى سورة « التحريم » فـــى مجـــال ضرب المثل بينها وبين السيدة مريم ابنة عمران . وهذا يدل على ما خصها الله به من مكانة ســـامية . ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم : ١١][2] .

٢ ــ **أم هارون وموسى .. زوجة عمران** : وهى التى حملت وليدها موسى ــ طفلا ، وأرضعته وتعهدت تربيته ، حتى نجا بفضل الله من كيد فرعـــون وملئـــه ، وصار رسولا نبيا . فدور هذه الأم الصالحة ــ أيضا ــ كبير ، وذو أهمية خاصـــة فى حياة موسى .

---

(١) النيسابورى : قصص الأنبياء ، ص ٢٥٠ .

(٢) تراجع أيضا سورة القصص ــ الآية (٢٨) .

٣ ــ **هارون بن عمران** : شقيق موسى الأكبر ، ووزيره الذى كان يعاونه فى الدعوة ، ويخلفه فى هداية بنى إسرائيل عند غيابه . وهناك أنباء كثيرة وردت عنه فى سياق الحديث عن قصة موسى . وقد طلب موسى نفسه من رب العزة أن يجعل هارون وزيرا له ــ حين أمره أن يصدع بدعوة فرعون وقومه قائلا : ﴿ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢ ﴾ [طه : ٣٠ ــ ٣٢][١] .

معنى هذا أن هارون قد اشترك مع أخيه موسى فى تحمل أعباء الدعوة ، وهداية بنى إسرائيل . كما أن أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم من ذريته .. وليسوا من ذرية موسى .

٤ ــ **مصرى مؤمن** : آمن بموسى حين كفر به فرعون ، واعترض على محاولة إيذائه أو قتله من فرعون وجنوده .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨ ﴾ [غافر : ٢٨][٢] .

يبدو ــ والله أعلم ــ أن هذا الرجل هو الذى دافع عنه ، ونصحه بالخروج من مصر بعد أن قتل موسى مصريا من أجل واحد من بنى إسرائيل . وقد ورد ذكره فى سورة القصص .. ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ ﴾ [القصص: ٢٠].

وأبو إسحاق النيسابوري المعروف بالثعلبي ــ المتوفي سنة ٤٢٧ هـ ــ يذكر أن اسمه «حزقيل» .. «ويروى عن النبي أنه قال :

« سباق الأمم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب يس ، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة ــ وهو أفضلهم»[٣] .

---

(١) تراجع الآيات (٤٢ ــ ٤٦) من السورة نفسها .

(٢) تراجع الآيات من (٢٧ ــ ٣٣) سورة غافر .

(٣) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٥ ، ص ١٧٣ .

٥ ــ **النبي شعيب .. أو الرجل الصالح** : الذى لقيه موسى ــ فى أرض مدين ــ بعد هروبه من مصر ، وتزوج إحدى ابنتيه ، وأقام عنده عشر سنوات يرعى أغنامه . ويبدو أن هذه الفترة كانت فترة الإعداد للنبوة والتأهل لحمل الرسالة . يقول الرسول محمد ﷺ : «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم** »[1] ، لأن رعى الغنم يساعد على التأمل والتفكير فى قدرة الخالق وعظمة الإله وأمر الكون ومصير البشر وأحوال الكائنات .

ويبدو أن شعيبا عليه السلام (أو الرجل الصالح) ، قد أعجب بموسى ، من حيث الأمانة وحسن الخلق ، لذلك فإنه هو الذى طلب منه زواج إحدى ابنتيه .. حين قال ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص : ٢٧][2] .

معنى ذلك أن شعيبا هو الخاطب لإحدى ابنتيه من موسى .. حبا فيه ، وإعجابا به ، وتقديرا له ، لذلك ترك له حرية الاختيار . وهذا أمر صعب بالنسبة لأى أب . ولكن ذلك كان سهلا على شعيب .. الأب النبي ، فاتقوا الله .. ويعلمكم الله .

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل:« أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أكملهما وأفضلهما » . وروى أيضا أنه قال : « قضى أوفاهما ، وتزوج بصغراهما »[3] ، أى صغرى بنات شعيب[4]

---

(١) صحيح البخارى ، لجنة إحياء كتب السنة ، ط ٣ ، القاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) أنكحك : أزوجك ــ تأجرنى ثمانى حجج : ترعى أغنامى ثمانى سنوات ــ أشق عليك : أحملك تعبا فوق طاقتك .

(٣) النيسابوري : عرائس المجالس ، ص ١٧٥ .

(٤) يذكر النيسابوري أن صهر موسى هو شعيب .. وإن أشار إلى قدر من الشك فى ذلك .. (عرائس المجالس ، ص ١٧٥) أما ابن كثير فيذكر فى قصص الأنبياء : «وقد اختلفوا فى هذا الشيخ من هو ؟ فقيل هو شعيب عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين . وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحا به فى حديث (نبوي شريف) ، ولكن فى إسناده نظر . وروى ابن أبى حاتم وغيره عن الحسن البصرى : إن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب .. ولكن ليس بالنبي صاحب =

هذا هو الرجل الصالح الذى كان يسكن أرض مدين[1] .. وهى تقع فى الشمال الغربى للجزيرة العربية .. وجنوب شرق الأردن بالقرب من خليج العقبة . وقد أقام عنده موسى عشر سنوات .. لكننا لن نتعرض لقصته ــ أيضا ــ لأنها تحتاج إلى حديث خاص .

٦ ــ **العبد الصالح (الخضر)** : قال «ابن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه . فأوحى إليه : أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك يا موسى . قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ قال تأخذ معك حوتا ، فتجعله فى مكتل ، فحيثما فقدت الحوت ، فهو ثم »[2] .

ويبدو أن الله قد أراد أن يبين لرسوله موسى فى آخر حياته ، أنه لم يؤت من العلم إلا قليلا ، حتى لا يغتر بما أتاه الله من فضله . فأراد ــ جلت قدرته ، وتسامت حكمته ــ أن يوضح له أن فوق كل ذى علم عليما أعرف منه . وقد وردت إشارة إلى هذا العبد الصالح المعروف بالخضر[*] فى «سورة الكهف» .. ومما ورد فيها قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ ﴾ [الكهف : ٦٥][3] .

= مدين. وقيل إنه ابن أخي شعيب . وقيل ابن عمه . وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب اسمه «يثرون» . هكذا كتب أهل الكتاب : يثرون كاهن مدين ، أى كبيرها وعالمها .

وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله : اسمه يثرون : زاد أبو عبيدة : وهو ابن أخى شعيب . وزاد ابن عباس : صاحب مدين » ــ قصص الأنبياء ، ص ٣٠٧ .

وقد أخذ شوقى ضيف بالرأي الذي ينفي كونه شعيبا ، ويرى أن اسمه يثرون فى «الوجيز فى تفسير القرآن الكريم» ، حيث ذكر : «قيل كانت المرأتان ابنتى شعيب ، وقيل بل ابنتي رجل مؤمن من مدين ، وقيل بل ابنتي يثرون كاهن مدين ، كما ورد فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج بالتوراة » ص٦٣٨.. والله تعالى أعلم .

(١) ﴿ فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ [سورة القصص الآية : ٤٠]

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٤٠ .

(*) رواية أخرى تذكر أن العبد الصالح هو ذو القرنين . والله أعلم .

(٣) تراجع الآيات (٦٠ ــ ٨٢) من سورة الكهف .

تلك أهم الشخصيات المؤمنة .. التى عاصرت سيدنا موسى عليه السلام . وقد آثرنا ألا نتوقف عندها الآن ، لأن كل واحدة منها تحتاج إلى حديث خاص[١] .

هاتان شعبتان مختلفتان ترد أنباء عن بعض عناصر إحداهما .. أو كلتيهما عند الحديث عن قصة موسى عليه السلام ، لكن الاستجابة لمثل تلك الاستطرادات الجانبية ، تحتاج إلى كتب وأسفار ، وذلك ما يجعل القصة فضفاضة ، دونما كبير حاجة إلى مثل هذه الزيادة ــ فى إطار دراسة منهجية مثل دراستنا .

نتيجة لهذا الفهم فى التفسير والتأريخ ، آثرنا أن يقتصر الحديث على الشعبة (الثالثة) .. الخاصة بـ (قصة موسى) ــ عليه السلام . مع إشارة سريعة لبعض ما يرد فى أثنائها من أنباء فرعية .. وأخبار ثانوية ، حتى تكتمل عناصر القصة ــ كما وردت فى الذكر الحكيم .

---

(١) من أهم الشخصيات غير المؤمنة التى عاصرها موسى شخصية السامري ــ الذى أغوى بنى إسرائيل وأعادهم إلى عبادة العجل . وكذلك شخصية قارون .. الغنى البخيل الذى اغتر بماله .. وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم .

ثالثا : قصة موسى ــ عليه السلام

الموضع والدلالة :

موسى(*) بن عمران ــ ينتهى نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهم سلام الله ورضوانه . وهو نبي الله المختار .. ورسوله المصطفى .. ونجيه المجتبى . وهو مثل جده إبراهيم نشر رسالته فى مناطق مختلفة ، وتنقل هو وقومه ــ أيضا ــ فى أماكن كثيرة : مصر ــ سيناء ــ فلسطين . كما تحمل ــ مثله ــ ألوانا من الصلف والعذاب من القوم الذين أرسل إليهم . ومن يقرأ الكتب المقدسة جميعها : التوراة والإنجيل والقرآن .. يدرك ــ وبالقسوة ما يدرك ــ أن أبناء إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى ، عنيدون مفترون حتى على الرسل والأنبياء ــ الذين أرسلوا منهم .. وإليهم ــ وهذا واضح من نص الآية الكريمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝ ﴾[الأحزاب: ٦٩](١).

وقد ظلت تلك حالهم من الادعاء والافتراء والمحاجة والعناد حتى فى سنى موسى الأخيرة ، إذ هم دائما يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، لذلك فإنهم يستحقون عذاب الله ، الذى قال عنهم ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو

(*) ١ ــ يذهب بعض علماء المصريات إلى أن «موسى» اسم فرعونى خالص ، فكلمة «مس» ــ بضم الميم ــ فى اللغة المصرية القديمة تعنى : طفل ــ أو ــ وليد .

٢ ــ أحبار اليهود يرون أن كلمة «موسى» عبرية خالصة ، وتعنى «المنتشل من الماء» . وقد تحول فى العبرية الحديثة إلى « موشيه » .

٣ ــ علماء اللغات يقولون : اسم «موسى» تحول فى اللغة اليونانية القديمة إلى «موسس» . وهذا هو الاسم الشائع حتى الآن فى اللغات الأوربية الحديثة .

٤ ــ مما لا ريب فيه أن موسى عاش فى مصر منذ ولادته ، وتربى داخل القصر الملكى ، وأتيح له أن يتعلم اللغة المصرية القديمة وسائر العلوم والمعارف المخصصة لتعليم أبناء الملوك والأمراء .. بالإضافة إلى التدريب على التعاليم الأخلاقية ومبادئ الحرب والفروسية .

٥ ــ ليس من المستبعد أن يكون موسى فى صباه أو شبابه قد اتصل ــ بشكل أو بآخر ــ بالجالية اليهودية ــ التى ينتمى إليها ــ والتى كانت موجودة فى مصر آنذاك منذ وجود يوسف بن يعقوب .

(١) الذين آذوا موسى .. بعض سفهاء بنى إسرائيل الذين اتهموه ببعض العيوب الخلقية (فى جسده)، لكنه صبر حتى برأه الله . وكان موسى عند الله وجيها .. أى حظيا ذا قدر ، لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه .

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة : ٦١][1]

من أجل هذا فإن بعض كتب الدين والتاريخ تصف اليهود ــ وهى على حق ــ بأنهم «قتلة الأنبياء»..!! .

شتان بين موسى الذى آتاه الرب الكتاب والنبوة ، وكلم الله تكليما بوحى أو من وراء حجاب ــ حين ناداه قائلا: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه : ١٢ ــ ١٤][2] ــ وبين سفهاء قومه وأراذلهم الذين يؤذن خلق الله ، ويحسبون أنم يحسنون صنعا ــ كما سيتضح من خلال عرض أحداث القصة فيما بعد .

* * *

يأخذ موسى أهميته خاصة فى تاريخ الأديان السماوية ، لأن التوراة التى أنزلت عليه لا تزال موجودة بشكل محرف ، وأبناء شعبه لا يزالون باقين إلى اليوم .. ولم يختلفوا كثيرا ــ بشكل أو بآخر ــ عما كان عليه حال أجدادهم فى عهد موسى .

رحم الله موسى عليه السلام .. وجزى شعب بنى إسرائيل ــ الذين يدعون أنهم شعب الله المختار ــ على ما صنعوا فى حق أنبيائهم وأنبياء غيرهم .. وفى حق البشرية جمعاء ، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ويلبسون الحق بالباطل ، ويكتمون الحق وهم يعلمون .

سوف نورد ــ فى البداية ــ قبل عرض أحداث القصة :

أ ــ المواضع التى وردت فيها قصة موسى فى القرآن الكريم مرتبة بحسب ترتيب السور .

ب ــ النسبة بين ما هو مكى .. وما هو مدنى من الآيات الكريمة ودلالة ذلك .

---

(١) ضربت عليهم : كتبت وحلت على بنى إسرائيل ــ باءوا : عادوا ورجعوا .

(٢) طوى : اسم الوادى المقدس ، وهو مكان بأرض سيناء ، لذلك تعرب بدلا .

جـ ـ السور والآيات ، التى تتصل بقصة سيدنا موسى مرتبة بحسب الكـــثرة العددية للآيات ، بحيث نبدأ بأكثرها ، وننتهى بأقلها عددا .. وعند تســـاوى عـــدد الآيات نراعى ترتيب السور الكريمة فى المصحف الشريف .

وهذه طريقة موضوعية جديدة فى شرح قصص القـــرآن الكريـــم ، ألـــهمنا الله إياها.. وهدانا إليها بفضل منه وإحسان من لدنه .

مواضع ذكر موسى وقصته فى القرآن الكريم

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	الآيات	عددها
١	البقرة	٢	مدنية	٤٧ـ٧٤	٢٨
				٨٧	١
				٩٢ـ٩٣	٢
				١٠٧	١
				١٣٦	١=٣٣
٢	آل عمران	٣	مدنية	٨٤	١
٣	النساء	٤	مدنية	١٥٣ـ١٥٤	٢
				١٦٤	١=٣
٤	المائدة	٥	مدنية	٢٠ـ٢٦	٧
٥	الأنعام	٦	مكية	٨٤،٩١	١
				١٥٤	١=٣
٦	الأعراف	٧	مكية	١٠٣ـ١٥٦	٥٤
				١٥٩ـ١٦٦	٧=٦١
٧	يونس	١٠	مكية	٧٥ـ٩٣	٢٣
٨	هود	١١	مكية	٩٦ـ٩٩	٤
				١١٠	١=٥

٩	إبراهيم	١٤	مكية	٥ـ٩	٥
١٠	الإسراء	١٧	مكية	٢	١
				١٠١ـ١٠٤	٤=٥
١١	الكهف	١٨	مكية	٦٠ـ٨٢	٢٣
١٢	مريم	١٩	مكية	٥١ـ٥٣	٣
١٣	طه	٢٠	مكية	٩ـ٩٨	٩٠
١٤	المؤمنون	٢٣	مكية	٤٥ـ٤٩	٥
١٥	الفرقان	٢٥	مكية	٣٥ـ٣٦	٢
١٦	الشعراء	٢٦	مكية	١٠ـ٦٨	٥٩
١٧	النمل	٢٧	مكية	٧ـ١٤	٨
١٨	القصص	٢٨	مكية	١ـ٤٤	٤٤
١٩	العنكبوت	٢٩	مكية	٣٩	١
٢٠	السجدة	٣٢	مكية	٢٣ـ٢٤	٢
٢١	الأحزاب	٣٣	مدنية	٦٩	١
٢٢	الصافات	٣٧	مكية	١١٤ـ١٢٢	١٣
٢٣	غافر	٤٠	مكية	٢٣ـ٣٠	٨
				٣٦ـ٤٦	١١=١٩
٢٤	فصلت	٤١	مكية	٤٥	١
٢٥	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٦	الزخرف	٤٣	مكية	٤٦ـ٥٦	١١
٢٧	الدخان	٤٤	مكية	١٧ـ٣٣	١٧
٢٨	الأحقاف	٤٦	مكية	١٢	١
٢٩	الذاريات	٥١	مكية	٣٨ـ٤٠	٣
٣٠	النجم	٥٣	مكية	٣٦	١

٣٩	الصف	٦١	مدنية	٥	١
٣٢	النازعات	٧٩	مكية	١٥ــ٢٦	١٢
٣٣	الأعلى	٨٧	مكية	١٨ــ١٩	٢
٣٣	---	---	---	---	٤٥٩ ــ آية

نلاحظ من خلال هذا الثبت أن قصة موسى ــ دون أن ندخل فى الاعتبار مـــا نحيناه جانبا ، لأنه لا يتصل بها اتصالا مباشرا .. كما أوضحنا مـــن قبـــل ــ قـــد شغلت حيزا أوسع بالنسبة لعدد الآيات والسور الخاصة بقصتى نـــوح وإبراهيـــم .. عليهم جميعا السلام ــ كما يتضح من الجدول التالى :

مسلسل	القصة	عدد السور	عدد الآيات
١	نوح	٢٨	١٢٩
٢	إبراهيم	٢٤	٢١٠
٣	موسى	٣٣	٤٥٩

كثرة عدد الآيات والمواضع ، التى تتصل بقصة موسى ــ عليه السلام ــ يمكن أن توضح الدرجة الرفيعة ، التى حباها الله سبحانه لذلك الرسول الكريم ، وبالتـــالى تؤكد المكانة السامية ، التى يشغلها فى الإسلام وعند المسلمين .. كما تدل على ذلك آيات الذكر الحكيم .

نسبة الآيات المدنية والمكية

مسلسل	عدد الآيات	نوعها	النسبة
١	٤١	مدنية	٩%
٢	٤١٨	مكية	٩١%
--	٤٥٩	المجموع	١٠٠%

يلاحظ من خلال هذه النسبة الإحصائية :

١ ــ حوالى (٩١%) ــ تقريبا ــ من عناصر قصة موسى عليه السلام ، قــد وردت فى سور (العهد المكى) وآياته ، ويمكن أن يعلل ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من أن **المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية ، كان الرسول ﷺ والذين آمنوا معه فيها فى حاجة ماسة إلى قصص الرسل والأنبياء والصالحين ، حتى يصبروا على إيذاء الكافرين ، ويعرفوا أن ما يحدث لهم قد حدث لرسل وأمم قبلهم، وأن الله سبحانه وتعالى ينصر دائما رسله ، وينجى عباده المؤمنين** . ذلك ما تؤكده الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ **[النحل: ٣٦]**(١).

٢ ــ إن القرآن الكريم حين يقص أنباء السابقين وحكايات الأولين ــ التى لم يكن يعرفها الرسول وقومه ، فإن ذلك يؤكد أن النبي ﷺ رسول مختار ، وأن ما يأتي به القرآن من أنباء الغيب وأخبار من سبقهم ، برهان ساطع على أنه معجزة ، وأنه تنزيل من رب العالمين الذى يدعون إلى عبادته . هذا ما توضحه الآية الكريمة : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود : ٤٩] .

٣ ــ السور المدنية تشتمل على آيات محدودة بالنسبة لقصة موسى ــ باستثناء سورة البقرة التى تشتمل على (٣٣) ، آية وبعض آيات أخر خاصة ببعض عادات اليهود وأخلاقهم . والسبب فى هذا ــ فيما يبدو .. والله أعلم ــ أن اليهود كانوا موجودين فى يثرب ، التى هاجر إليها الرسول والمسلمون ، وقد أراد الله أن يوضح لرسوله مدى تعنت اليهود وتسويفهم ، حتى يوضح له وللمسلمين ولليهود أنفسهم ، أن ما يقومون به من ضلال ونفاق وعناد ، قد فعلوه من قبل مع رسولهم موسى عليه السلام . فهم قوم لا يحافظون على ميثاق ، لأنهم اشتروا الحياة الدنيا

---

(١) الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله ــ حقت : وجبت ــ الضلالة : الغواية والبعد عن طريق الحق .

بـــالآخرة.. ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

لقد أراد رب العزة ــ سبحانه وتعالى ــ أن يكشف لليهود ما هم فيه من ضلال وكفر .. حتى يتبينوا بعض ما خفى من آثامهم ، ويعرف الرسول والمسلمون عاقبة مكرهم ، لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله . من أجل ذلك ــ وغيره مما الله بــه أعلم ــ اهتمت سورة البقرة .. وهى سورة (مدنية) بالحديث عن بعض أفعال اليهود وعاداتهم وطبائعهم حتى مع أنبيائهم ، لكى يأخذ الرسول والمسلمون الحذر منهم .

٤ ــ كان يهود يثرب وخيبر أبصر خصوم محمد بمصير دعوته ، ومع ذلك فقد ظلوا أحرص الناس على معاداته وتأليب العرب عليه . وقد تحير بعض أهل قريش فى أمر محمد ودعوته ، خاصة وأنهم رأوه يكسب كل يوم مزيدا مـــن الأنصـــار ، وتجذب دعوته كثيرا من الأخيار ، فسألوهم : « يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتـــاب وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينـــه ؟ قـــالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . وإلى ذلك يشير القرآن الكريـــم فـــى قولـــه تعـــالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء : ٥١ ، ٥٢] .

« فى موقف اليهود هذا من قريش وتفضيلهم وثنيتهم على توحيد محمد ، يقـــول الدكتور إسرائيل ولفنسون فى كتابه ــ تاريخ اليهود فى بلاد العرب : « كان مـــن واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمـــام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من عبادة التوحيد الإســـلامى ، ولـــو أدى الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ، لأن بنى إسرائيل ، الذين كانوا مدة قـــرون حـــاملى راية التوحيد فى العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين ، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد فى عصور شتى من الأدوار

التاريخية ، كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين . هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام ، إنما كانوا يحاربون أنفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام ، والوقوف معهم موقف الخصومة»[1] .

من أجل ذلك عنى القرآن الكريم ببيان أحوال اليهود وأنبائهم .. زجرا لهم من ناحية ، وتحذيرا للمسلمين من ناحية أخرى .

* * *

ملاحظة هامة وعامة

نود الإشارة إلى أننا استبعدنا من تفسيرنا ـ لقصص الرسل ـ الزيادات والاستطرادات التى ذكرها بعض المفسرين الأوائل.. وتعرف باسم «الإسرائيليات»، وهى التى تقدم بعض التفاصيل التى بعد عنها النص القرآنى . والمصادر الإسرائيلية تجعل هذه القصص أقرب إلى كتب التاريخ والسير والحكايات الشعبية ، التى تعنى بذكر سلسلة النسب ، ومحاولة تحديد التواريخ والأماكن الجغرافية ، وتعنى بسرد التفاصيل والأحداث الهامشية ، وسرد الغرائب والعجائب .

أما قصص القرآن الكريم فلم تعن بذلك ، لأنها موظفة فى أهداف أكثر سموا ونبلا ، حيث تهدف إلى تثبيت قلب الرسول ﷺ ومن آمن معه ، وتقديم الحكمة والموعظة الحسنة لهم ، وإظهار بعض أوجه إعجاز القرآن حين يخبر بقصص الرسل السابقين والشعوب الأولين .

كما جاء فى قوله تعالى : «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك فى هذه الحق وموعظة للمؤمنين » [هود : ١٢٠][2] .

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد . ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ ـ ص ٣٢٠ .

(٢) انظر فى تفصيل هذه القضية : آمال ربيع : الإسرائيليات فى تفسير الطبرى ، الثقافية العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٢ .

ترتيب السور الكريمة

التى ورد فيها ذكر موسى وقصته

مسلسل	اسم السورة	عدد الأيات
أ ــ ١	طــه	٩٠
٢	الأعراف	٦١
٣	الشعراء	٥٩
٤	القصص	٣٨
٥	البقرة	٣٣
٦	يونس	٢٣
٧	الكهف	٢٣
٨	غافر	١٩
٩	الدخان	١٧
ب ــ ١٠	الصافات	١٣
١١	النازعات	١٢
١٢	الزخرف	١١
١٣	النمل	٨
١٤	المائدة	٧
١٥	هود	٥
١٦	إبراهيم	٥
١٧	الإسراء	٥
١٨	المؤمنون	٥

مسلسل	اسم السورة	عدد الأيات
ج ـ ١٩	النساء	٣
٢٠	الذاريات	٣
٢١	الأنعام	٣
٢٢	مريم	٢
٢٣	الفرقان	٢
٢٤	السجدة	٢
٢٥	الأعلى	٢
٢٦	آل عمران	١
٢٧	العنكبوت	١
٢٨	الأحزاب	١
٢٩	فصلت	١
٣٠	الشورى	١
٣١	الأحقاف	١
٣٢	النجم	١
٣٣	الصف	١
المجموع	٣٣ سورة	٤٥٩ ـ آية

السور والآيات الكريمة

التى ورد فيها ذكر موسى وقصته

نقدم ــ فيما يلى ــ السور والآيات الكريمة ، التى تشتمل عليها المواضع القرآنية .. مرتبة ترتيبا تنازليا .. بحسب العدد الكلى للآيات فى السور المختلفة سواء أكانت مكية أم مدنية ، لكى نجمع ــ فى سياق واحد ــ كل ما أورده الله سبحانه فى مجال قصة موسى ، حتى نظهر بصورة شمولية كل ما يتصل بعناصر بناء القصة ــ كما وردت فى القرآن الكريم .. أو بمعنى آخر يظهر وجه من وجوه (إعجاز القرآن) . إن الله ــ جلت قدرته ــ لم يشأ أن يقدم قصص الرسل والأنبياء دفعة واحدة ، بل إنه أيضا كان يقدر ــ لو شاء ــ أن ينزل القرآن جملة واحدة على قلب نبيه الأمين . لكنه أراد ــ ولا راد لمشيئته ــ أن ينزل القرآن منجما .. حسب مقتضى الحال والمناسبات المختلفة ، التى تطرأ للرسول والمسلمين ، ذلك أن **القرآن الكريم لم يوح به الله سبحانه ــ إلى رسوله ــ مرة واحدة .. كذلك لم تنزل قصص الرسل والأنبياء دفعة واحدة . وفى هذا التجزىء والتفصيل ، والشرح بعد الإيجاز ، والإيجاز بعد البسط ، تأكيد لبعض المعانى السامية ، التى يريد المولى سبحانه أن يوضحها لعباده من خلال تلك القصص .**

كما أن تجزىء القصص يعد ملمحا من ملامح التشويق .. وعنصرا من عناصر الجذب نحو التفكير فى الأهداف النبيلة ، التى من أجلها ساق الله تلك القصص الواعظة ، والأمثال الزاجرة . فى هذا وغيره وجه مشرق من وجوه (إعجاز القرآن) الكريم .. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝ ﴾ **[فصلت : ٤١ ــ ٤٢]** .

فالقرآن ــ الذى أنزل بهذه الكيفية (المنجمة) والحالة المجزءة ــ معجز بكل ما يحمل من معان ، وما يتشكل به من أساليب ، لذلك يتحدى الله الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله . ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن

يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

إن الله جعل معجزة كل رسول مما نبغ فيه قومه .. وإذا كان قوم موسى قد نبغوا فى (السحر) ، فقد جعل الله فى عصا موسى مجالا للسحر ، لدرجة أن السحرة أنفسهم سلموا بقدرة الله فى عصا موسى ، ومن ثم أسلموا لله على يديه ، وآمنوا برسالته دون أن يأذن لهم فرعون ، وهذا ما توضحه الآيات الكريمة :

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه: ٧٠ ، ٧١] .

أما العرب فقد كانوا أرباب فصاحة وبلاغة ، لأنهم (أمة شاعرة) ، تجيد فنون القول ، ويأتى الأدب فى مقدمة إنجازات حضارتهم ودرة إبداع مخيلتهم .. لذلك كانت معجزة الرسول محمد ﷺ الأولى .. هى القرآن الكريم ، لذلك تحداهم فى مجال عبقريهم وتفوقهم ، وهو القدرة على تأليف الكلام البليغ ، وطلب أن يؤلفوا مجرد سورة ـ سورة واحدة ، تشبهه فى البلاغة والإعجاز . وهذا ما توضحه الآيات الكريمة من سورة البقرة : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٣ ، ٢٤] .

وقد عجز كل الذين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله ، كما ضاقت صدور بعض الكافرين عن أن تتسع لنور الإيمان وهدى القرآن ـ رغم أنه تنزيل من رب العالمين .

دلالة هذا العجز عن الإتيان بسورة واحدة ـ تشبه أيا من سور القرآن المائة والأربع عشرة (١١٤) ـ أن القرآن الكريم معجز بأصوات مفرداته .. وتراكيب ألفاظه .. وتنسيق سوره ، لذلك .. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الحشر : ٢١] .

السور التى ورد فيها ذكر موسى

أولا : سورة طه

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ
لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟
عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾
وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ
ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾
وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا
مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ
نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾
أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ
لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ
أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا
فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾
ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا
رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ
وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ

جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ
ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ
أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا
عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا
وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾
كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾
قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ
ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ
يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ
وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن
سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ
ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ
أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا
وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ

ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ
يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ
عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ
هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ (٨٢) * وَمَآ أَعْجَلَكَ
عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)
قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ
أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى (٨٦) قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى
ٱلسَّامِرِىُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ
مُوسَىٰ فَنَسِىَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)
وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (٩٠) قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ
يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمَّ
لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى (٩٦) قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ
لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ
ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ [طه : ٩ ـ ٨٩]

ثانيا : الأعراف

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ
إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ
ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ
وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾
وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا

جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ
إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ
ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ
وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ
عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ
يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ
عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ
يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ
لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ
سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ
لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ
قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ
وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ
مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن

يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٥١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ [الأعراف : ١٠٣ ــ ١٥٦]

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٩ ــ ١٦٦] .

ثالثا : الشعراء

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١) * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦٨) ﴾

[الشعراء: ١٠ ــ ٦٨].

رابعا : سورة القصص

﴿ طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧) فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ (٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا

بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ
فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ
مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ
وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ
مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ
لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ
مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ
ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ
قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى
ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا
لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا
نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ
أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا
وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ
تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن
رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ
مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ
مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ
وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ » [القصص : ١ ـ ٤٤]

خامسا : سورة البقرة

« يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا
ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ
ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾
۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ
أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟
وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا
هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ
فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ
عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ

وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة : ٧٤ ــ ٧٤]

سادسا : يونس

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس : ٧٥ ـ ٩٣] .

سابعا : سورة الكهف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن

يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف : ٦٠ ـ ٨٢] .

ثامنا : سورة غافر

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [غافر : ٢٣ ـ ٣٠] .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ

وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر : ٣٦ ــ ٤٦] .

تاسعا : سورة الدخان

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الدخان: ١٧ ــ ٣٣] .

عاشرًا : سورة الصافات

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الصافات : ١١٤ ـ ١٢٢] .

حادى عشر : سورة النازعات

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات : ١٥ ـ ٢٦] .

ثاني عشر : سورة الزخرف

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف : ٤٦ ـ ٥٦] .

ثالث عشر : سورة النمل

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل : ٧ ــ ١٤] .

رابع عشر : سورة المائدة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة : ٢٠ ــ ٢٦] .

خامس عشر : سورة إبراهيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾ [إبراهيم : ٥ ــ ٩] .

سادس عشر : سورة الإسراء

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾ [الإسراء : ٢] .

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۝١٠٠ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝١٠٣ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤ ﴾ [الإســــراء : ١٠٠ ــ ١٠٤] .

سابع عشر : سورة المؤمنون

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المؤمنون : ٤٥ ـ ٤٩] .

ثماني عشر : سورة النساء

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [النساء : ١٥٣ ، ١٥٤] .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

تاسع عشر : سورة الذاريات

﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات : ٣٨ ـ ٤٠] .

عشرون : سورة الأنعام

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] .

واحد وعشرون : سورة هود

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود : ٩٦ ، ٩٧] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ [هود : ١١٠] .

اثنان وعشرون : سورة مريم

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم : ٥١ ــ ٥٣] .

ثلاث وعشرون : سورة الفرقان

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الفرقان:٣٥،٣٦].

أربع وعشرون : سورة السجدة

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة : ٢٣ ، ٢٤] .

خمس وعشرون : سورة الأعلى

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩] .

ست وعشرون : سورة آل عمران

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

سبع وعشرون : سورة العنكبوت

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٩٣] .

ثمان وعشرون : سورة الأحزاب

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٩] .

تسع وعشرون : سورة فصلت

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [فصلت : ٤٥] .

ثلاثون : سورة الشورى

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى : ١٣] .

واحد وثلاثون : سورة الأحقاف

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف : ١٢] .

اثنان وثلاثون : سورة النجم

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النجم : ٣٦] .

ثلاث وثلاثون : سورة الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف : ٥] .

الإطار .. والمغزى

إن قصة موسى عليه السلام تعد واحدة من أهم قصص الرسل – التـــى وردت فى القرآن الكريم ، لأنها تتكون من أحداث مختلفة ومواقف متعددة وحكم متنوعة . لكننا سوف نتوقف فقط عند أهم الخطوط الرئيسية الكبرى ، التى تشكل أهم عناصر بناء قصته من خلال آيات الذكر الحكيم ، ليكون فيها عبرة لأولى الألباب ، وهــدى ورحمة لقوم يؤمنون .

يؤكد المعانى السابقة التى أشرنا إليها بالنسبة لقصة موسى – عليه السلام – أن المولى عز وجل بعد أن يذكر بعض العناصر منها فى سورة «طه» .. يختمـــها – موجها الخطاب إلى رسوله محمد – بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [طه : ٩٩ ، ١٠٠] .

فقصة موسى ترد مثل غيرها – فى القرآن – لتكون سبيلا للهداية ، وطريقـــا للإيمان بالله ورسوله وكتابه . وسوف نحاول أن نقدم عرضا موجزا لها فيما يلى :

مولد موسى ونجاته من القتل

وفد يعقوب وأبناؤه إلى مصر ، واستقروا بها بعد أن صار يوســـف الصديـــق وزيرا لملك مصر ، بعد أن صدق تفسيره للحلم ، الذى رأى فيه سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . وبعد أن صار وزيـــرا فى مرحلة القحط والجدب ، استقدم أهله إلى مصر ، لينعموا معه بخيرها وأمنـــها . والقرآن يشير إلى ذلـــك بقولـــه : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف : ٩٩] .

لكن أبناء يعقوب .. أو (بنى إسرائيل) – كما سماهم القرآن – دخلـــوا مصـــر آمنين ، لكنهم – فيما يبدو – لم يحسنوا الإقامة ، ولم يردوا الجميل ، لذلك عزلـــهم

الفراعنة عن أبناء مصر ، وصاروا مواطنين من الدرجة الثانية . وما ظلمهم المصريون .. لكن كانوا هم أنفسهم يظلمون ، بعد أن صاروا جالية كبيرة العدد ، بالغة الإساءة ، شديدة المكر ، واسعة الحيلة . يذكر النيسابورى : « إن بنى إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس ، وعملوا بالمعاصى ، ووافق خيارهم أشرارهم ، ولم يأمروا بالمعروف ، ولم ينهوا عن المنكر ، فسلط الله عليهم القبط (المصريين) فاستضعفوهم ، وساموهم سوء العذاب ، فذبحوا أبناءهم .. قال أبو إلياس قال وهب : بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعين ألف ولد »[1] .

التساؤل الأول ــ الذى يرد مع بدء الحديث عن قصة موسى عليه السلام .. ولم يقدم له القرآن الكريم إجابة صريحة ــ لسبب لا يعلمه إلا الله ، هو :

هل كان فرعون مصر يقتل الأبناء الذكور من بنى إسرائيل ، لأن الكهنة والعرافين أخبروه أنه سيخرج من صلبهم ولد ، يكون موته على يديه .. أم أن الفراعنة كان يميلون إلى قتل أطفال بنى إسرائيل الموجودين فى مصر بسبب نفاقهم وسوء معاملتهم ؟! ثمة سبب ثالث مؤداه أن زيادة النسل كانت كبيرة فى بنى إسرائيل ، لدرجة أن الفراعنة خشوا أن يزيد عددهم عن عدد المصريين ، لذلك كان حكام مصر يقتلون أبناء سنة ، ويعتقون أبناء سنة أخرى . الدليل على هذا أن هارون الأخ الأكبر لموسى ، لم يتعرض لما تعرض له أخوه الأصغر موسى .

هل ثمة رأى من هذه الآراء يرجح الآخر ، أم أن الأسباب الثلاثة مجتمعة هى السر فى طلب فرعون قتل الطفل موسى ؟! علم ذلك عند الله .. فالحقيقة واحدة ، وإن تنوعت الأسباب ، التى لا تعنينا فى شىء ، لأن الله ــ لم يشأ أن يظهرها ، وإنما أراد فقط أن يبين لنا أنه إذا أراد شيئا ، فلا راد لقضائه . لقد قتل فرعون الأطفال الذكور ، الذين ولدوا فى السنة التى ولد فيها موسى الرسول المنتظر ، لكن الطفل الوحيد ــ مصدر الخطر ــ نجا بفضل الله وعنايته . وهذا معنى يؤكده قول الشاعر :

---

[1] أبو إسحاق النيسابورى : عرائس المجالس ، ص ١٦٩ .

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم ، فالمخاوف كلهن أمان

الآيات الكريمة التى تصور نجاة موسى عليه السلام ـ وهو فى المهد صبيا ـ من فرعون ، وردت فى أكثر من سورة ، منها ما جاء فى «سورة طه» : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه:٣٧ـ٤٠].

ثمة آيات أخر تصور نجاة موسى من القتل وعودته إلى أمه فى « سورة القصص » وهى قوله عز من قائل : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: ٧ ـ ١٣] .

إنها لإحدى العبر أن يفسر القرآن بعضه بعضا ، وأن يكمل بعضه بعضا .
فالآيات الكريمة من سورتى « طه .. والقصص » تدلان على موقف واحد ، ولكن ثمة قدر يسير من الاختلاف فى التفاصيل ، والتنوع فى طريقة التعبير . فآيات سورة « القصص » تقدم وصفا جليلا لما حدث لموسى الرضيع بعد الولادة ،

وموقف الأم والأخت ، ثم موقف فرعون وزوجه ، ونجاة موسى من بطش فرعون وهامان ، ليكون مصدرا للعداوة والحزن ، لأن نهاية فرعون ستكون بالغرق والموت جزاء مافعل ، إذ ادعى الألوهية ، وفرق الناس إلى شيع وأحزاب ، واستضعف طائفة من بنى إسرائيل ، يقتل ذكورهم ، ويسبى بناتهم . من أجل ذلك وغيره نجى الله موسى ، لينعم على المستضعفين فى الأرض ، ويبدل ذلهم عزا ، وخوفهم أمنا ، وعبوديتهم سيادة .

هذا بينما تعبر آيات « سورة طه » عما من به الله ــ سبحانه ــ على موسى ، وكيف نجاه من بطش فرعون ، وتلك نعمة تضاف إلى نعم الله عليه ، الذى يجب أن يؤمن به ، ويدعو الناس إلى عبادته .

وجه الإعجاز فى هذه الآيات الكريمة ، يتمثل فى عدة مور ــ نذكر بعضها .. والله أعلم بمجملها :

الأول : إن الله جل شأنه أراد أن يعرف الرسول محمدا ﷺ والمؤمنين بقصة موسى ــ عليه السلام ــ التى لم يكونوا يعرفونها ، فأطلعهم الله على تاريخ من مضوا من الرسل والكافرين ،ليكون فى قصصهم عبرة لمن أراد معرفة الحق الواضح ، الذى تقدمه آيات القرآن الكريم .

على هذا تبدأ السورة الكريمة بقوله تعالى : ﴿ طسٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ ﴾ [القصص : ١ ، ٢] معنى ذلك أن من علامات إعجاز القرآن الكريم ما يقصه من أنباء الأمم السابقة ، لأن الإخبار بالغيب إحدى سمات الإعجاز القرآنى .

الثانى : طريقة النظم المعجز ــ «والنظم» .. كما يعرفه عبد القاهر الجرجانى:

« وجملة الحديث أنا لا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاما من غير روية وفكر ، فإن كان راوى الشعر ومنشده يحكى نظم الشاعر على حقيقته ، فينبغى أن لا يتأتى له رواية شعره إلا بروية ، وإلا بأن ينظر فى جميع ما نظر فيه الشاعر من أمر النظم . وهذا ما لا يبقى معه موضع لعذر الشاك .

هذا وسبب دخول الشبهة على من دخلت عليه ، أنه لما رأى المعانى لا تتجلى للسامع إلا من الألفاظ . وكان لا يوقف على الأمور التى بتوخيها لا يكون (النظم) إلا بأن ينظر إلى الألفاظ مرتبة على الأنحاء التى يوجبها ترتيب المعانى فى النفس . وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ ، فيقال : « قد نظم ألفاظا فأحسن نظمها، وألف كلما فأجاد تأليفها » ، جعل الألفاظ الأصل فى النظم ، وجعله يتوخى فيها أنفسها ، وترك أن يفكر فى الذى بيناه من **أن النظم هو توخى معانى النحو فى معانى الكلم ، وأن توخيها فى متون الألفاظ محال** .. »[1] .

لقد سبق عبد القاهر الجرجانى علماء الأسلوبية المعاصرة ، الذين يرون أن شعرية الأدب تتحقق من خلال (السياق) أو (النسق) الأسلوبى ، الذى يؤلف به الأديب أدبه ، أما الجرجانى فقد أدرك فى القرن الخامس الهجرى .. أن بلاغة الأدب تتحقق من خلال (النظم) ، إذ لا مزية للألفاظ فى حد ذاتها .. أو للمعانى وحدها ، وإنما يتحقق جمال التعبير من خلال تآلف أجزاء الجمل مع دلائل المعانى . وأنه يستحيل أن يكون جمال التعبير سببه اللفظ أو المعنى منفصلين ، وإنما يتحقق ذلك من خلال التآلف الوثيق بينهما . واستقر رأيه على أن الإعجاز يتشكل من خلال توخى انسجام قواعد النحو مع معانى الكلام .. بهذا النسق وحده يكون الكلام بليغا .

ولاريب فى أن بلاغة القرآن المعجزة وصياغته العظيمة ، هى التى أوحت للجرجانى (ت ٤٧١ هـ) بهذه النظرة الأسلوبية ـ التى سبق بها عصره .

نعود إلى الآيات الكريمة التى ذكرنا أنها تقدم الموقف الأول من حياة موسى ونجاته من كيد فرعون وبطشه ، وتصور تصويرا رائعا تفاصيل ما حدث من أم موسى وأخته .. ومن فرعون وزوجته . وقد جاءت الآيات الكريمة الدالة على هذا الموقف معجزة النظم جليلة النسق ، فهى معجزة من حيث بنية الألفاظ ، وتركيب

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ـ تحقيق محمود شاكر ، ط الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٦١ .

الجمل ، ودلالة المعانى . إنها – مثل كل آيات الذكر الحكيم – معجزة من كل زاوية ، وبليغة من كل منظور ، ولما كانت أسرار إعجاز القرآن لا تحصى ، وقضايا بلاغته لا تستقصى .. اعترفنا للقرآن الكريم بالفضل والكمال ، لعلمنا بالقصور والتواضع ، ثم قلنا فى ضراعة العبد المنيب : سبحانك ربنا وتعاليت ، ما أعجزنا نحن البشر عن أن نحدد أسرار الإعجاز فى قرآنك الكريم ، الذى أنزلته على نبيك العظيم . ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

يعقد الإمام جلال الدين السيوطى (٨٤٩ – ٩١١ هـ) فى كتابه «الإتقان فى علوم القرآن » فصلا مطولا عن **وجوه إعجاز القرآن المختلفة** ، ويشرح كل وجه منها شرحا مفصلا ، ويذكر صاحبه . ومن تلك الآراء رأى القاضى عياض (ت٥٤٤) وهو : «اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب ، الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

الثانى : صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب ، المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته . ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له .

الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ، فوجد كما ورد .

الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الداثرة[1] ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب ،

---

(١) الشرائع : (ج شريعة) الأديان – الداثرة : المندثرة – المنتهية .

الذى قطع عمره فى تعلم ذلك ـ فيورده الرسول ﷺ على وجهه ، ويأتى به على نصه ، وهو أمى لا يقرأ ، ولا يكتب .. »[1] .

الخروج من مصر إلى أرض مدين

أول نعمة يمن بها الله سبحانه وتعالى على موسى أن نجاه من الموت ـ وهو فى المهد صبيا ـ وأعاده إلى أمه ، لترضعه بعد أن عاف كل المراضع . فأصبح موسى ابنا لفرعون بالتبنى .. وصارت له أمان : الأولى أمه الحقيقية ـ التى تنكرت فى شخصية ظئر[2] ترضعه ، والثانية زوجة فرعون التى شغفها حبا وحنانا منذ طالعت محياه ، وطلبت من فرعون ألا يقتله قائلة : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ [القصص : ٩] .

بعد أن كبر الطفل عاش فترة من الزمان فى قصر فرعون ، وتربى تربية أبناء الملوك ، فدرس العلم ، وتدرب على الفروسية . وهذه التربية البلاطية إعداد مادى وتأهيل ثقافى لمرتبة النبوة ، التى اختاره رب العزة للقيام بها ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

يبدو أن موسى عليه السلام قد أدرك منذ وقت مبكر ـ صراحة أو ضمنا ـ أنه (عبرانى) عن طريق أمه التى أرضعته ، لذلك فإنه حين خرج ـ وهو فى بداية عهد بالشباب ـ يمشى فى شوارع المدينة وجد رجلا مصريا ، يريد أن يأخذ رجلا عبرانيا ، ليسخره فى بعض أعماله ، فرفض العبرانى وطلب معاونة موسى . ويبدو أيضا أن الحوار بينهما تحول إلى معركة ، فتدخل موسى لنصرة العبرانى ووكز المصرى ـ أى ضربه بكف مضمومة الأصابع ـ فقتل على إثر هذه الضربة . فندم موسى على ما فعل ، وتضرع إلى الله ، لكى يتوب عليه ، ولا يجعله نصيرا لأهل الشر .

---

[1] جلال الدين السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط دار التراث ـ القاهرة ـ د . ت ـ جـ ٤ ، ص ١٦ .

[2] ظئر : مرضعة .

بعد هذا وجد موسى العبرانى الذى نصره يتعارك مع مصرى آخر ، فهم بقتله، لكن المصرى ذكر له ، أنه يريد قتله ـ كما قتل مصريا آخر بالأمس . هنا أدرك موسى أن السر قد أذيع ، فآب عن رغبته فى البطش ، وفكر فى الهرب من مصر، حين أخبره رجل طيب بأن القوم يبحثون عنه ، ليأخذوا ثأر القتيل . فخرج من المدينة خائفا يتلفت ، حتى يعرف هل هناك من يتبعه أم لا . ومضى فى طريقه راجيا ربه أن ينقذه من القوم الظالمين .

ظل موسى يسير إلى أن وصل أرض مدين ، وهى تقع فى شرق خليج العقبة ـ شمالى الحجاز وجنوب شرق الأردن ، لأن موسى ـ عليه السلام .. فيما يبدو ـ أراد أن يفر إلى منطقة نائية ، حتى يكون بعيدا عن بطش فرعون وجنوده .

بعد أن وصل موسى إلى أرض مدين .. جلس يستريح تحت ظل شجرة ـ قرب عين ماء ، كان مجموعة من الرعاة يسقون أنعامهم منها ، وفيهم فتاتان تقفان بعيدا بأغنامهما انتظارا لدورهم الأخير فى السقى بسبب ضعفهما وقلة حيلتهما ، لأن الأقوياء هم الذين يردون الماء فى البداية . أشفق موسى على الفتاتين الضعيفتين ، فقام وساعدهما فى سقى أغنامهما ، ثم عاد مرة ثانية إلى ظل الشجرة. وما لبث أن جاءته إحداهما تمشى ، وتسعى على استحياء قائلة : إن أباها يريد أن يكافئه على ما صنع . فلما رآه الرجل العجوز اطمأن قلبه إليه ، وطلب منه أن يرعى أنعامه ثمانى سنوات نظير أن يكفله ، ويزوجه . وقد تزوج موسى إحدى ابنتى هذا الرجل ، حيث رغب الرجل نفسه فى ذلك ، بعد أن أعجب بأمانة موسى وعفته . **تلك هى المنة (الثانية) التى أنعم بها الله على موسى** ـ عليه السلام ـ بعد نجاته من القتل وهو طفل صغير .

وبعض المفسرين مختلفون : هل الرجل الصالح الذى صاهره موسى هو النبى شعيب أم رجل طيب من قوم شعيب..[1] ؟ المعروف والشائع أنه شعيب نفسه . وهناك حديث يروى عن الرسول ﷺ يؤكد هذا الرأى المعروف ويدعمه ، وهو

---

[1] عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

قوله: «أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا فى موسى فأصابتا : إحداهما امرأة فرعون حين قالت : قرة عين لى ولك لا تقتلوه ، والأخرى بنت شعيب حيث قالت : يا أبت استأجره ، إن خير من استأجرت القوى الأمين» [1] .

ومن الأسئلة التى يطرحها بعض المفسرين أيضا : هل قضى موسى فى أرض مدين ثمانى سنوات أم عشرا ..؟ ــ استنادا إلى الآيات الكريمة :

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القصص : ٢٦ ــ ٢٨] .

ثم يفرعون عن هذا السؤال سؤالا آخر ، هو : هل تزوج موسى الابنة الصغرى أم الكبرى ؟ ثمة حديث شريف آخر يسند للرسول ﷺ يجيب عن السؤالين .. معناه: «روى أنه قال : قضى أوفاهما ، وتزوج بصغراهما» [2] .

بيد أن التساؤل الأهم من وجهة نظرنا فى هذا الصدد هو : ماذا فعل موسى خلال تلك السنين العشر ، التى قضاها فى أرض مدين ــ مصاحبا الرجل الصالح ؟ وهل كان يرعى الغنم فحسب ؟!

فى تقديرنا أن الله سبحانه وتعالى هيأ له تلك الفترة التى سبقت بعثته مباشرة ، لكى يتعلم الحكمة والهداية من هذا الرجل الصالح . كما أن رعى الأغنام كان يعطيه فرصة كبيرة للتأمل والتفكير فى مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى ، وفى أمر الكون المنظم الذى أحسن الله خلقه ومسيرته . وهذا قريب مما سوف يحدث لرسول الله محمد ﷺ ، الذى رعى الغنم قبل زواجه من السيدة خديجة . فكلا الرسولين ــ عليهما السلام ــ ساعدتهما فترة الرعى على التدبر فى أمر الله وفى

---

(١) أبو إسحاق النيسابوري : عرائس المجالس ، ص ١٧٥ .

(٢) النيسابوري : عرائس المجالس ، ص ١٧٥ ــ أوفاهما : أى عشر سنين . والمعنى أن موسى قضى أكمل الفترتين ، وتزوج صغرى البنتين » .

خلق السماوات والأرض . وقد أهلتهما هذه الفترة للإيمان بالله والاستعداد لحمل الرسالة وتبليغ دعوة الحق . وهذا رأى مستلهم من معنى الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وهذا يدل على أن ليس ثمة تعارض بين العقل والشرع . فكل البشر لو تدبروا أمر الكون لآمنوا بخالقه وأطاعوا رسله ، الذين يدعون الناس إلى عبادة الله بالعقل والمنطق ، ويقنعونهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى طريق الحق والفلاح فى الدنيا والآخرة . والرسل رضوان الله عليهم حين يذكرون البشر بمظاهر قدرة الله حتى يؤمنوا ، لا يكرهونهم على الإيمان ، وإنما يتركون لهم فرصة لحرية الاختيار .. ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية : ١٧ ــ ٢٢] .

التكليف بالرسالة والعودة إلى مصر

بعد أن قضى موسى أوفى الأجلين فى أرض مدين ، فكر فى العودة إلى مصر ، وصحب معه زوجته وبعض أهله وبعض أغنامه . وفى ليلة ــ وهو يعبر صحراء سيناء ــ وجد نارا تضىء من بعيد . ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٠ ــ ١٤] .

تلك هى المنة (الثالثة) الكبرى ـ التى أنعم الله بها على رسوله موسى ، فقد تجلى له ، وخاطبه وكلمه ، لذلك يسمى موسى « كليم الله » . وبعض المفسرين من أهل السنة والصوفية مختلفون فى كيفية هذا الخطاب الإلهى بين الله سبحانه وتعالى ورسوله الكليم ـ خاصة وأن تلك المعجزة التى اختص الله بها موسى عليه السلام وحده .

لكن الذى نراه ونؤمن به أن الخوض فى مثل تلك التفاصيل ، أمر لا مبرر له ألبتة . وسواء أكلم الله سبحانه وتعالى رسوله مباشرة ، أم عن طريق وحى يوحى ، أم من وراء حجاب ، فهذا أمر نتركه لعلم الله ومشيئته .

بعد ذلك أمر الله نبيه أن يتوجه بالرسالة إلى فرعون وملئه ، وأن يدعوهم هو وأخوه هارون إلى عبادة الإله الخالق ـ الذى يستحق وحده العبادة والربوبية ـ لأن فرعون أضل قومه فعبدوه من دون الله . كما توجه موسى بالرسالة أيضا إلى بنى إسرائيل . وهذا ما توضحه الآية الكريمة : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ﴾ [الإسراء : ٢] .

الصراع بين الإيمان والكفر

توجه موسى وأخوه هارون إلى فرعون وملئه ترعاهما عناية الله ، وتحفظهما قدرته ، وطلبا منه أن يؤمن بالله ، وأن يسمح بخروج بنى إسرائيل من مصر ، حتى لا يعذبهم ولا يتحكم فيهم بعد ذلك . لكن فرعون ـ فعل مثل ما فعل النمروذ من قبل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ سأله متماديا فى الظلم والتجاهل : من الرب الذى تدعونى إلى عبادته ؟ طال الجدل والحوار .. لكن الكافر لم يؤمن ولم يقتنع ، وظن موسى ساحرا ، جاء ليخرجه وقومه من بلادهم بسحره . جمع فرعون السحرة من كل مكان ، حتى يهزموا موسى الساحر ـ كما ظن فرعون وهامان وقومهما . إن المصريين كانوا قد برعوا فى السحر فى تلك الفترة بدرجة كبيرة ،

لذلك جعل الله إحدى معجزات موسى هى السحر ، لأن معجزة كل رسـول تكـون فيما برع فيه قومه ونبغوا ، حتى يقدروا قيمة تلك المعجزة[1] .

جاء السحرة ومعهم فرعون إلى الموعد والمكان المحددين للمباراة والمنافسـة بين موسى وبينهم . وما أجمل أن نتعرف على ما حدث فى هذا الموقف الصعـب من خلال قوله ــ عز من قائل ــ بأبلغ تعبير وأنصع بيان :

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه : ٦٥ ــ ٧٣] .

إن المعجزة واحدة .. وهى أن عصا موسى تحولت ــ بإذن الله ومشـيئته ــ إلى حية كبيرة ، تلتهم كل الأفاعى والثعابين الصغيرة ــ التى كانت فـى واقـع الأمـر عصى السحرة وحبالهم . حين رأى السحرة ما حدث ، آمنوا برب موسى وهارون. أما فرعون فقد ظل على عناده وطغيانه وكفره . الموقف واحد ــ والآية واحـدة .. لكن شتان بين من آمن ، ومن كفر . بناء على هذا الاختيار الحر من البشـر فـى الدنيا ، فإن المولى ــ جل وعلا ــ لا يسوى بين الناس فى الآخرة ، لذلك يعقـب ربنا على هذا الجزء من قصة سيدنا موسى بقوله ــ وهو العادل المقسط :

---

[1] راجع السيوطي : الإتقان فى علوم القرآن ــ تحقيق محمد أبو الفضـل إبراهيـم ، ط دار الـتراث ــ القاهرة ــ جـ ٤ ، ص ٩ .

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه : ٧٤ ـ ٧٦] .

طال الحوار والجدل بين موسى وهارون من ناحية .. وفرعون وهامان من ناحية أخرى ، لكن فرعون استخف بموسى وطلب من هامان أن يبنى له صرحا عاليا ، حتى يصعد إلى السماء ، لعله يرى إله موسى الذى يتحدث عنه . كما أخذ يفتخر بأن له ملك مصر وما بها من ثروة وحضارة بسبب نيلها العظيم . ثم أخذ فرعون يستهين بموسى الذى آمنت به طائفة من الناس مع أنه مهين ، ولا يكاد يبين ويوضح كلامه .. بسبب لثغة فى لسانه . كما أنه فقير لا يملك ذهبا ، ولا تساعده الملائكة . كما يظهر من الآيات الكريمة :

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزخرف : ٥١ ـ ٥٤] .

ظل فرعون وقومه على عنادهم وتكذيبهم لموسى ، وإصرارهم على إيقاع ضروب الإذلال والإهانة ببنى إسرائيل ، فأرسل الله إليهم بعض أنواع العذاب ليزدجروا مثل الجدب ونقص الثمرات والزروع ، وسلط عليهم الجراد والقمل والضفادع وغيرها من الحشرات صغيرة الجرم ، عظيمة الأذى والضرر(*) .

(*) فى فترة وجود موسى ـ فى مصر ـ حدثت (قصة قارون) ، الذى أنعم الله عليه بالعلم والمال ، فجمع ثروة عظيمة، لكنه كان شحيحا بخيلا ، ورفض أن يعطى الفقراء والمساكين مما أعطاه الله ، فخسف به وبداره الأرض ، حتى يكون عبرة لغيره من بخلاء البشر .

تراجع سورة القصص [الآيات ٧٦ ـ ٨٣] . وفى تقديرنا أن (نموذج) قارون ـ الغني البخيل .. لا يزال موجودا بين اليهود حتى اليوم . والحديث عن خصال بنى إسرائيل وطبائعهم السيئة ـ التى توارثوها أبا عن جد ـ أمر يطول =

الخروج .. ومعجزة شق البحر

أدرك موسى عليه السلام بعد أن طال الحوار ، واشتد الصراع بينه وبين فرعون أن لا فائدة من البقاء . فدعا ربه ، وجاءه الوحى وأمره بالخروج من مصر إلى فلسطين . وحين علم فرعون بذلك جمع جيشه ، وانطلقوا فى إثر موسى وبنى إسرائيل ، ليمنعوهم من الهروب ، ويردوهم مرة ثانية إلى ما كانوا فيه من ذل واستعباد . وقد أدركوهم بالقرب من خليج السويس . حوصر موسى وقومه : البحر أمامهم والعدو خلفهم ، فماذا يصنعون ولا قدرة لهم على مواجهة فرعون وجنوده؟!

إن الله سبحانه لا يتخلى عن عباده المؤمنين ، فأوحى إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر ، فانفلق بقدرة الله سبحانه . وبعض المفسرين يقولون إن البحر بعد أن انفلق « تباعد الماء من الجانبين حتى ظهرت الأرض ، وأشرف فى ذلك الحين فرعون على الموضع الذى عبر منه بنو إسرائيل ، فرأى طريقا فى البحر ، لا وعورة فيه ، وبنى إسرائيل بين فرقى الماء لم يمسهم أذى ، فطمع أن يعبر فى إثرهم هو وجنوده ، فاقتحموا طريق اليابس فى البحر خلف بنى إسرائيل . فلما جاوز بنو إسرائيل البحر ، ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة ، وفرعون قد توسط البحر وجنوده ، انطبق البحر عليهم ، وعاد كما كان أولا ، وغرق فرعون وجنوده ، ولم يفلت منهم أحد ممن اقتحم الماء »[1] .

تلك هى المعجزة الإلهية (الثانية) لعصا موسى عليه السلام ، حيث شقت البحر بقدرة الله ومشيئته . وهذه آية لم يعطها الخالق العظيم لأحد من رسله وأنبيائه ، فقد

---

* شرحه، لذا لم نذكر منها إلا ما كانت له علاقة مباشرة بقصة موسى ــ عليه السلام ــ معهم ، لأن البخل والغدر والنفاق ونقض العهد وسوء الظن .. وغير ذلك من بذور الشقاق ورذائل الأخلاق . كل ذلك صار فطرة محكمة فيهم، تظهر عند تعاملهم مع غيرهم من البشر ، بل إن أنبياءهم ومنهم موسى نفسه تعرض لكثير من الأذى منهم .

والقرآن الكريم يشير ــ فى أكثر من موضع ــ إلى مخالفتهم لرسولهم موسى ــ عليه السلام ــ ومحاولة عصيانه وإيذائه عمدا .. من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ﴾ [الصف : ٥] .

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٢٧٦ .

جعل لموسى فى عصاه هذه بعض المعجزات العظام ، حتى يقتنع قومه أن ما يفعله أمور خارقة فوق طاقة البشر وقدرتهم ، ويقولوا الآن حصحص الحق .. تلك كرامات لا تحدث إلا لرسول مختار ، يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد القهار .

وقد صور القرآن الكريم هذا المشهد الجليل فى سورة «الأعراف» و«يونس» و«الإسراء» و«طه» و«الشعراء» و«الزخرف» و«الدخان» و«الذاريات» .. وقد سبق ذكر هذه الآيات الكريمة جميعها ، ونذكر منها موضعا واحدا ورد فى «سورة يونس» :

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس : ٩٠ ـ ٩٢][1] .

موسى وقومه فى سيناء

قصة موسى الرسول ـ عليه السلام ـ تنقسم إلى قسمين كبيرين ، كل قسم منهما يختلف عن الآخر فى نوعيه المعجزات التى أظهرها الله على يديه ، وفى طبيعة الصراع ، الذى تحمله ـ هو وأخوه هارون ـ من أجل الدعوة إلى الإيمان بالواحد الأحد وعبادته ، ليدرك البشر ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه : ٧٤ ، ٧٥] .

---

[1] يذهب عبد الوهاب النجار إلى أن «فرعون المذكور فى الآيات الكريمة هو «منفتاح»، والمومياء الخاصة به موجودة فى المتحف المصرى ، وقد وجدت جثته مع غيرها فى مقبرة «أمنحتب الثانى» بالأقصر» ـ قصص الأنبياء ، ص ٢٧٩ .

القسم الأول : فيه من المعجزات الدالة أن الله سبحانه أنقذ موسى من الموت وهو طفل رضيع ، وجعله ينشأ فى بيت الحاكم ، ويتربى تربية أبناء الملوك ، ثم يتعرف على قومه بنى إسرائيل ، ويرى ما هم فيه من ذل واستعباد . ثم فراره إلى أرض مدين ، وزواجه ورعيه الغنم . وعند العودة إلى مصر فى الوادى المقدس طوى من سيناء ناداه ربه ، وأمره أن يدعو فرعون وأهله إلى عبادة الله . ثم ظهرت له أيضا فى هذه المرحلة إحدى معجزات العصا حين تغلبت على سحر السحرة . كما كان يضع يده فى جيب ثوبه ، ثم يخرجها فتبدو ناصعة بيضاء للناظرين .. لكن كل هذه المعجزات والآيات البينات لم تزد فرعون ومن اتبعه إلا ضلالا وطغيانا ، فأمره الله أن يخرج من مصر ، ويعبر ببنى إسرائيل البحر إلى سيناء بمعجزة أخرى من المعجزات ، التى وضعها الله فى عصاه .. وهى شق البحر . وصراع موسى وهارون فى هذه الفترة كان فى معظمه يدور مع (فرعون) وقومه، الذين طغوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد .

القسم الثانى : الذى سنقدم شرحا موجزا لأهم عناصره ــ استمر فيه ظهور البراهين الساطعة والأدلة الناصعة لبنى إسرائيل على يدى موسى عليه السلام ، بيد أنهم كانوا ــ كثيرا ــ ما يخلفون الوعد ، وينقضون العهد ، ويطلبون من نبيهم مطالب عدة ، ويجادلونه فى أمور كثيرة ، ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

أليس ذلك أمرا عجيبا من بنى إسرائيل .. الذين نجاهم الله وهداهم ، لكنهم لم يشكروا الله ، ولم يطيعوا رسوله فى كثير من المواقف ، التى سنفصلها ــ كما وردت فى آيات الذكر الحكيم ، لأن بعض قصص الأنبياء قد دخلتها زيادات وإضافات وتفصيلات كثيرة ، بعضها مستمد من «التوراة» فى إطار ما يسمى بالإسرائيليات ، وبعضها الآخر قريب إلى الحكايات الشعبية أكثر مما هو قريب من سيرة الشخصية التى تدور حولها القصة . ونحن فى هذا الشرح الموضوعى لسير

أولى العزم من الرسل ، نلتزم ــ فقط ــ بما ورد فى القرآن الكريم ، لأنـــه جـــاء مصدقا لما سبقه من الكتب المقدسة ومهيمنا عليها .

يبدو ــ والله أعلم ــ أن بعض بنى إسرائيل آمنوا برسالة موســـى خوفـــا مـــن فرعون الذى أذاقهم ألوانا من العذاب والذل ، فلما نجوا من ظلم فرعون وعذابـــه ، بدأوا يتمردون على موسى نفسه ، ويخالفون تعاليمه . فطلبوا منـــه بعـــد العبـــور والنجاة أن يتخذ لهم إلها مجسدا مثل أصنام المصرييـــن ، لكنـــه لا مـــهم وســـفه أحلامهم.. و﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ثم أخذوا بعد ذلك يشـــتكون مما يلقون من عناء وقلة الزاد وندرة الماء ، فرزقهم الله من الطيبات ، وساق لـــهم المن[١] .. والسلوى (طائر السمان) ، وفجر لكل سبط (جماعة) عينا من المـــاء ، لا يزال بعضها موجودا إلى اليوم فى منطقة تسمى «عيون موسى» جنوب سيناء .

ترك موسى قومه ، وهم فى رخاء وبلهنية ، ومعهم أخوه هارون ــ ليكون نائبا عنه ــ وذهب للقاء ربه ، بعد أن تبتل صوما وصلاة ودعاء أربعين يوما . وعندما حل موعد الميقات كلم موسى ربه ، قائلا بخشـــوع وخضـــوع .. ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

بعد أن أفاق كليم الله من غشيته ، كلمه ربه وأخبره أنه اصطفاه ، ليبلغ الرسالة، ويحمل الوصايا إلى بنـــى إســـرائيل .. ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

---

[١] المن : طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ، ويحلو وينعقد عسلا ، ويجف جفاف الضمغ ، وقيـــل هو العسل المأخوذ من الشجر .. أو هو ما من الله به على العباد .

تلك (معجزة) أخرى لم تعط لرسول غيره .. وهى أن موسى كـــان يكلــم الله تكليما، ويتلقى الوحى والهدى منه . كما أنه خص ــ مثل غيره من أولى العزم ــ برسالة منزلة من عند الله لهداية قومه ، فيها موعظة وتفصيل لكل شيء .

عاد موسى حاملا الألواح التى خطت فيها الآيات والوصايا ، التى تلقاها علـــى سفح جبل الطور ، فوجد أن السامرى[1] أضل قومه ، وصنع لهم عجلا جسدا لــــه خوار ، ليعبدوه فى أثناء غيابه ، فغضب موسى على أخيه هارون الذى اســتخلفه ، وهم أن يأخذ بتلابيـــه (يعاركـــه) .. ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ [طه : ٩٤] .

ثم أخذ موسى العجل ونسفه فى اليم (البحر) نســفا ، حتــى يعلــم الجميــع أن السامرى خدعهم ، وأن ربهم هو الله الذى لا شبيه له ولا شريك ، وأنه وسع كـــل شيء علما .

الرحلة إلى أرض فلسطين

أعاد موسى قومه إلى طريق الهداية بعد أن أضلهم السامرى ، وأطلعهم علـــى الوصايا التى تلقاها من رب العزة سبحانه . بعد ذلك جاءه الأمر بأن يرحـــل هـــو وبنو إسرائيل من سيناء إلى الأرض المقدسة ــ فلسطين ــ فأرسل بعض أتباعـــه ، ليكتشفوا حالة البلاد قبل أن يدخلوها ، فرأوا قوما ذوى أجسام ضخمـــة ، وخوفـــوا قومهم من القدرة على لقائهم . وكعادة بنى إسرائيل ــ فى الجـــدل والمســـاومة ــ طلبوا من موسى أن يحارب هو وربه نيابة عنهم ، فعاقبهم الله بأن جعلها محرمـــة عليهم أربعين سنة ، يهيمون خلالها فى الأرض مشردين ضائعين . والآيات التـــى تصور ذلك هـــى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ

---

[1] السامرى نسبة إلى قبيلة تسمى السامرة .. وسامر نطقها فى العبرية «شومير» مـــن مـــادة شـــمر أى حرس، عبد الوهاب النجار ، ص ٣٠٥ .

فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة : ٢٠ ــ ٢٦][1] .

وقد مات هارون عليه السلام خلال فترة التيه ، وحزنت عليه بنو إسرائيل كثيرا، لأنه كان أكثر شفقة ــ من موسى ــ بهم . ومن المعروف أن أنبياء بني إسرائيل وملوكهم بعد ذلك من ذرية هارون ، وليسوا من ذرية موسى .

توالت أحداث كثيرة خلال هذه الفترة مثل نتق الجبل ورفعه فوق بني إسرائيل ، حتى يتعظوا ويطيعوا الله ورسوله .. ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [البقرة : ٦٣ ، ٦٤] .

ومن المواقف التي حدثت في هذه الفترة الأخيرة من حياة موسى عليه السلام موقف (ذبح البقرة) من أجل إحياء ميت قتل ظلما . ومن المعروف أن بني إسرائيل

---

[1] الأرض المقدسة : أرض فلسطين ــ وقيل المراد بيت المقدس ــ ترتدوا : ترجعوا إلى ما كنتم فيه من ضلال وزيغ ــ جبارين : أقوياء يبطشون بمن يدخل أرضهم .. وهم الكنعانيون ــ أنعم الله عليهما .. بالشجاعة وعدم الخوف وقوة الجسم ــ الباب : باب سور بيت المقدس ، وقيل الطرق المؤدية إلى فلسطين، وقيل الطرق المؤدية إلى مدينة أريحا .. والله أعلم . يتيهون : يضلون ــ تأس : تحزن .

لم يذبحوها إلا بعد جدل ولجاج طويل[1] . وهذه الحادثة تدل على معجزة غريبة صنعها الله لرسوله ، لكى يقوى إيمان قومه به ، إذ يبدو أن الإسرائيليين كانوا فى حاجة دائمة إلى معجزات متجددة ، حتى يتمسكوا بالإيمان ، لأنهم ـ كما وصفهم القرآن الكريم ـ ذوو قلوب قاسية مثل الحجارة أو أشد قسوة .

وقد بلغ من تماديهم فى الفسوق والعصيان أنهم طلبوا من موسى أن يشهدوا كلامه مع الله سبحانه . لكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل طلبوا أن يشهدوا الله جهرة بأعينهم ، فأهلكهم الله بسفاهتهم ، حتى يكونوا عبرة لغيرهم . وقد ورد ذكر هذه الواقعة فى سورة الأعراف .. ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٥٥][2].

فى هذه المرحلة أيضا حدث اللقاء بين موسى والعبد الصالح (الخضر) .. وسبب ذلك ما يروى عن رسول الله ﷺ : «إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال أنا . فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه . فأوحى الله إليه : إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يا رب كيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا ، فتجعله فى مكتل ، فحيثما فقدت الحوت ، فهو ثم »[3] .

وقد وردت هذه القصة فى سورة الكهف (الآيات من ٦٠ ٨٢) ، وهى تدل على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين لرسوله أن فوق كل ذى علم من هو أعلم منه . وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة .. ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ ﴾ [الكهف : ٦٦] .

---

(١) تراجع الآيات فى سورة البقرة ـ (٦٧ ـ ٧٤) .

(٢) ميقات : الوقت المحدد للقاء ـ رجفة : رعشة وهزة شديدة ، وقد خشى موسى أن يكون ذلك دلالة على غضب الله عليهم ، ورغبته فى إهلاكهم نتيجة ضلالهم وطغيانهم حين طلبوا منه أن يروا الله جهرة بأنفسهم ـ السفهاء : سفيه ، ضعيف العقل والإدراك .

(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٤٠٠ ـ مكتل : كيس ـ ثم : هناك .

إن عناصر قصة موسى ـ عليه السلام ـ فى القرآن الكريم ، كثيرة ومتعددة ، سواء وهو فى مصر ، أو فى سيناء أو فى أرض مدين أو عند حدود فلسطين ، وقد حاولنا أن نختصر شرحها ـ قدر الطاقة ـ لأننا نود أن يكون تتبع عناصرها من خلال الآيات الخاصة بها فى القرآن الكريم ـ التى سبق ذكرها كاملة ـ حتى نتعرف على إطار القصة من آيات الذكر الحكيم ، ونستلهم العبرة من قول رب العالمين ـ دون حاجة إلى ما ورد فى الإسرائيليات أو فى بعض الحكايات الشعبية.

وفى نهاية الحديث نذكر أن هارون مات قبل موسى عليهما السلام . ويبدو والله أعلم أن موسى لم يعمر بعده طويلا . وتروى فى وفاة موسى روايات عدة ، بعضها مسند إلى رسول الله ﷺ[1] . ويذكر «ابن كثير» أن موسى توفى وعمره مائة وعشرون سنة ـ والله أعلم[2] . وقد توفى موسى فى فترة التيه ، لذلك يبدو أنه لم يدخل مع قومه أرض فلسطين ـ والله تعالى أعلم ـ وقد دخلوها فى عهد خليفته يوشع بن نون ، وهو الذى رعى بنى إسرائيل بعد وفاة موسى .

هكذا انتقل موسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ، واستمرت قصة دخول بنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة (فلسطين) على يد النقباء أو الأسباط ـ وهم من ذرية يعقوب عليه السلام ـ الذين تولوا قيادة بنى إسرائيل من بعد موسى . وهذا ما توضحه الآية الكريمة ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [المائدة : ١٢][3] .

(١) راجع قصص الأنبياء لابن كثير القرشى ، ص ٤٣١ ـ ٤٣٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ ـ أبو إسحاق النيسابوري ، ص ٢٤٨ .
(٣)نقيبا : نصيرا ومساعدا ـ عزر : عزز وأيد ـ أقرضتم الله .. بإعطاء الصدقات .

نود أن نصل بعد هذا إلى أن الحديث عن مسيرة بنى إسرائيل لم تتوقف فى القرآن الكريم وفى التاريخ بوفاة موسى عليه السلام . ونظرا لأن قصص بنى إسرائيل وأنبيائهم الذين جاءوا بعد موسى ليست لها علاقة قوية بقصة هذا الرسول الكريم ، لهذا سنتوقف عند هذا الحد ، ولن نتجاوزه إلى ما عداه ، فذلك حديث آخر — لا علاقة له بسيرة موسى بن عمران ، التى التزمنا بها فى الشرح والتفسير دون ما عداها .

تعقيب

إن قصة موسى الرسول الكريم — عليه السلام — تعد من أطول قصص الرسل أولى العزم فى القرآن الكريم ، فهى أطول من قصتى نوح وإبراهيم عليهما السلام. كما ظهر من العرض الموجز لعناصر القصة أنها تشتمل على أحداث كثيرة ، وكل حدث منها يحمل معجزة واضحة ودلالة مؤكدة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤكد لقوم موسى أنه رسول مختار ، مؤيد بمعجزات خاصة ، حتى يؤمنوا بالرسالة ويصدقوا الرسول .

ومعجزات موسى بن عمران تبدأ منذ مولده .. وبهذا يخاطبه رب العزة سبحانه ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه : ٣٧ — ٣٩][(١)] .

كما أن موسى ابتلاه ربه أكثر من مرة ، حين قتل المصرى وخرج خائفا يترقب.. وحين ذهب إلى أرض مدين وحيدا .. وحين ظل يرعى الغنم عشر سنوات . كل ذلك الابتلاء كان وسيلة لتطهير الروح وصفاء النفس ، حتى يكون رسولا مؤهلا لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة ، لا سيما وأن الله سبحانه وتعالى خصه بما لم يخص به غيره ، حيث كان وحده هو الذى كلم الله تكليما .

---

(١) البينات : الأدلة الواضحة على وجود الله — فطرنا : خلقنا .

وحين أمره رب العزة أن يتوجه إلى فرعون بالرسالة ، ويدعوه إلى عبادة الله ، لم يتردد ولم يضعف — رغم أنه كان يعرف مدى قوة فرعون وجنوده . وظل هـو وأخوه هارون يدعوان إلى عبادة الله ، وصمدا لطغيان فرعون وهامـان ، اللذيـن أصرا على الكفر — على الرغم مما أظهره موسى — عليه السلام — من معجزات بينات ، مثل : قدرة العصا على إبطال سحر السحرة .. وهى التى سيشق بها البحر أيضا ، وهى التى سيضرب بها الأرض فتتفجر عيون الماء . وهو الذى أنـزل الله عليه كتابا مقدسا ، فيه حكم ومواعظ وتعاليم ووصايا .. وغير ذلك من المعجـزات والهبات التى منحها الله — سبحانه — لموسى وقومه . لكن موسى لم يصبر علـى إيذاء فرعون فحسب ، بل صبر أيضا على كثير من المواقف الحرجة التى كان بنو إسرائيل أنفسهم يفعلونها معه رغبة فى الجدل والمساومة . وقد ظل ذلك ديدنهم معه حتى قبيل وفاته ، حين عزم على أن يدخل بهم الأرض المقدسة ، وطلـب منـهم القتال ، فرفضوا وقالوا فى عناد ومراوغة .. ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة : ٢٤] .

* * *

أمر ثانوى .. نود أن نشير إليه فى قصة موسى : ذلك أن كثيرا من أحداثـها وقعت فى البلاد المصرية سواء أكانت داخل أرض وادى النيل أم كانت فى منـاطق سيناء الجنوبية والشمالية — وهو «**علاقة مصر بالأديان السماوية** » .. فقـد جـاء إبراهيم الخليل إلى مصر ، وأقام فيها مدة طويلة ، وكانت إحدى زوجتيه منها وهى السيدة هاجر أم إسماعيل . كما أن يوسف عليه السلام نشأ بها .. وتعلم .. وعمـل إلى أن صار وزيرا ، ثم استقدم أباه يعقوب وإخوته ، وظلوا مقيمين فى مصر إلـى بعثة موسى ، حيث كانوا يشكلون جالية كبيرة . كذلك حضر إلى مصـر — كمـا سنشير فيما بعد — السيد المسيح وأمه مريم عليهما السلام وأقاما بها مدة طويلة — ومعهما يوسف النجار — فى أكثر من مدينة مصرية فى الشمال .. وفى الصعيد .

كما تزوج رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من السيدة مارية القبطيـــة ، التـــى أرسلها له المقوس حاكم مصر ـ حينذاك ، وأنجب منها آخر أبنائه وهو إبراهيم .

من ذلك كله يتضح أن (مصر) ذات علاقة وثيقة بمعظم الأديان الســماوية .. وهذه العلاقة علاقة تصالح وتسامح . فقد كانت مصر وأهلها مهدا آمنا لكثير مـن الرسل والرسالات . ومع أن فرعون لم يؤمن برسالة موســى فـإن كثـيرا مـن المصريين آمنوا بها ، وقد عاتبهم فرعون قائلا : كيـف تؤمنـون بـرب موسـى وهارون ، ولم آذن لكم بهذا ؟ وأخذ يهددهم بالقتل والصلب فى جـذوع النخـل ، لكنهم ردوا عليه فى ثقة المؤمـن : ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طـه : ٧٢] .

خاتمـــة

رحم الله موسى رحمة واسعة ، فقد تحمل الكثير من أجل نشر الدعوة وتبليـغ الرسالة سواء من فرعون وملئه أم من بنى إسرائيل قومه .. لكنـه ظـل صبـورا ذكورا .. مؤمنا شكورا . ولا يقدر أحد أن يثنى عليه بقدر مـا أثنـى عليـه رب العالمين بقولـه : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم : ٥١ ـ ٥٣][1] .

وإذا كنا نقدم شرحا ميسرا لقصة موسى الرسول عليه السلام ، فإننا نرجـو أن يجد فيها كل مؤمن العبرة والحكمة .. كما نرجو أن يقرأها من يدعون أنهم أتباعـه وأنصاره ، حتى يفيئوا إلى دعوة الحق ، ويأخذوا جانب العدل ، اســتجابة لقـول

(١) مخلصا : نقيا من النقائص ـ الطور : جبل الطور فى سيناء ـ نجيا : أى أن الله أن كلمـه مباشـرة دون واسطة ـ رحمة : رأفة وشفقة به .

الحكيم الخبـــير .. ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ . نقول هذا لأن بعض اليـــهود لـــم يقتـــدوا بأخلاق موسى رسولهم ، ولم يحافظوا على ما أوصاهم به ، وبدلوا بعض ما أنزل إليهم .. وإلى هذا يشير ربنا وربهم ــ رب العزة والخلق أجمعيـــن ــ فـــى كتابـــه الكريـــم .. ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٢] .

رحم الله النبي موسى بن عمران رحمة واسعة ، فقد كان مـــن الرســـل أولـــى العزم، الذين تحملوا كثيرا من الأذى والعذاب من أجـــل الدعـــوة إلـــى عبـــادة الله والإيمان بوصاياه .. وقد حاول أن يرشد الناس إلى الحق والهدى فى كل مكان يحل به ، وفى كل بلد ينزح إليه . رحمه الله جزاء ما صبر ، ونفعنا بسيرته ، وحشـــرنا فى زمرته ، مع الرسل والأنبياء والصالحين ، إنه على كل شىء قدير .

الفصل الرابع

عيسى .. كلمة الله

ورسول النصارى

قصة المسيح عيسى بن مريم

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .. رابع أولى العزم من الرسل . وإذا كانت رسالتا نوح وإبراهيم قد انتهيتا ، وزال أثرهما بسبب طول الفترة الزمنية بيننا وبينهم ، فإن رسالتى موسى وعيسى لم تزل بعض آثارهما باقية .. ولا يزال لكل منهما أتباع ، يدينون بهما حتى اليوم . وإذا كان اليهود يمثلون ـ اليوم ـ فئة قليلة نسبيا ، فإن المسحيين ـ أتباع عيسى عليه السلام ـ يشكلون نسبة كبيرة جدا من حيث العدد .. وهم موجودون فى معظم قارات العالم الست . وما نحن مهتمون به ـ فى هذه الدراسة ـ هو أن نبرز القصة الحقيقية للمسيح عليه السلام .. كما وردت فى آيات القرآن الكريم ، سواء اتفقت أو اختلفت عما جاء فى بعض الأناجيل، خاصة : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .. وهى الأناجيل الأربعة التى عليها اتفاق معظم الطوائف المسيحية .

ولا شك أن القرآن الكريم هو المصدر الأسمى ، لأنه تنزيل من حكيم عليم .. أما هذه الأناجيل فقد كتبها بعض تلاميذ المسيح وحوارييه بعد أن رفعه الله إليه بمدة من الزمان ، تتراوح بين مائة وأربعين إلى مائة وسبعين سنة . ومعنى هذا أن كتاب الأناجيل ـ فى أغلبهم ـ ليسوا من تلاميذ السيد المسيح المباشرين ، وإنما هم من التابعين لتلاميذه وأنصاره . وشتان بين قول المولى عز وجل .. وبين كلام البشر ، مهما كانت درجة إيمانهم ، وبلغت مرتبة منزلتهم بالنسبة للنبى الذى يؤمنون برسالته .

عيسى ـ عليه السلام ـ يعد آخر الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل .
وبعد ذلك سوف تنتقل الرسالة إلى العرب ، حيث يقوم بها محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ الذى بشر السيد المسيح نفسه ببعثته . وهذا ما تدل عليه الآيه الكريمة : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾ [الصف : ٦].

اسم عيسى .. وكنيته

اسم العلم الذى يطلق على هذا الرسول العظيم هو « عيسى » ــ كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٤٥]

وهذا الاسم أوحى به لأمه مريم قبل أن يولد فى ضاحية « بيت لحم » ــ قرب مدينة الناصرة ــ فى فلسطيين فى عصر القيصر الرومانى أغسطس ، حيث كانت فلسطين فى ذلك العهد مستعمرة رومانية .

وهذه التسمية وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، كما فى السور التالية : البقرة ــ آل عمران ــ النساء ــ المائدة ــ التوبة ــ مريم ــ المؤمنون ــ الأحزاب ــ الزخرف ــ الحديد ــ الصف ــ التحريم ... وسوف يأتى بيان ذلك بالتفصيل .

بالإضافة إلى اسم العلم (عيسى) هناك كنايات عدة ، تدل على بعض صفاته ومعجزاته ، سنحاول أيضا أن نلقى عليها قدرا من الضوء والتفسير ، لأن هناك مجموعة من الكنى ، تطلق على عيسى ــ عليه السلام ــ هى :

١ــ ابن مريم : إشارة إلى أنه ابن السيدة الطاهرة مريم ابنة عمران .. وهو رجل من أتقياء بنى إسرائيل . وحين حملت زوجه ، نذرت أن تجعل المولود محررا (خالصا .. متفرغا) لخدمة محراب العبادة ، لكنها جاءت أنثى .. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٦]

وبعد أن كبرت الصبية ، قدمتها الأم إلى رعاة الهيكل وفاء لنذرها ، فاختلفوا فى من يكلفها ويرعاها فى بيت العبادة ، فقامو بعمل قرعة ، فكانت النتيجة أن الذى كفلها هو زكريا والد يحيى عليهما السلام ــ زوج خالتها ، وهو الذى تشير إليه الآية الكريمة .. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ

﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

وقد استخدم الرسول ﷺ كنية « ابن مريم » فى أكثر من حديث صحيح .. ومنها حديث يروى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ وهو قوله : « **أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء إخوة ، أولاد علات**[١] **، ليس بينى وبينه نبي .** »[٢]

ومعنى هذا الحديث الشريف أن رسول المسلمين محمدا ﷺ يقول إننى أحق الرسل بأن ينسب السيد المسيح إليه ، لأن الأنبياء جميعا إخوة ، وإن اختلفت أمهاتهم ، كما أن النبى محمدا هو الرسول التالى بعد النبى عيسى مباشرة ، وليس بينهما رسول آخر .

من هنا نشير إلى أن الكنية بابن مريم يقصد بها أن **السيد المسيح ليس له أب** ، لذلك ينسب إلى أمه البتول السيدة مريم العذراء، التى ولدته دون أن يكون لها زوج.

٢ــ **المسيح** : ورد فى شرح هذه الكلمة عدة آراء .. منها « كلمة المسيح ــ فى العبرية ــ تطلق بالاشتراك على النبى والملك .وليس المراد أنه سيصير ملكا على بنى إسرائيل ، بل هو (مجرد) اسم ، كما تسمى ولدك سلطانا وأميرا . وقد يكون المراد أن الله سوف يزينه بمملكة الأخلاق والفضائل والرحمة ، وأنه يكون فى هذه الفضائل رأسا . وقد يكون المراد بكونه مسيحا أنه يكون نبيا»[٣] . وثمة رأى آخر وهو : «قيل سمى المسيح لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن فى ذلك الزمان ، لشدة تكذيب اليهود له ، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لأنه كان ممسوح القدمين»[٤] .

وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم بهذه الكنية ــ « المسيح » ــ فى أكثر من موضع ، ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

(١) علات : ضرائر ــ ج ضرة .. أى أنهم من أب واحد ، وأمهات مختلفات .
(٢) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٦٢٣ .
(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥٠٥ .
(٤) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٦١٩ .

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة:٧٥] .

والمسيح كلمة على وزن (فعيل) .. وهى صيغة مبالغة إذا اعتبرنا أصلها عربيا ، فمسيح قد تكون بمعنى سائح .. وهو السائر فى طريق العبادة . وقد وردت بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ [التوبة:١١٢] .

وقد يكون الأصل أو الجذر اللغوى لكلمة مسيح من (مسح) ، وليس من (سيح) ـ سياحة .. أى السير فى أمان .. أو فى طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة . أما كلمة مسح .. فمعناها : الغسل بالزيت أو بالماء .. أو ـ المحو والإزالة . وعلى هذا يمكن أن يكون المعنى :أن الله طهر المسيح وغسله من الذنوب .. أو أن الله محا عنه الذنوب وأزالها ، وطهره من الآثام التى قد يرتكبها بعض البشر .

هذه تخريجات لغوية على أساس أن الكلمة عربية الأصل ، لأن هناك من يقول بأنها غير عربية .. مثل صاحب قاموس « المصباح المنير » ـ وهو أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى (ت ٧٧٠هـ) ، الذى يرى أن كلمة المسيح معربة وأصلها بالشين المعجمة .. أى التى فيها نقط[1]. وكلمة (المشيح) بالعبرية معناها المغسول أو المطهر بالزيت ، وكان هذا تقليدا عند اليهود ، يدشنون به الأنبياء والملوك .

والأرجح أن كلمة « المسيح » عبرية الأصل ، وهى مشتقة من جذر سامى مشترك هو (م ش ح) ، الوارد فى بعض اللغات السامية ومنها العربية بمعنى (مسح) ، وتعنى لغويا : الغسل والمحو والإزالة ومنح البركة .

وتستخدم فى الاصطلاح الدينى عند اليهود والنصارى بمعنى : « المسح بالزيت » وهو طقس مقدس ، يجرى عند تعيين أو تدشين شخص مهم لوظيفة دينية

(١) المصباح المنير : ص ٦٩٦ .

أو سياسية ، وبخاصة مع الكهنة والملوك . كما يجرى هذا الطقس أيضا على بعض الأشياء لتصبح مقدسة ، مثل بعض الأوانى والأماكن .

أما كلمة « المسيح » فأصلها فى العبرية (مشيح) ومعناها الممسوح بالزيت ، وهى تطلق على بعض الملوك والكهنة فى بنى إسرائيل . وهو لقب المسيح آخر رسلهم . وهى تقابل فى اليونانية (xriotos) (كريتوس) ، التى تقابلها كلمة (Christ) فى الإنجليزية .

٣ـ **يسوع : كلمة عبرية بمعنى المخلص ، الذى يخلص الناس من الخطايا والذنوب ، ويهديهم إلى الطريق المستقيم** ، « ذلك أن بنى إسرائيل طال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وحرفوا شريعة الله التى جاءهم بها موسى عليه الصلاة والسلام ، وانحرفوا عن الطريق الواضح ، وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوى ، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط . فمن إفراطهم فى مراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المراد لله تعالى ، أنهم كانوا يتحرجون من عمل الخير فى السبت باعتباره يوم عطلة (مقدس) لا يجوز العمل فيه ، ففوتوا طاعات كثيرة توجب الزلفى إلى الله بتلك الحجة . والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية ، وأما فعل الخير فإنه لا حرج فيه ، وليس من الأفعال المنهى عنها ، لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى إلى تعطيل الخير فى ذلك اليوم »[١] .
على هذا فإن كلمة « يسوع » معناها المخلص ، الذى أرسل ، ليخلص البشر من الزيف والضلال ، ويعيدهم إلى طريق العبادة الصحيحة . وهذه الكلمة أصلها عبرى ــ وهو (يهو شوع) ، وقد تم اختصاره إلى (يشوع) .. التى عربت إلى (يسوع) .. ومعناها الإله المخلص . وهذا معنى غريب .. لذلك لم يرد فى القرآن الكريم .

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٢٦ .

٤ـ **كلمة الله** : عيسى كلمة من الله ، **أى معجزة من معجزات الله** ، إذ خلقه على غير العادة المألوفة للبشر أجمعين فى التزاوج والتناسل ، فأمه لم تكن زوجة.. وبالتالى لم تكن مهيأة للإنجاب . لكن الله أمر.. وأراد ، فتحققت المعجزة .

وهذه الكنية تؤخذ من قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وقد وردت هذه الكنية نفسها فى القرآن الكريم فى سياق آخر فى السور نفسها (آل عمران) عند الحديث عن البشارة بمولد النبى يحيى بن زكريا عليهما السلام .. والنبى زكريا هذا هو الذى كان يكفل مريم فى محراب العبادة .. ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٨،٣٩] .

والدكتور شوقى ضيف يفسر قوله تعالى : « مصدقا بكلمة من الله ، أى بعيسى ابن مريم ... »[(١)] .

وجاء فى تفسير « ابن كثير » أن يحيى هو « أول من صدق بعيسى ابن مريم، وقال ابن عباس : كان يحيى وعيسى ابنى خالة .. »[(٢)] .

ثم جاء هذا التفسير فى معرض شرح قوله تعالى: { إن الله يبشرك بكلمة منه }، «أى بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أى يقول له كن فيكون .. »[(٣)]

وقد جاء فى كتاب « المنتخب فى تفسير القرآن الكريم » ، الذى ألفته لجنة القرآن والسنة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة .. فى تفسير هذه الآية .. « بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنة العادية

---

(١) شوقى ضيف : الوجيز فى تفسير القرآن ، ص١٠٢ .

(٢) ابن كثير : تفسير ابن كثير ـ تحقيق محمد الصابونى ، جـ١ ، ص ٢٨٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

فى التوالد . »[١] . وجاء فى تفسير آخر .. « إن الله يبشرك بمولـــود ، يحصـــل بكلمة من الله بلا واسطة أب .. »[٢] .

من خلال هذه التفاسير – وغيرها مما اطلعنا عليه – ننتهى إلى أن ثمـــة كنيـــة غير مستخدمة كثيرا فى وصف المسيح عليـــه الســـلام ، هـــى « كلمـــة الله » أى معجزته، التى أرادها لمريم وابنها . وبهذا يكـــون المســـيح رســـولا .. صـــاحب معجزات ابتداء من مولده عليه السلام .. فالميلاد ــ على هذا النحـــو الخـــارق ــ معجزة من معجزات الرب الخالق سبحانه وتعالى . ولمـــن يتعجبـــون مـــن هـــذا الميلاد المعجز ــ الذى ليس له مثيل فى عالم البشر منذ خلـــق الله آدم ــ نذكرهـــم بقوله تعـــالى .. ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

وقد جاء فى تفسير هذه الآية « ... « إن مثل عيسى عند الله » أى فى قدرة الله ، حيث خلقه من غير أب « كمثل آدم » ، حيث خلقه من غـــير أب ولا أم ، بـــل «خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » . فالذى خلق آدم مـــن غـــير أب (أو أم) قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى ، إن جاز ادعـــاء النبـــوة فـــى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب ، فجواز ذلك فى آدم بالطريقة الأولى . ومعلـــوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواهم فى عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا . ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا أنثى ، وخلـــق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية مـــن ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى فى سورة مريم : { ولنجعله آية للناس } وقال سبحانه فى هذا السياق أيضا : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، أى هـــذا هـــو القول الحق فى عيسى ، الذى لا محيد عنه ولا صحيح سواه »[٣] .

---

(١) المنتخب ــ ص٥٦ .

(٢) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، جــ١ ، ص ٢٠٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ، جــ١ ، ص ٢٨٧ . الممترى : المجادل أو الشاك .

وننتهى إلى أن كنية عيسى «كلمة الله» .. قد وردت — أيضـا — فـى سـورة «النساء» .. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ .. ﴾ [النساء : ١٧١]

٥ــ الناصرى : من الكنى التى تطلق — أحيانا — على عيسـى الرسـول .. « الناصرى » ، نسبة إلى بلدة « الناصرة » ، وهى موطن أمه السيدة مريم البتـول.. وقد عاش فيها عيسى — فى رعاية أمه ويوسف النجار — قبل أن يهاجر إلى مصر وبعد أن عاد منها .وبلدة الناصرة تقع فى منطقة الجليل — وقال العقاد — نقلا عـن بعض المؤرخين — أنها كانت تسمى « جليل الأمم » : دلالة علـى أن جماعـات كثيرة من الأمم المجاورة ، كانت تقيم فيه[1] » .

وكما يسمى المسيح « الناصرى » يسمى أتباعه « النصارى » . وقـد وردت هذه التسمية فى أكثر من موضع من القرآن الكريم منها قولـه تعـالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ .. ﴾ **[المائدة : ١٤]** .

---

(١) « مما اتفقت علية أقوال المؤرخين ، وتردد كثيرا فى روايات التاريخ أن جمهرة كبيرة مـن أهل الجليل كانوا عربا ، يتكلمون الآرامية بلهجة أجنبية يلحظها أهل الجنوب ، ويميزون المتكلـم بها من كلمات قليلة تبدو منه عرضا على غير روية . وكذلك عرف الحواريون فى الهيكل كمـا كانوا يعرفون فى كل فلسطين . وقد كان من الأمثال السائرة علـى ألسـنة اليـهود المتعصبيـن لتقاليدهم وعاداتهم « أنه لا خير يأتى من الجليل » . وقد ورد فى إ نجيل يوحنا أن نثنائيل عجب حين قال له صاحبه « إننا وجدنا الذى أنبأ عنه موسى ، وإنه من الناصرة فى الجليـل . فأجابـه مستغربا : أمن الناصرة يجىء شىء صالح؟!»
وكانت السماحة وقلة التحرج (التشدد) هما سبب هذه النقمة على الجليل وأهله فى نفوس أبنـاء اليهود ، المنكرين لكل سماحة والجامدين على كل حرج . ولكن هذا السبب بعينه هو الذى جعـل أرض الجليل أصلح منبت للدعوة الإنسانية التى ترقبها العالم فى ذلك العصر ، فمـا كـان مـن اليسير أن تنبثق فى كنف الحجر والجمود .
وقد اتفق بعد مولد السيد المسيح ببضع سنوات أن الجليل خرجت من سلطان ملك اليهود على إثـر وفاة هيرود الكبير ، وأنها دخلت هى والبادية المجاورة لها فى نصيب ابنـه هـيرود انتيبـاس . وربما كان (المسيح) عليه السلام فى العاشرة من عمره حينما هدم الرومان عاصمـة الأمـير الجديد ، وبنيت العاصمة الجديدة طبرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عليه السلام » .
عباس العقاد: عبقرية المسيح ، ط دار أخبار اليوم — كتاب اليوم — عدد يناير ١٩٥٣ ، ص٧٣.

وكلمة « نصارى » .. ومفردها الشائع « نصرانى » . وإذا حذفنا «ياء النسب» تصبح نصران ــ على وزن « فعلان » ــ وهو وزن مستخدمٌ فى العربية ، ويعد أحد صيغ المبالغة ــ على هذا تكون بمعنى ناصر .. ونصير ، أى المؤيد والمعين.

وقد وردتْ كلمةُ « أنصار »بهذا المعنى فى القرآن الكريم .. فى سياق الحديث عن النبى عيسى ، ومؤيديه والمصدقين به من قومه .. ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝ ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

ونحن نميلُ إلى أن كلمة « نصارى » .. و« نصرانى » مشتقه من مادة «نصر» بمعنى أيَّد وأعان ، وليست مستمدة من كلمة « الناصرى » ، التى تطلق كنية على عيسى عليه السلام ــ أحيانا .

٦ــ **النصرانى** : كلمة نصرانى نسبة إلى مدينة الناصرة .. وهو نسبٌ على غير قياس .. ومستخدمٌ فى اللغة العربية .

ننهى الحديث عن اسم « عيسى » ، والكنى التى تطلق عليه إلى أن **هذه الأسماء وتلك الكُنى ، تنقسم إلى قسمين** : قسم عبرى ــ وقسم عربى.

أما القسم (العبرى) فهو يشمل الكلمات التالية :

١ــ **عيسى** .. وهى علم أعجمى مثل إبراهيم وموسى .

٢ــ **المسيح** .. أىْ الممسوح بالزيت المقدَّس .

٣ــ **يسوع** .. أىْ المخلِّص لشعْبه من الخطايا والذنوب .

ثانيا : القسم (العربى) : ويشملُ الكلمات التالية :

١ــ **ابن مريم** .. أى أنه منسوب إلى أمه مريم بسبب معجزة مولده.

٢ــ **كلمة الله** : وهى تسمية مستمدة من بعض آيات القرآن الكريم ــ كما سبق.

٣ــ **الناصرى** : نسبة قياسية إلى بلدة « الناصرة » ــ مسقط رأسه .

٤ــ **النصرانى** : نسبة على غير قياس .. إلى مدينة الناصرة .

الموضع والدلالة

سنذكر فى البداية المواضع التى وردت فيها قصة المسيح ـ عليه السلام ـ على حسب ترتيب سور المصحف :

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	البقرة	٢	مدنية	٨٧ ـ ٨٩	٣
٢	آل عمران	٣	مدنية	٤٥ ـ ٦٤	٢٠
				٨٤	١ = ٢١
٣	النساء	٤	مدنية	١٥٥ ـ ١٥٨	٤
				١٦٣	١
				١٧١ ـ ١٧٢	٢ = ٧
٤	المائدة	٥	مدنية	١٧	١
				٤٦	١
				٧٢	١
				٧٥	١
				٧٨	١
				١١٠ـ١٢٠	١١ =١٦
٥	الأنعام	٦	مكية	٨٥	١
٦	التوبة	٩	مدنية	٣٠ـ ٣١	٢
٧	مريم	١٩	مكية	١٦ ـ ٣٧	٢٠
٨	الأنبياء	٢١	مكية	٩١	١
٩	المؤمنون	٢٣	مكية	٥٠	١
١٠	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١١	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١٢	الزخرف	٤٣	مكية	٥٧ ــ ٥٩	٣
				٦٢ ــ ٦٤	٣ = ٦
١٣	الحديد	٥٧	مدنية	٢٧	١
١٤	الصف	٦١	مدنية	٦	١
				١٤	١ = ٢
١٥	التحريم	٦٦	مدنية	١٢	١
٣٣ مكية + ٥٤ مدنية =					٨٧ آية

ويمكن أن نرتب الجدول السابق بحسب المكى والمدنى من الآيات ــ كمايلى :

العهد	الموضع	الآيات	النسبة
المكى	٧	٣٣	%٣٨
المدنى	٨	٥٤	%٦٢
المجموع	١٥	٨٧	%١٠٠

لعل أهم ملاحظة يمكن أن نلاحظها من الجدول السابق ، الذى يوضح نسبة المكى إلى المدنى فى قصة السيد المسيح ــ عليه السلام ــ هى أن **الآيات المدنية (٥٤) أكثر عددا من الآيات المكية (٣٣) .. وهذا بخلاف ما نجده فى سير أولى العزم السابقين** مثل : نوح وإبراهيم وموسى ــ عليهم السلام ، حيث كان المولى عز وجل فى أثناء العهد المكى يقص على رسوله الأمين قصص الرسل والأنبياء السابقين ، حتى يثبت فؤاده ، ويشد أزره ، لكى يصبر كما صبر أولو العزم ، ويعرف أن ماحدث له من صد وتكذيب من كفار مكة ، قد حدث لغيره من الأنبياء، لكن الله فى النهاية ينجى رسله والذين آمنوا معهم . هذا ما تؤكده بعض الآيات الكريمة ، ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ

وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [طه : ٩٩ ـ ١٠١] .

إن قصة السيد المسيح ـ بخلاف قصص غيره من أولى العزم من الرسل ـ قد ورد أكثرها فى سور العهد المدنى . ولعل السر فى هذا ـ والله أعلم ـ هو أن الرسول ﷺ حين هاجر هو والذين آمنوا معه إلى المدينة ، وجدوا جالية كبيرة ـ نسبيا ـ من اليهود . وكانت لدى تلك الجالية بعض المفاهيم الخاطئة عن سيرة المسيح عليه السلام ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لهم ولغيرهم حقيقة سيرة ذلك الرسول الكريم ... (1) . وهذا ما تدل عليه بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

ويبدو أن الجدال ـ حول حقيقة عيسى ـ فى أثناء إقامة الرسول فى المدينة ، لم يكن بين اليهود فحسب ، بل يبدو أن بعض المسيحيين أيضا كانوا يدخلون ـ بقدر ما ـ فى هذا الجدل ، وذلك ما توحى به آية كريمة أخرى ، وردت فى سورة البقرة ـ التى تعد أكبر سورة فى العهد المدنى ، بل إنها تعد أطول سور القرآن الكريم ـ وهذه الآية هى .. ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٠ ، ١٢١] (2) .

---

(١) من المعروف أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ومحمد ، والمسيحيين ينكرون رسالة محمد.. وأما المسلمون فإنهم يؤمنون بالله وبكل الرسل والأنبياء السابقين .

(٢) ملة : دين ـ هدى الله : الإسلام ـ الهدى : الحق ـ الذين آتيناهم الكتاب : اليهود والنصارى.

وقد فسر « ابن كثير » هاتين الآيتين على النحو التالى :

« قال ابن جرير (الطبرى) : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم » ، ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا ، فدع طلب ما يرضيك ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله إلى ما بعثك الله به من الحق . وقوله تعالى : « قل إن هدى الله هو الهدى » ، أى قل يا محمد إن هدى الله الذى بعثنى به هو الهدى ، هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل . «ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، مالك من الله من ولى ولا نصير» فيه تهديد ووعيد شديد للأمة فى اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما عملوا من القرآن والسنة ـ عياذا بالله من ذلك ـ فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمته . وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله : « حتى تتبع ملتهم » حيث أفرد الملة (دلالة) على أن الكفر كله ملة واحدة ، كقوله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » . فعلي هذا لا يتوارث المسلمون والكفار ، وكل منهم يرث قريبه سواء أكان من أهل دينه أم لا، لأنهم كلهم ملة واحدة .

وقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » ، قال قتادة : هم اليهود والنصارى ، واختاره ابن جرير . وقال سعيد عن قتادة : هم أصحاب رسول الله ﷺ . قال ابن مسعود : والذى نفسي بيده إن حق تلاوته .. أى يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله . وقال الحسن البصرى : يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل منه إلى عالمه . وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن مسعود فى قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، يتبعونه حق أتباعه . وقال أبو موسى الأشعرى : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة . وعن عمر بن الخطاب : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها. قال : وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ .

وقوله : « أولئك يؤمنون به » خبر ، أى من أقام كتابه من أهل الكُتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حق إقامته .. آمن بما أرسلتك به يا محمد ، كما قال تعالى : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم الآية . وقال : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » ، أى إذا أقمتموها حقَّ الإقامة ، وآمنتم بها حق الإيمان ، وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعثِ محمد ﷺ ونعته وصفته ، والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته ، قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخر كما قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل » الآية ، وقال تعالى : « الذين آتيناهم الكتابَ من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون » ، وقال تعالى : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » ، ولهذا قال تعالى : « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » . وفى (الحديث) الصحيح : «والذى نفسى بيده ــ لا يسمعُ بى أحدٌ من هذ الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار »[1] .

من هذا نُدركُ أن الحديث عن النصرانية (واليهودية) كان موضعَ جدالٍ فى المدينة بين اليهود والنصارى من ناحية ، وبين الرسول والمسلمين من ناحية أخرى. ذلك ما تدل عليه بعض آيات الذكر الحكيم ، وبعض أحداثِ السيرة المحمدية العطرة ، حيث كانتْ يثربُ (المدينة) غداةَ هجرة الرسول ﷺ إليها ، بها كثير من اليهود ، فقد كان «يقيم منهم بنو قينقاع فى داخلها ، ويقيم بنو قريظة فى فدك ، وبنو النضير على مقربة منها ، ويهود خيبر فى شمالها .... وقد ظن اليهودُ

---

(١) تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ، ص ١١٤ .

(فى بادئ الأمر) أن فى مقدورهم استمالة محمد إليهم وإدخاله فى حلفهم ، والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب ، حتى تقف فى وجه النصرانية التى أجلت اليهود ـ شعب الله المختار ـ عن فلسطين أرض الميعاد ووطنهم القومى ..»[1].

من هذا يتضح أن وجود اليهود فى يثرب وما حولها .. وخصومتهم القوية للمسيح والنصارى ، كانت سببا من أسباب تأجيل المولى عز وجل قصة المسيح ، لكى تذكر فى سور العهد المدنى . ولا شك أن فى هذا تحذيرا وتنبيها للرسول والمسلمين من اليهود ، لأن من تجرأ على إيذاء المسيح وأعوانه ، لن يستحى من إيذاء محمد وأنصاره ، لذلك يحذر الله سبحانه الرسول والمسلمين فى سورة (مدنية) من اليهود بقوله : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة : ٧٠] [2].

ثم يذكر أيضا ـ عز من قائل ـ فى السورة نفسها : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

ثم يقول سبحانه أيضا ، حتى يحذر الرسول والمسلمين من اليهود ، ويوضح أنهم مثل المشركين فى كراهية المسلمين والرغبة فى إيذائهم .. ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

كذلك كان وجود بعض المسيحيين فى يثرب وغيرها من بلاد العرب .. وتوجههم إلى الرسول ﷺ ـ أحيانا ـ لسؤاله عن رأيه فى أمر عيسى ورسالته من الأسباب ، التى يمكن أن يفسر بها وجود قصته فى العهد المدنى بشكل أوضح عما هى عليه فى العهد المكى .

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ط در الكتب المصرية ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٢١٨ .

(٢) ميثاق : عهد ـ رسلا : أنبياء ـ تهوى : تحب .

يؤكد هذا أن «ابن كثير» فى معرض تفسيره للآية (٦١) من سورة «آل عمران» وهى ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾.

يقول ابن كثير إن سبب النزول هو .. قدوم وفد من مسيحيى نجران إلى رسول الله ﷺ فى يثرب ، ثم يضيف : « إن النصارى لما قدموا جعلوا يحاجون (الرسول) فى عيسى ، ويزعمون فيه من النبوة والإلهية ، فأنزل الله هذه المباهلة (المحاورة) وما قبلها من أول السورة إلى هنا ــ فى وفد نجران ــ ردا عليهم»[1].

من أجل ذلك وغيره ــ مما يحيط به علم ربنا .. جلت حكمته ــ وردت معظم تفاصيل قصة عيسى ــ عليه السلام ــ فى العهد المدنى .. وليس فى العهد المكى ، كما حدث مع غيره من الرسل أولى العزم ، الذين ذكرنا قصصهم من قبل !! .

كذلك .. فإن الصورة الحقيقية التى تقدمها سور القرآن لسيرة عيسى بن مريم، تجله وتعظمه باعتباره بشرا سويا ، أكرمه الله واصطفاه من خلقه ، ليكون رسولا من أولى العزم . وليس إلاها ــ كما يدعى بعض المسيحيين ، وأن شخصه يمزج بين الناسوت واللاهوت .. أى بين الإنسان والإله فى آن واحد . وإلى هذا تشير الآية الكريمة : «قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » . **[مريم : ٣٠]** .

---

(١) تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

مواضع قصة عيسى ــ عليه السلام

سوف نذكر هنا السور الكريمة اتى وردت فيها قصة عيسى ــ مرتبة بحســـب كثرة عدد الآيات .. بصرف النظر عن كونها مكية أو مدنية ــ وهذا إحصاء بذلك:

مسلسل	السورة	نوعها	عدد الآيات
١	آل عمران	مدنية	٢١
٢	مريم	مكية	٢٠
٣	المائدة	مدنية	١٦
٤	النساء	مدنية	٧
٥	الزخرف	مكية	٦
٦	البقرة	مدنية	٣
٧	التوبة	مدنية	٢
٨	الصف	مدنية	٢
٩	الأنعام	مكية	١
١٠	المؤمنون	مكية	١
١١	الأنبياء	مكية	١
١٢	الأحزاب	مدنية	١
١٣	الشورى	مكية	١
١٤	الحديد	مدنية	١
١٥	التحريم	مدنية	١
١٥ موضعا		٥٤ مدنية + ٣٣ مكية = ٨٧	

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ
كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ
ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم
بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ
وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ
هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ
وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ
نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ
خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ
وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾
إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ــ ٦٦] .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

ثانيا : سورة مريم

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ

رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [مريم : ١٦ ــ ٣٧] .

ثالثا : سورة المائدة

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة : ١٧] .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة : ٧٨] .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة : ١١٠ ــ ١٢٠] .

رابعا : سورة النساء

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء : ١٥٥ ــ ١٨٥] .

﴿ * إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء : ١٧١ ، ١٧٢] .

خامسا : الزخرف

﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزخرف : ٥٧ ــ ٥٩] .

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٢ ــ ٦٤] .

سادسا : البقرة

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة : ٧٨ ـ ٨٩] .

سابعا : التوبة

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] .

ثامنا : سورة الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف : ٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

تاسعا : سورة الأنعام

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٥] .

عاشرا : سورة الأنبياء

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

حادى عشر : سورة المؤمنون

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

ثانى عشر : سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

ثالث عشر : سورة الشورى

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى : ١٣] .

رابع عشر : سورة الحديد

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد : ٢٧] .

خامس عشر : سورة التحريم

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم : ١٢] .

الإطار .. والمغزى

سيرةُ السيد المسيح ــ عليه السلام ــ مليئةٌ بالمعجزاتِ ، بل إن مولده ووجوده فى الحياة .. وذهابه عن الدنيا أيضا معجزة . وربما كانتْ هذه الولادة المعجزة .. والنهاية المعجزة من أسباب اختلاف بعض البشر فى الموقف منه ومن رسالته . ولا يزالون مختلفين إلا منْ عَصَم ربُّك ، وهداه إلى صراط مستقيم . والإطار العام لسيرته العطرة سوف نتلمسه فى القرآن الكريم ، حيث إن خير الكلام كلام الله ، وأصدق القصص هو ما ورد ذكره فى القرآن . والله جل شأنه يشير فى أثناء الحديث عن بعض معالم سيرة سيدنا عيسى فى سورة «آل عمران» إلى أن من يختلفون فى أمر عيسى ، عليهم أن يعرفوا حقيقة أمره مما ورد فى القرآن .. ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾
[آل عمران : ٦٠ ــ ٦٢][١] .

هكذا يخبرنا العزيز الحكيم ــ جل شأنه ــ أن ما جاء به القرآن هو الصدق ، وأن ما قصه عن رسله هو القصص الحق . كما أنه سبحانه يخاطب عباده بمنطق مفهوم ، وأسلوب واضح أملا فى أن يتفقوا على كلمة سواء ، ويؤمنوا بالرسالة الغراء ، حتى ينجيهم من عذاب يوم عظيم . فإن أعرض البعض عما جاء فى القرآن ، فينبغى أن نشهدهم بأنا مسلمون .. وأنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

---

(١) الممترين : الشاكين ــ فيه : فى عيسى ــ نبتهل : نتوجه إلى الله أن يلعنه لعنة الكاذب ــ هذا : ما جاء فى أمر عيسى .

السيدة مريم ومعجزة الميلاد

كانت فلسطين قبيل مولد المسيح تعانى من ظلم وظلام شديدين : أما الظلم فقد تمثل فى احتلال الرومان وبطشهم وطغيانهم بالبلاد ومن عليها . أما الظـــلام فقــد تمثل فى ضلال اليهود وبعدهم عن رسالة موسى ــ عليه السلام ــ وانقسموا إلـــى شيع وفرق متنافرة . وقد أشار العقاد إلى ذلك فى فصل مطول ، وذكر أنه كـــانت هناك خمس طوائف : هى الصدقيون ــ الفريسيون ــ الآســيون ــ الجليليــون ــ السامريون .. « ولا يستوفى الكلام على القوى الدينية التى كان لها عمل محســوس فى موطن السيد المسيح قبيل ميلاده عليه السلام بغير الإشارة إلى **طائفة النذرييــن أو المنذورين** ، الذين وهبوا أنفسهم ، أو وهبهم أهلوهم لحياة القداســة وخدمــة الله والتبشير باليوم الموعود : يوم الخلاص من الظلم والجور والتطهر من الذنوب .

ولم يكن هؤلاء النذريون طائفة تجمعها الوحدة التى تجمع بين أصحاب النحــل والمراسم الاجتماعية . ولكنهم كانوا آحادا متفرقين ، ينذر كل منهم نفسه أو ينــذره أهله على حدة ، ولا ينتسبون إلى جماعة واحدة غير جماعة الأمة بأسرها »[1] .

فى تلك الأثناء ولدت مريم ، لأب يهودى صالح يســمى عمــران .. مــات ، ومريم لا تزال جنينا فى رحم أم طاهرة صالحة ، وكانت هذه الأم أختا لامرأة طيبة عاقر هى زوجة زكريا عليه السلام ، وسوف تلد له يحيى [يوحنا المعمــدان الــذى قتله اليهود] . وبعد وفاة الأب نذرت الأرملة الصالحة (أم مريم) مــا فــى بطنــها محررا لله سبحانه ، وعزمت على أن تجعل المولود خادما للمعبد ، لكنــها جــاءت أنثى .. فوفت الأم نذرها ــ رغم وفاة الزوج وحاجتها إلى الولد . معنــى هــذا أن مريم كانت من طائفة «النذريين .. أو المنذورين » لخدمة الهيكل والانقطاع لعبــادة الله . فتاة صغيرة يتيمة وحيدة ، لم تشغل نفسها بما تشغل به لداتها من البحث عــن شئون الحياة ، لأن الله سبحانه اختارها لتكون صاحبة آية معجزة ، لم تعط لأى من

---

(١) عباس العقاد : عبقرية المسيح ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

نساء العالمين . وقد كفلها زكريا ـ زوج خالتها .. ووالد يحيى . وكان ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٧](1) .

نتوقف عند المغزى الأول فى قصة المسيح عليه السلام .. وهو يكمن فى أمه العذراء البتول ، التى خصها الله بذلك الميلاد المعجز .. فقد ولدت لأب صالح ، وأم تقية ، لذلك قالوا لها : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم : ٢٨] فى هذه الأسرة الصالحة نشأت مريم ، ثم دخلت هيكل العبادة ، وتركت شئون الدنيا والناس ، وانقطعت للعبادة وذكر الله ، والتدبر فى أمر الكون ـ على الرغم من صغر سنها وحداثة تجربتها ، لأنها حملت فى عيسى وهى دون الخامسة عشرة . ومعنى هذا أن أم المسيح كانت فتاة صالحة تقية نقية .. لم تعمل ولم تفكر فى أى شأن من شئون الحياة سوى العبادة والذكر . وقد شهد لها رب العزة سبحانه بالعفة والطهارة حين قال وقوله الحق : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣](2) .

إن مريم خير نساء العالمين ، لأنها طراز وحدها بين كل النساء ، فقد امتحنت بما لم تمتحن به أنثى . وهذه (أول امرأة) فى تاريخ الأديان تقوم بما لا يقدر عليه سوى أولى الفضل من الرجال .. وهذا توجيه من رب العزة سبحانه ، حتى تكون أما لرسول كريم من أولى العزم ، تحمل الكثير منذ ساعة مولده بين بنى إسرائيل إلى أن ترك دنيا الناس ، ورفعه الله إليه مكانا عليا .

---

(١)المحراب : مكان العبادة ـ أنى لك هذا : من أين لك هذا الخير الوفير .

(٢) اصطفاك : اختارك واختصك بفضل منه ـ اقنتى : أطيعى الله فى خشوع .

يكلم الناس فى المهد

لزمت مريم المحراب عابدة ذاكرة .. رغم أنها كانت صبية صغيرة ــ دون الخامسة عشرة .. والله تعالى أعلم بعدد السنين والحساب . فى تلك الفترة بشرتها الملائكة أن الله سيهبها طفلا مباركا صالحا ، يكون رسولا إلى بنى إسرائيل ، ويعطى معجزات كثيرة منذ طفولته ، حتى يبرئ أمه الطاهرة من أية مظنة ، ويثبت لبنى إسرائيل أنه نبى مرسل مثل موسى ، لذلك ينبغى عليهم أن يؤمنوا بما جاءهم به من البينات .

لكن الفتاة الصغيرة الطاهرة ــ فى بداية الأمر ــ استنكرت وتعجبت ، إذ كيف يكون لها ولد ، ولم يمسسها بشر . فأخبرتها الملائكة أن هذا أمر الله ، وأنه سبحانه إذا أراد شيئا، فإنما يقول له : كن ، فيكون ــ لا راد لمشيئته ولا معقب لحكمه . وهذا ما تصوره الآيات الكريمة :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ــ ٤٩][1] .

تمت إرادة الله وحملت مريم .. وحين قرب وقت المخاض والميلاد ، اعتزلت الناس ، وذهبت وحدها إلى مكان قصى حتى لا يراها أحد . وآوت إلى جذع نخلة فى مكان قفر ــ لا طعام فيه ولا ماء . لكن الله سبحانه لا يتخلى عن عباده المكرمين ، فجاءها النداء من قبل الخالق القدير .. أن هزى جذع النخلة وأنت فى مكانك ، وسوف تتساقط عليك رطبا (بلحا) جنيا حلوا . كما أجرى الله نبع ماء يسرى بجوارها ، حتى تأكل وتشرب وتطمئن نفسها . وطلب منها ألا تكلم أحدا،

---

(١)كلمة منه : أمر ــ وجيها : له وجاهة وشرف .. ومن المقربين إلى الله سبحانه .

وتقول لمن يحاول أن يكلمها ، أنها نذرت للرحمن صوما وامتناعا عن الكــلام ، إذ أن بعض الصوم يتمثل فى السكوت عن محادثة البشر ، وذكــر الله وتدبــر آيــات قدرته .

بعد أن تم الميلاد المعجز ، حملت المولود وعادت إلى قريتها . فتعجب النــاس من أمرها .. وقالوا لها لقد جئت أمرا فريا أى عجيبا ، إذ كيــف تلــد دون زوج ، وكان أبواها صالحين ، وهى أخت هارون .. وهذا أسلوب مجازى ، أى أنها أختــه ــ (أو من ذريته) ــ فى التقوى والعبادة . ولكن هل هارون هذا هو أخــو موســى عليهما السلام على أساس أنها من نسله وذريته أم أن هارون هذا ــ كما ذكر ابــن كثير نقلا عن السهيلى : «رجل من عباد بنى إسرائيل المجتهدين (فى العبادة) كانت مريم تشبهه فى اجتهادها»[1] ..؟!

الله أعلم بالمقصود .. لكن الرأى الأول هو الذى نطمئن إليه ، إذ من المعروف أن كل أنبياء بنى إسرائيل من سلالة هارون أخى موسى عليهما الســلام ، فيكــون المعنى : «يا أخت هارون» ، أى يا شبيهته فى العبادة والتسمية ، لأن والــد كــل منهما يسمى عمران .

لم ترد مريم على المتعجبين من أمرها بعد الولادة ، لكنها أشارت إلى الوليــد الذى لم تمض على مولده لحظات معدودات . وأنطقه الخالق القادر فقال : إنى عبـد من عباد الله ، ونبى صاحب كتاب ، وإن الله أوصانى بعبادته وأن أحسن إلى أمى ، ولست ظالما مستكبرا عن طاعة الله وعبادته . وإننى مثل كل البشر : أولد وأمـوت وأبعث يوم القيامة .

لكن فتنة بعض الناس فى مولد عيسى المعجز ، لم تزل قائمة منذ ولــد إلــى اليوم. والمسيحيون أنفسهم الذين هم أتباعه وحملة رسالته ، يرون أنه « ابن الله » . كبرت كلمة تخرج من أفواههم . فالله الذى خلق السموات والأراضيــن والملائكــة والجن والإنس وغيرها ، كيف لا يكون قادرا على خلق عيسى كما خلق آدم مــن

(١) تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٤٥٠ ــ يراجع إنجيل لوقا ــ إصحاح ٥ .

قبل ؟! سبحانه إذا أراد شيئا ، فإنه يقول له كن فيكـــون ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [مريـــم : ٣٤ ـ ٣٧] .

الرحلة إلى مصر

هل اقتنعت الطوائف اليهودية بمعجزة مولد المسيح .. أم أنهم ظلوا بين مصدق ومكذب ؟! يبدو أنهم ـ كعادتهم ـ لم يكونوا على حالة واحدة ، بل إن بعض الذين صدقوا معجزة مولده ، **ساورهم الشك فى أنه إنما جاء ليمحوا شريعة موســـى** ، لذلك فإن بعضهم ـ إن لم يكن أكثرهم ـ ظلوا يضمرون له العداء ، ويرغبون فـى إيذائه وعدم الإيمان برسالته ، وبقوا على ذلك حتى رفعه الله إليـــه ، وحمـــاه مـــن أحقادهم وشرورهم .

لم يكن اليهود وحدهم مصدر الخطر والخوف على الســيد المســيح وأمــه ـ عليهما السلام ، وإنما كان حكام الرومان أيضا يضطهدون كل أبناء المســـتعمرات ومنها فلسطين ، ولا يستطيع أحد أن يعصى لهم أمرا .

من الثابت تاريخيا ـ وإن لم يرد لذلك ذكر صريح فى القرآن الكريـــم ـ أن السيدة العذراء ، قد جاءت إلى مصر وابنها طفل صغير ، ومعهما رجـــل صـــالح يدعى يوسف النجار . فهل فرت خوفا من اليهود أم من الرومان .. أم من كليـــهما معا على وليدها ؟!

الله أعلم .. لكن المعروف تاريخيا ـ أيضا ـ أن اليهود ، هم الذين حرضـوا الرومان على إيذاء السيد المسيح . لعل ذلك يؤكد مخاوف الأم علـــى وحيدهـــا ،

ويكون هو الذى حدا بها ، لكى تفر به بعيدا ، حتى يكبر فى مكان آمن ، ويصبح قادرا على حماية نفسه وتدبير شئونه وتحقيق أمر ربه .

هربت السيدة مريم وابنها الوليد ومعهم يوسف النجار — تحرسهم عناية الله . خرج الثلاثة من فلسطين إلى غزة إلى العريش . وامتدت الرحلة بهم — التى استغرقت حوالى أربع سنوات — إلى كثير من المدن والقرى المصرية .. من القنطرة شرقا إلى وادى النطرون غربا .. ومن سمنود وسخا شمالا إلى إهناسيا وديروط وأسيوط جنوبا . ويبدو أنهم كانوا شديدى الخوف من أن يشى بهم أحد أتباع الرومان .. أو أن يكون هناك من يرصد حركتهم . وقد اتسعت الرحلة المباركة إلى كثير من أقاليم مصر فى الشمال والجنوب . ويبدو — والله أعلم — أن الله سبحانه أراد أن يبارك أرض مصر بهذه الرحلة المقدسة .. يؤكد ذلك أن بعض معجزات السيد المسيح — رضى الله عنه — وكراماته ، بدأت تظهر خلال هذه الفترة المبكرة من حياته[1] .

وبعض كتب «قصص الأنبياء» تشير إلى رحلة المسيح لمصر بأقوال مختلفة ، فابن كثير يذكر فى هذا الصدد :

« وكان عيسى يرى من العجائب فى صباه إلهاما من الله ، ففشا ذلك فى اليهود، فهمت به بنو إسرائيل ، فخافت أمه عليه ، فأوحى الله أن تنطلق به إلى

---

(١) هناك كتابات وخرائط كثيرة تصف رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ، ويرد فيها ذكر بعض البلاد التى أقاموا فيها مثل : العريش — سيناء — القنطرة شرق — تل بسطة (الزقازيق) — بلبيس — سمنود — سخا — وادى النطرون — مسطرد — حى المطرية (عين شمس) — حى الزيتون — مصر القديمة — حصن بابليون — المعادى — إهناسيا (بنى سويف) — ملوى — المنيا — الأشمونين — البهنسا — قوص — أخميم — بنى حسن — ديروط — أسيوط .

راجع خريطة من إعداد : Dr. Phlilopos Anba - Bishoy مطبوعة فى القاهرة سنة ٢٠٠٠ بعنوان:

The Flight of the Holy Family to Egypt.

— البابا شنودة الثالث : رحلة العائلة المقدسة فى مصر ، مجلة الهلال ، القاهرة ، عدد يناير ١٩٨٦ .

أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥] .

« وقال إسحق بن بشر : قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال : إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا...»[١] .

أما عبد الوهاب النجار فيذكر «أن هيرودس (الحاكم الرومانى على فلسطين حينذاك) لما أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم .. أمر يوسف النجار فى منامه بأن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر ، لأن الحاكم أمر بقتل كل طفل يولد فى بيت لحم . فقام من فوره ، وأخذ الطفل وأمه وذهب بهما إلى مصر إلى أن هلك هيرودس . ولما هلك ، أمر يوسف فى نومه بأن يأخذ الطفل وأمه إلى بلادهما ، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع .. وبعض مفسرى القرآن الكريم يذكرون أن مصر هى المعنية فى القرآن الكريم بقوله تعالى فى عيسى وأمه ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . ويزعم المسيحيون أنهما استقرا ببلدة عين شمس ، ويقولون إنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى أصلها محتفظا به إلى أمد غير بعيد منا، وكانوا يسمونها «شجرة العذراء» ، ويعنى الناس بالذهاب إلى زيارتها فى ضاحية المطرية»[٢] .

ونحن نميل إلى أن الآية الكريمة من سورة «المؤمنون» تشير إلى ذهاب المسيح وأمه إلى مصر ، لأن الربوة المذكورة غير المكان الذى ولدت فيه السيدة مريم ابنها .. كما أن الآية تشير صراحة إلى عيسى وأمه عليهما السلام فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ ، أى أن الله جعل عيسى وأمه حجة قاطعة على قدرته على أن يخلق ما يشاء . كما أن بقية الآية يأتى الفعل فيها مسندا إلى ضمير المثنى : ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

---

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٥٨٨ .
(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥١٩ .

أى أن الله أسكنهما عند ربوة .. والربوة هى المكان المرتفع قليلا ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات . «ذات قرار» ، أى أنها مكان للاستقرار والأمان .. «ومعين» المعين مكان يجرى فيه الماء بصفة مستمرة . وهذه أوصاف تنطبق على مصـــر ــ بأكثر مما تنطبق على غيرها .. والله أعلم .

الذى لا ريب فيه هو أن المسيح قد وفد إلى مصر هو وأمه ويوسف النجـــار ، وأنهم عاشوا فيها فترة من الزمان .. **هنا نصل إلى (دلالة) هامة وعامة ، ذلـــك أن عيسى يعد ثالث الرسل أولى العزم ، الذين عاشوا فى مصر فترة من الزمان . فقد وفد إبراهيم الخليل إلى مصر وأقام بها .. وتزوج منها (السيدة هاجر) ، كمـــا أن موسى ولد بمصر ونشأ وترعرع ، وتعلم فيها كثيرا من أمور الحياة . وهذا هـــو المسيح عليه السلام يفد إلى مصر فرارا من بطش اليهود والرومان ، ففتحت لـــه مصر ــ بفضل الله وتوفيقه ــ أبوابها وقلوب من يلقـــاه ، فيعيـــش فيـــها آمنـــا مطمئنا.** ولعل هذه المرحلة تمثل فترة الإعداد والتكوين والتفكير والتدبـــير ، حتـــى يعود بعد أن كبر واشتد ساعده ، لكى يدعو إلى عبادة الله ، ويتلقى رسالة الإنجيل ، ويظهر بعض المعجزات التى خصه اللطيف الخبير بها .

إن مصر بلدة طيبة ، شرفها الله سبحانه وتعالى بـــأن تكـــون «أم الدنيـــا» ، وصاحبة أقدم حضارة ، ومن علامات تشريف المولى عز وجل أنه أورد ذكرها فى القرآن الكريم (خمس) مرات ــ فى سور البقرة ويونس ويوســـف والزخـــرف . وتلك ميزة لم يمنحها الخالق العظيم ، لبلدة أخرى فى الذكر الحكيم .

كان من فضل الله على مصر أيضا أن يعيش على أرضها الطيبة (ثلاثة) مـــن الرسل أولى العزم(*) ، حيث عاشوا فى بلاد العمران ، وسكنوا فى ديـــار الأمـــن والأمان ، وعرفوا بعض قواعد الحكمة والعرفان ، وأصبحوا قادرين على مواصلـــة

(*) هناك أنبياء كثيرون عاشوا فى مصر ، لكن الحديث عنهم فى حاجة إلى مبحث خاص .

الدعوة إلى الإيمان ، وتبليغ ما كلفهم به الواحد الديان .. كما أشارت بعض آيات القرآن ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة ٥٤][1] .

خلاصة القول :

إن ثلاثة من أولى العزم الكرام قضوا فترة من حياتهم فى مصر ، وتأثروا بحضارتها وثقافتها وخيرها . فالمصريون أصهار إبراهيم الخليل وأخوال ابنه إسماعيل ، أى أن المصريين (أخوال) العرب ، الذين ينحدرون من سلالة إسماعيل قبل أن تكون فى دمائهم نسبة آرامية أو قحطانية .

كما أن موسى وأخاه هارون .. ولدا فى مصر وتعلما فيها ، وإن كانا ينتميان إلى الجالية العبرانية التى كانت موجودة فى مصر بعد أن وفد إليها يعقوب وأسرته بدعوة من النبى يوسف .

كذلك فإن السيدة مريم حين خشيت على وليدها من بطش الرومان ، لم تجد مكانا أكثر أمانا من مصر ، فجاءت وعاشت فيها أربع سنوات ، تمثل مرحلة من مراحل إعداد المسيح لرسالته السمحة .

أخيرا .. فإن رسولنا محمد ﷺ .. تزوج من السيدة مارية القبطية ، التى أرسلها (وأختها سيرين)[*] المقوقس إلى الرسول فى السنة السابعة من الهجرة .. وولدت له ابنه إبراهيم الذى توفى وهو فى المهد صبيا (أقل من سنتين) .

فالرسل أولو العزم أجمعين ـ باستثناء نوح ـ كانت تربطهم بمصر علاقة وثيقة ، وتركت فى حياة كل منهم ذكرى عطرة . وهذا من فضل الله على مصر المحروسة بعنايته الله منذ الأزل .. وإلى الأبد .

* * *

---

(١)فضل : إحسان وعطاء ـ واسع عليم : واسع الفضل : عليم بمن يستحقه من عباده .
(*) السيدة مارية وأختها سيرين تنتميان إلى محافظة المنيا . وقد تزوجت سيرين من حسان بن ثابت شاعر الرسول .

يبدو ــ والله أعلم ــ أن معجزات عيسى أخذت تترى وتتوالى منذ مولــــده .. وفى مرحلة طفولته الباكرة فى فلسطين .. وفى مرحلة صباه وهو فــى مصــر .. وبعد عودته إلى فلسطين شابا ورجلا . **وربما كان توالى المعجزات قبــل البعثــة والأمر بأداء رسالة سماوية (ميزة) ، لم يخص بها أحد من أولى العزم من الرسل ــ كما خص بها عيسى بن مريم عليهما السلام** . ولعل السر فــى هــذا التــأييد المستمر من الله سبحانه بالمعجزات والآيات البينات أن حياته لم تطل علــى الأرض ، فقد رفعه الله سبحانه إليه ، وهو دون الخامسة والثلاثين .. وقيل إن ذلــك كــان وعمره ثلاث وثلاثون سنة . ونحن نميل إلى الرأى الأول .

ربما كان هناك سبب آخر : وهو أنه أرسل إلى بنى إسرائيل ، وهم ــ كعادتهم ــ قساة القلوب غلاظ الأفئدة .. عندهم قدرة عجيبة على الجدل والحوار ، ويصعب ــ إن لم يستحل ــ أن تحولهم عن رأى أو تثنيهم عن خصومة ، إذ يتوهمون أنــهم « شعب الله المختار » ، لذلك يظنون أنهم يجب أن يتبعــوا ــ لا أن يتبعــوا هــم غيرهم فى أى شأن من شئون الحياة . وربما كان هذا سببا فى مخالفتــهم المســيح وعصيانه ، وإنزال أشد العذاب به وبمن آمن معه . كما كان هذا أيضا سبب كفرهم بمحمد ــ ﷺ ــ ورسالته . والحقيقة أن بنى إسرائيل لم يفـــتروا علــى الأنبيــاء والرسل فحسب ، بل لقد افتروا على الله سبحانه ، وإلى هذا تشير كثير من آيــات القرآن الكريم ، ومنها قولــه تعــالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة : ٦٤] (١) .

---

(١) مغلولة : مقيدة ــ مبسوطتان : مفتوحتان بالعطايا والنعم التى لا حصر لها .

فاليهود ــ عليهم لعنة الله ــ وصفوا المولى سبحانه فى هذه الآية بــأن يديــه ممسكتان ، كناية عن البخل . وفى آية أخرى قــالوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] .. من أجل ذلك غضب الله عليهم ، ولعنهم ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة والتشريد فى الأرض ، حتى يذوقوا وبال كفرهم بالله وعصيانهم لرسـله ، حتى من أرسلوا إليهم من بنى إسرائيل أنفسهم. وإلى هذا يشير رب العزة سبحانه.. ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة : ٧٠] .

رسول كريم أرسل إلى شعب عنيد لئيم ، يتجرأ على عصيان الله وقتل أنبيائه ، كان فى حاجة مطردة ودائمة إلى معجزات ، حتى يؤمن بالنبى المرسل . من أجــل ذلك كله كانت معجزات عيسى كثيرة ومتواصلة طوال فترات حياته القصيرة . لكن ذلك لم يزد معظم اليهود إلا عنادا وكفرا وتعذيبا لأتبــاع المســيح ، ومكــرا بــهم ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٤] . والمكر صفة لم ينسبها المولى سبحانه وتعالى لنفسه إلا فى معرض الحديث عن اليهود ــ عليــهم لعنة الله ..!!

المعجزة (الأولى) لعيسى أنه كلم الناس وهو طفــل رضيــع بعــد لحظــات معدودات من مولده ، فقد أنطقه الخالق العظيم ، حتى يبرئ أمه من أيــة مظنــة ، ويدلهم على أنه سيكون نبيا مرسلا إلى بنى إسرائيل بعد أن يعلمــه الله الحكمــة ، ويوحى إليه بالإنجيل ــ وهو الكتاب المقدس الذى جاء به .

المعجزة الثانية هى أنه كان **يخلق لهم من الطين على هيئة الطير ، ثم ينفــخ فيه فيكون طيرا بإذن الله** . وربما كانت هذه المعجزة ذات علاقة بالسحر ، الذى له علاقة بموسى عليه السلام وبعض قومه .

ومن معجزاته ــ أيضا ــ أنه كان **يشفى الأكمه** .. وهو الذى ولــد أعمــى ، ويستحيل علاجه ، لأن الأعمى قد يكون ممكنا شفاؤه ــ إذا كان العمى بعد الــولادة نتيجة مرض أو رمد . أما من ولد أعمى ، فلا يشفى إلا بإرادة الله وقدرته .

ومن معجزاته الطبية أيضا أنه كان **يشفى الأبرص** ، والبرص مرض جلدى ، يجعل لون الجلد مختلطا بين البياض والصفرة القمحية . ثم تلى ذلك معجزة طبية أخرى كان عيسى قادرا عليها ــ بإذن الله ــ وهى أن **يعيد الحياة إلى الموتى** .

ومن معجزاته أيضا التى ذكرت فى القرآن ، أنه كان **مكشوفا عنه حجاب الرؤية** ، وقادرا على أن يخبر الناس بما يأكلون .. ويخزنون فى بيوتهم من المال والمتاع .

تلك المعجزات التى تجمع بين السحر والطب والكشف كانت مقصودة من قبل الله .. فقد «كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته بما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب .

وهكذا عيسى بعث فى زمن الطبائعية والحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنى لحكيم [طبيب] إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالا من الأعمى ، والأبرص ، والمجذوم ، ومن به مرض مزمن . وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذه ــ مما يعلم كل أحد ــ معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله »[1] .

من معجزاته أيضا نزول «الإنجيل» عليه باعتباره «الكتاب المقدس» الذى جاء به . ومعنى كلمة الإنجيل «البشارة» أو الإخبار بالخير[2] .. أى أنه كتاب يدعو إلى الهدى والنور مثل «التوراة» من قبل والقرآن من بعد ، لذلك كانت من معجزات المسيح فى الإنجيل أنه بشر ببعثة محمد ﷺ . هذا ما تؤكده الآية الكريمة.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ .. ﴾ **[الصف : ٦]**[3] .

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٥٩٩ .
(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٢٣ . وهذه التسمية (البشارة) اجتهاد من الشيخ عبد الوهاب النجار .
(٣) وفى هذا يقول الرسول ﷺ .. « أنا دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى .... » .

ثمة آية أخرى تؤكد (التبشير بمحمد) ورسالته من خلال ما هو مكتوب ومسجل في التوراة والإنجيل .. وهي : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

عجب عجاب أن يدعى بعض البشر أن الله يرسل رسولا ، ثم لا يواصل رسالاته ورسله ، لأنه سبحانه يجدد الرسل والرسالات بعد أن تزيغ بصيرة أصحاب رسالة من الرسالات ، فيبعث المولى رسولا آخر ، يجدد للناس آيات الله ، ويكرر الدعوة بما جاء به الذين قبله من الرسل ؛ معنى هذا أن الرسالات السماوية ذات وظائف موحدة وتشريعات متقاربة ، لذلك ينبغى ألا نفرق بين أحد من رسله . وصدق الله سبحانه حيث يقول : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

المائدة .. والحواريون

الآيات الكريمة التى تجمل معظم معجزات عيسى ــ عليه السلام ــ وردت فى سور «آل عمران والمائدة ومريم» .. وقد ذكرناها من قبل ، وأشرنا إلى أهم ما ورد فيها أثناء الشرح والتفسير .

آخر المعجزات التى أيد الله بها رسوله المسيح ، هى أنه أنزل على أتباعه (مائدة) من السماء . وقد ورد ذكرها فى سورة تحمل اسمها ، هى سورة «المائدة»، وهى سورة «مدنية»، وترتيبها الخامسة . والآيات التى تشير إليها هى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ

وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة : ١١٢ ــ ١١٥] .

إن **الحواريين**[١] ــ وهم تلاميذ المسيح عليه السلام ــ حين جاشت تلك الرغبة فى نفوسهم ، « لم يكن ذلك منهم شكا فى قدرة الله ، أو طعنا فى نبـوة عيسـى ، فحاشاهم أن يكونوا من الشاكين فى قدرة الله أو المرتابين فيها ، بعد أن آمنوا بـالله ورسوله . وقالوا لعيسى : آمنا واشهد بأنا مسلمون .. قوم هذا شأنهم لا يسلك الشك سبيلا إلى نفوسهم .. قال لهم عيسى ــ وقد عجب من أمرهم وخاف عاقبة سؤالهم : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، واحذروا أن تقترحوا أمثال هذه المعجزات ، لئلا تكـون فتنة لكم ، وسببا فى فساد أمركم .. هدءوا من روعه ، وقالوا : إن ما دفعنـا إلـى اختيار هذه المعجزة هو أننا نريد أن نأكل منها بعد أن كنا صائمين ، حتى نطمئـن إلى أن الله قد قبل صيامنا .

أنزل الله عليهم مائدة من السماء ، فاضت بالرزق السابغ والخير الوافر إنجازا لوعده وتأييدا لنبيه واستجابة لدعوته ، وخشى عيسى الفتنة إذ رآها ، فدعـا الله أن يجعلها رحمة لهم ، ونعمة عليهم ، وسأل ربه أن يهديهم إلـى الإيمـان والطريـق القويم .. فطعموا منها ما شاءوا ، وقرت بذلك أعينهم ، وقوى إيمانهم ، ثم تحـدث الناس بتلك المعجزة الباهرة ، فآمن خلق كثير ، وازداد المؤمنون يقينا فى الإيمـان وثباتا عليه »[٢] .. ولكن الكافرين ــ أيضا ــ ازدادوا كفرا وصدا ، وتكذيبا وبعدا.

يلاحظ فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد أيد رسوله عيسى ابن مريم بكثـير من (المعجزات) الدالة والآيات الواضحة ، لكن ذلك كله لم يحدث الأثر المرجو فى

---

(١) الحواريون : مصطلح مستمد من القرآن الكريم ، ومعناه الأنصار .. وله تفسير آخـر فـى المسيحية .. وهم رسل عيسى وتلاميذه ، الذين أرسلهم للتبشير بدعوته .
والكلمة أصلها حبشى ، فكلمة (حوارى) بمعنى رسول . وقيل إنها آرامية الأصـل مـن كلمـة (حفار) ومعناها الصديق المخلص .

(٢) محمد جاد المولى وآخرون : (قصص الأنبياء ، ص ٥٧) بتصرف .

بنى إسرائيل . وقد أدرك عيسى نفسه ذلك ــ كما تدل على هذا الآيات الكريمة التالية :

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢ ــ ٥٤][(١)] .

والحواريون ــ الذين ورد ذكرهم فى الآيات الكريمة «هم أصحاب عيسى وخاصته ، الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه ، وبادروا إلى الإيمان به ، وتتلمذوا عليه، وتعلموا منه ، وكانوا اثنى عشر رجلا .. ويظهر أن لفظ «الأنصار» فى جانب (محمد) رسول الله .. بمنزلة «الحواريين» فى جانب عيسى .. »[(٢)] .

هؤلاء الحواريون هم الذين نصروا المسيح ، وتتلمذوا عليه ، وحفظوا تعاليمه، وكانوا مقربين لديه . ويبدو أن عيسى ــ عليه السلام ــ كان فى جل تحركاته يتنقل مع هؤلاء الحواريين الاثنى عشر ، حتى يتخفى فيهم ، ولا يستطيع اليهود معرفته، لكى لا يغدروا به أو يعذبوه . والقرآن الكريم يشير إليهم فى سورة الصف .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

---

(١) أنصارى : أعوانى على نشر الدين ــ الحواريون : لقب لأنصار عيسى .. بمعنى نصير أو ناصر ــ مسلمون : مخلصون فى الإيمان ــ بما أنزلت : الإنجيل ــ الرسول : عيسى ــ الشاهدين على صدق عيسى وغيره من الأنبياء .

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٤٤ .

لم تذكر آيات القرآن الكريم ـ بشكل صريح ـ الميقات الذى بعث فيه عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ بالرسالة إلى بنى إسرائيل ، ولا متى بدأ يدعوهم إلى عبادة الواحد الديان ، إذ إن معجزاته كانت تتوالى منذ مولده إلى أن رفعه الله إليه . فكل معجزة من معجزاته كانت آية على أنه نبى مرسل ، إذ إن كل ما كان يحدث له ، فإنه ـ هو نفسه ـ كان ينسبه إلى قدرة الله ، ويعزوه إلى مشيئته .

بعض المفسرين وأصحاب قصص الأنبياء يذكرون أن بعثته حدثت وهو فى حوالى الثلاثين من عمره[1] . ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه حين بدأ يجهر بالدعوة ، ويذكر لبنى إسرائيل أنه رسول كريم ، جاء لكى يردهم إلى الصراط المستقيم ، الذى زاغوا عنه بعد أن حرفوا كثيرا فى آيات التوراة وتعاليم موسى عليه السلام ، كان قد تجاوز العشرين بقليل .

حين علمت طوائف كثيرة من بنى إسرائيل أن عيسى عليه السلام يريد أن يصرفهم عن ضلالهم ، ويدعوهم إلى دين جديد . بل أكثر من هذا يبشرهم بنبى آخر ، سوف يأتى من بعده ـ وهو محمد ﷺ ـ بدأوا يشون به إلى الحاكم الرومانى «بيلاطس» . وقالوا إنه يحدث ثورة بين الناس ، ويشيع الفتنة فى البلاد أملا فى أن يصبح حاكما . **تلك خصلة ذميمة من خصال اليهود .. وهى النفاق والغدر** . هكذا لم يصبح للسيد المسيح عدو واحد ، بل عدوان .. هما : زعماء اليهود .. وحكام الرومان .

حين أحس المسيح فى سنواته الأخيرة منهما (اليهود والرومان) نية الغدر .. ورغبة الانتقام ، بدأ الرسول الكريم يأخذ حذره ، ولا يتنقل وحده ، ولا يستقر فى مكان . وكان يصحب معه حوارييه ، حتى لا ينفرد اليهود به ، أو يصيبوه بأذى .

فى ليلة من لياليه الأخيرة على الأرض تناول العشاء الأخير مع حوارييه .. وقدم لهم بعض وصاياه . فإذا بالباب يفتح بالقوة ، ويهجم عليهم الأعداء من اليهود

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٢٢ .

وجند الرومان بإرشاد تلميذ خائن للمسيح ، تسميه بعض الأناجيل باسم «يهوذا الأسخريوطى»[1].

لكن الله ــ جلت حكمته ــ لا يتخلى عن رسله المكرمين ولا عن عباده الصالحين ، فشبه لهم من ظنوا أنه المسيح .. فأخذوه وصلبوه بدلا منه . هكذا أنقذت عناية الله نبى الله . وكما يذكر الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم ، فالمخاوف كلهن أمان[2]

* * *

لقد كذب اليهود بالمسيح حيا وكفروا بدعوته ، وبعد أن رفعه الله إليه استمروا فى حالة الكذب والافتراء . وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

كيف شبه لهم مثيل المسيح ، ومن هو على صورته .. ؟ ثم كيف رفعه الله .. وهل كان ذلك الرفع بالجسد أم بالروح .. وكيف .. وكيف ؟! كل هذه أسئلة لا ينبغى أن نتوقف عندها ، ولا يجب أن نفكر فيها . كما لا يصح أن نذكر الحكايات والروايات المختلفة ، التى ذكرها بعض أصحاب قصص الأنبياء ، بل بعض المفسرين ــ أحيانا ــ نقلا عن بعض الإسرائيليات أو عن بعض الأناجيل . يكفى أن نذكر أن تلك إرادة الله .. وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل شىء . أليس الذى خلق الكون ونظمه بقادر على أن ينجى واحدا من أفضل رسله ؟ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ...!!

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٦٦ .

(٢) العناية : رعاية الله .

تعقيب

توفيت السيدة مريم ـ عليها السلام ـ بعد أن رفع الله رسوله عيسى إليه ، وطهره من رجس الكافرين ودنس الضالين المضللين . ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٥] (١) .

هكذا تمت كلمة ربك .. وانتهت قصة ذلك الرسول الكريم ، الذى اختلف في أمره كثير من الناس ، حتى أولئك الذين اتبعوه من المسيحيين ، وادعوا أنه «ابن الله» ، وأنه ثالث ثلاثة : الأب والابن والروح القدس . كبرت كلمة تخرج من أفواههم . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، لأنه واحد أحد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . وسوف يتبرأ المسيح منهم يوم القيامة كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١٢٠] (٢) .

---

(١) إلى مرجعكم : مرجعكم إلى يوم القيامة .

(٢) الشهيد : الشاهد على ما يفعلون .

تلك هى حقيقة الصورة الصادقة لذلك الرسول الكريم عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ الطاهرين المطهرين . فقد روى عن رسولنا محمد ﷺ أنه قال ما معناه : « **كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم ابنة عمران وابنها عيسى** »(١) .

إن مريم العذراء البتول قد شهد لها بالفضل والطهر رب العزة سبحانه ، كما شهد لها بهذا أيضا رسول الله ﷺ حين قال فى حديث ما معناه : « **حسبك من نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد**»(٢) .

إلى هنا تنتهى قصة عيسى ابن مريم . فسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣) [مريم : ٣٤ ـ ٣٦] .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين .. من أولى العزم والنبيين .. والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٥٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

(٣) يمترون : يشكون ـ سبحانه : تنزيها له عن كذب النصارى وافترائهم عليه بأن عيسى ابن الله .

خاتمة الجزء الأول

الحمد لله الذى هدانا إلى شرح هذه القصص الغراء ، لأولى العزم من الرسل المكرمين ، مصابيح الرسالات السماوية ، وهداة البشرية ، إلى عبادة رب البرية .

إن قصص أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ــ وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى .. ومحمد (موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب ــ بإذن الله) ــ **تعد أنصع صفحة فى تاريخ البشرية ، بل فى وجود البشرية أصلا** ، لأن نوحا هو الأب الثانى للبشر بعد آدم . أما إبراهيم فهو أبو الأنبياء جميعا من بنى إسرائيل ومن العرب أيضا . وموسى صاحب أول رسالة سماوية كبيرة ، وأهم أنبياء بنى إسرائيل . أما المسيح عيسى ابن مريم ، فهو صاحب الرسالة التالية لرسالة موسى فى الأهمية والتأثير فى الفكر البشرى قديما وحديثا .. ثم ختم الله ــ سبحانه وتعالى ــ السلسلة النورانية من أولى العزم بخاتم الأنبياء وأفضل المرسلين، محمد بن عبد الله ــ ﷺ .

على هذا فإن الحديث عن هؤلاء الرسل العظام ، والهداة الكرام ، هو ــ فى حقيقة الأمر ــ حديث عن المصطفين الأخيار ، الذين شرف الله البشرية بهم ، فكانوا قناديل السماء إلى الأرض ، إنهم الهداة المهديون .. الذين اصطفاهم رب العزة ، لكى يبلغوا رسالاته ، ويعرفوا الخلق أجمعين حدود هذا الوجود ، ويهدوهم إلى حقيقة الإله المعبود . **لقد كان الله سرا مكنونا ، وكنزا مصونا .. فاختار هؤلاء الرسل ــ وغيرهم من الأنبياء ــ حتى يهدوا الناس إلى عبادة رب الناس بإرادة المولى وتوفيقه ، لأن الله وحده هو الهادى ، الذى يهدى من يشاء إلى ما يشاء .**

* * *

ليس ثمة طريق أقرب إلى الهداية من معرفة أحسن القصص .. قصص الرسل والأنبياء ، التى تقدم للبشرية جمعاء ، إطار العبادة والدعاء ، وسبيل الخير والضياء، حتى يصل الناس إلى كلمة سواء، حين يؤمنون بخالق الأرض والسماء، ويقولون مخلصين : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

إنها لوظيفة سامية نبيلة لقصص الأنبياء ، وهى معرفة الحق واكتشاف الحقيقة ، لينجو من ينجو، أو يهلك من يهلك .. عن بينة واضحة وحجة ناصعة . وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ **[طه : ٩٩ ، ١٠٠]** (١) .

وأملا فى أن يتضح الهدف النبيل من قصص أولى العزم ، حاولنا ــ جاهدين ــ أن ننقى الصورة ، ونجلى العبرة ، من خلال آيات الذكر الحكيم ، الواردة فى القرآن الكريم .. ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ **[الأنعام : ١١٤ ، ١١٥]** (٢) .

على هذا فقد كان دأبنا طوال الشرح والتفسير أن نظل عاكفين فى إطار آيات القرآن الكريم ، حتى تظل الصورة نقية خالصة ، فى إطار النص القرآنى ــ بعيدة عن الإسرائيليات والشعبيات والتحريفات المختلفة .

---

(١) ذكر : القرآن ــ لدنا : عندنا ــ وزر : ذنب .

(٢) الخطاب موجه من الرسول ﷺ ــ الكتاب : القرآن ــ مفصلا : مبينا بيانا كاملا ــ الذين آتيناهم الكتاب : اليهود والنصارى ــ الممترين : الشاكين ــ كلمة ربك : وتقرأ كلمات ربك أيضا: القرآن .

إحصاء بالآيات الخاصة بالرسل

مسلسل	الرسول	عدد الآيات مكية	مدنية	المجموع
١	نوح	١٢٢	٠٧	١٢٩
٢	إبراهيم	١٧٠	٤٠	٢١٠
٣	موسى	٤١٨	٤١	٤٥٩
٤	عيسى	٣٣	٥٤	٨٧

ذكرنا ــ فى أثناء الحديث عن كل واحد من هؤلاء الرسل الكــــرام .. عليــهم السلام ــ ما هدانا رب العزة سبحانه وتعالى إلى معرفته ، وبيان الدلالات الدينيـــة الخاصة به .

أدعو الله ــ مخلصا له الدين ــ أن يكون هذا الكتاب رسالة هدى وحب إلــــى البشرية جمعاء ، حتى يتفاهموا .. ويعلموا حدود ما أنزل الله . وإذا كنـــا جميعـا نطمح إلى أن نعرف نور الحقيقة، ونحسن أداء الفريضة ، ونتعايش معا فى الحياة.. فما أحوجنا إلى التسامح والمحبة ، والتآخى والمودة .

إن العداوة والبغضاء قد اشتعلت فى قلوب الكثيرين ، لأنهم اختلفوا فى حقيقة (الله) ، الذى يدعو إلى التوحيد والرحمة والمحبة . فيأيها الناس .. اتقوا الله الــذى أنتم فيه مختلفون ، واعلموا أن الله تواب رحيم . إنما البشر جميعا إخــوة : إلهــهم واحد .. أبوهم واحد .. مصيرهم واحد .. فلم لا نفئ إلى أمر الله ــ عسى ربنـــا أن يعطينا خير الدنيا ، ويمنحنا حسن ثواب الآخرة ؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وبعد .. فإنى آمل أن تصل إلى الناس كافة رسالة النور والمحبة ، التىاقتبستها من نفحات القرآن الكريم ، وإشراقات الذكر الحكيم . أدعو الله سبحانه أن يقرب بين خلقه فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يهدى الجميع إلى طريق الحق والخير والعدل . إن الله بعباده رؤوف رحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين ، ومن اهتدى بهديهم من البشر أجمعين .. إلى يوم الدين .

﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

والله الموفق والمعين ، لما فيه خير البشر أجمعين ـ رغم اختلاف العقائد والفلسفات والنظم . فالأديان ـ فى جوهرها ـ دعوة إلى عبادة الإله الخالق ..

وإلى المساواة والحرية .. والتسامح والمحبة .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة . إنه نعم المولى.. ونعم النصير .

المتوكل على الله أبو محمد

د. طه بن عمران وادى

رضى الله عنه

الجزء الثانى

مُحمَّد
الرسول والرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

د. حسن محمد باجودة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد : فقد طلب منّي الأخ الكريم الأستاذ الدّكتور طه عمران وادى مشكوراً أنْ أكتبَ مقدّمة لسفره النّفيس هذا ، فأدركتُ أنّـي كجالب التّمر إلى هَجَر ، خاصّةً وقد منَّ المولى عزَّ وجلَّ على أخينا الكريم بالتّوفيق في مجالي التّأليف والإبداع معًا ، ولله الحمد والمنّة . ونزولاً على رغبة الأستاذ الدكتور طه وادى لا أملك إلا أن أجلبَ التَّمرَ إلى هجر .

ولعلّك أخي القارئ بشأن أولي العزم الخمسة من الرُّسل الكرام ، عليهم صلواتُ ربِّ العالمين وسلامه ، الّذين اتّجهتْ نيةُ الأستاذ الدّكتور طه وهمّته إلى كتابة سيرهم ، دونَ تقصير مخلّ أو تطويل مُملّ ، قد وقفتَ مثلي على باكورة هذه السّلسلة المباركة الطيّبة المفيدة الممتعة بعنوان : « أولو العزم من الرسل » ـ الجزء الأول ، وكان ميدانه أربعة من أولي العزم من الرّسل مرتبين زمنيًا ، وهم : نوحٌ أوّلُ المرسلين ، وإبراهيم أبو الأنبياء ، وموسى كبيرُ أنبياء بني إسرائيل ، وعيسى آخر أنبياءِ بني إسرائيل ، عليهم جميعًا صلواتُ ربِّ العالمين وسلامه .

ولما كان الدكتور طه أحد كتّاب القصة المبدعين ، وكانت القصّةُ (المحورَ) الذي تدور حوله الدراسة ، فقد كان القرآن الكريمُ المصدرَ الأول لهذه الدراسة الأولى ، كما كان كذلك المصدرَ الأولَ للجزء الثاني من الدراسة المتعلقة بخاتم النبيين وأشرف المرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وهي الدراسة التي نكتبُ بين يديْها هذه السطور .

وبشأن أولي العزم الأربعة من الرسل تسنى للدكتور طه أن يجمع في نسق منظم، وفق منهج دقيق ، الآياتِ الكريمات المتعلقة مباشرة بكل من هؤلاء الرسل الكرام ، التي تقدمُ الصورةَ المثلى لحياة كل رسول كريم وكفاحه وصبره .

ومن أهم الأسباب التى جعلتْ هذا المنهج يُمكن تطبيقه أن عدد الآيات الكريمات المتعلقات بكل رسول كريم يمكن حصره إلى حدٍ ما . مع أن حظ موسى عليه السلام من الآيات الكريمات هو الموفور ، على الرّغم من اقتصار المختار من الآياتِ الكريمات على ما له علاقة مباشرة بموسى عليه السلام .

وإذا كنّا نكتبُ مقدمة للجزء الثانى الذى يختصُ بمحمد بن عبد الله ﷺ ، فإنّ منهجَ الدّراسة لمّا كان واحدًا ، فإنّ ما يكتب عن هذا الجزء الثانى ينسحبُ على الجزء الأول المتعلق بالأربعة من الرسل الكرام المتقدمين زمنًا ، كما ينسحبُ كذلك على الجزء الثالثِ الذى ينوى الأستاذ الفاضل عمله بإذن الله تعالى ، والذى يتعلقُ بقصص الأنبياء والصالحين .

وإذا كان ـ بشأن الجزء الأول ـ أمكن جمعُ الآيات الكريمات المتعلقة بكل رسول كريم فى حيّزٍ واحد ، فإنّ الأمر فى حقّ محمد بن عبد الله ﷺ مختلف ، لأنَّ الكثير من آيات الذكر الحكيم ذو علاقة على نحو من الأنحاء بالمصطفى ﷺ . وقد جعل الدكتور طه آياتِ الذكر الحكيم المحورَ الذى تدور حوله هذه السيرة . وكان التوفيقُ ـ بفضل الله تعالى ـ حليفَه فى هذه الدراسة ، كما كان حليفه فى الدراسة السابقة . وعلى الرغم من التزام المؤلف بمنهجه الشمُولى مع الإيجازِ غير المخلّ ، فقد كان حجمُ الدراسة كبيرًا بالقياس إلى الدراسة السابقة . وكيف لا يكون الأمر كذلك والقرآن الكريم هو المصدر الأول لسيرة المصطفى ﷺ الكاملة ، كى تتحقق الأسوةُ الحسنة التى أشارتْ إليها الآية الكريمة الحادية والعشرون من سورة الأحزاب . قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

والحقيقة أن منهجَ الأستاذ الدكتور طه وادى فى هذه الدراسة يمتازُ بمجموعة من النعوت هى ثمرة شهية ، وحصيلة مباركة لمكونات شخصية المؤلف . إن المؤلف فنان يكتب القصة ، والفنّانُ بطبعه جيَّاشُ العاطفة ، فكيف إذا كان هذا الفنان يكتب عن أحب الخلق إلى الله تعالى وإلى المؤمنين ، محمد بن عبد الله

ﷺ، **وكيف إذا كان القرآن ، كلمة الله تعالى الأخيرة إلى البشرية ، المصدرَ الأول لهذه الدراسة والمحور الأولَ لها . فإذا أضيفَ إلى كل ذلك أن المؤلف الفاضل أستاذ فى اللغة العربية ، ومتخصص فى أدب هذه اللغة ، كان من حقك أن تتوقَّعَ بل أن تجدَ فى هذه الدراسة الوجهيْن للدينار الواحد ، أعنى الدراسةَ الدّينية والأدبية** . والحقيقة أن هذا النعت هو العمود الفقرى الذى يصبغ هذه الدراسة ويميزها ، وأن هذه الدراسة وأمثالها من الدراسات الجادة تعطى الدليل الأكيد على أن الأدب الإسلامى يستطيع بإذن الله تعالى أن يضرب بسهم وافر فى الكثير من المجالات ، وأن يُسهم بالعديد من اللَّبناتِ فى بناءِ صرح الحضارة الإسلامية المجيدة .

إن نعوت هذه الدراسة كثيرة ، وأترك للقارئ الكريم ارتيادها والاستمتاعَ بالوقوف عليها كما فعلت . وأوجز هذه النعوت فى عبارة واحدة هى : **أن الأستاذ الدكتور طه عمران وادى قد صبغ هذه الدراسة بإيمانه العميق ، وحبه الصادق ، وبراعته القصصية ، ومهارته اللغوية ، وكفاءته فى مجال البحث .**

وليس من الضرورى أن نتفق مع الأستاذ الدكتور طه فى كل الجزئيات الدقيقة ، فقد تختلف معه كما اختلفت أنا معه فى بعض هذه الجزئيات ، ولكنك لا تملك كما لم أملك ، إلا أن نتفق معه فى كل ما ذهب إليه وراء ذلك .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

أ.د. حسن محمد باجودة
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

[الفتح : ٢٨ ، ٢٩]

مقدمـــة

عظمةُ الرسولِ وبَلاغةُ الرسَالة

١ ـــ محمدٌ .. يا رسولَ الله

الحمدُ لله الذى ليسَ كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير ، خلقَ الســموات والأرضَ وما بينهما وهو على كل شيء قدير ، يبدأ الخلقَ ثم يعيدُه ، ويُدبر الكونَ ــ بقدرته ــ كما يريده ، وهو الرزاق ذو القوة المتين ، ﴿ رب العــالمين، مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ٤ ــ ٧] .

من مظاهر عظمته، وتجليات قدرته، يصطفى من عباده رسلا مكرمين ، يدعون الناس إلى الإيمان بأحكم الحاكمين ، وعبادة رب الأولين والآخرين . يقــول وهــو أصدق القــائلين : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

[الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨]

وقد شرف الله رب العالمين ، أمة الإسلام والمسلمين ، بأن اختصـــهم برســالة خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، حبيب الله ، وأعظم رسله ، وأفضــل خلقه . وقد اختصه ــ سبحانه ــ من بين رسله بما لم يختص به أحدا قبله ، مع أنه رسوله وعبده .. فقال تعالى .. ولم يزل قائلا عليما ، وآمرا حكيما ، تشريفا لقــدر نبيه وتعظيما وتكريما :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

اللهم ... وفاء بعهدك ... واستجابة لأمرك .. وإيمانا بحق نبيك ، نصلى ونســلم على رسول الله ... خير خلق الله ... سيد المرسلين ... خــاتم النبييــن ... إمــام المتقين .. قائد الغر المحجلين .. إلى جنة رب العالمين .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسـوله ، بلّـغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصحَ الأمةَ ، ودعا إلى سبيلِ ربه بالحكمة والموعظـة الحسـنة ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٣] الموحّدين ، الذاكرِين ، الحامدين لله ربِّ العالمين .

٢ ــ جار بيت الله

من فضلِ اللهِ وتوفيقه أنى وُلدتُ فى أسرة يحفظ معظمُ رجالها القرآن الكريـم . فقد كان أبى الشيخ عمران ــ رحمه الله ــ من طُلاَّب الأزهر الشريف ، ومع أنـه ــ لظروف أسريَّة ــ لم يكمل التعليم ، فإنه ظلَّ حافظًا للقرآن .. حريصًا علـى أن يُحفِّظه معظمَ أبنائه . كما كانتْ مجالسُه عامرةً بالحديث عن أمور الدين ومســائل الشريعة وأحداث السيرة النبوية الشريفة .

ومع أنى سرتُ فى طريقيْن مُتباعديْن أجهدانى ــ ولا يزالان ــ هما : طريـق البحث والدراسة النقدية ، ومجال الإبداع والكتابة الأدبية ، فقد وفقنى الله ــ سبحانه ــ فألفت كتابًا بعنوان « أولو العزم من الرسل » . صدر الجزء الأول منـه سـنة ١٤١٦ = ١٩٩٦ . ومع أنه كان أول عملٍ لى فى هذا المجال ، فقد نال استحسـانًا كبيرًا من الذين قرأوه من المتخصصين والمثقفين على حد سواء .

لكن المفاجأةَ السَّارة ــ التى لم تدر بخلدى قطُّ ــ أننى فى نهاية العام الذى صدر فيه الكتاب ــ طُلبت للعمل فى جامعة أمِّ القرى بمكة المكرمة . ترى هل كانت هـذه الرحلةُ أولى بركاتِ ذلك الكتاب ؟! **من يدرى يا جار بيت الله ..؟!**

منذ أقمتُ فى المدينة المقدَّسة .. وأنا أفكرُ فى أن يكون الجزء الثانى من الكتاب هو أولَ عملٍ وأجلَّ هدفٍ ــ أقومُ به فى مكة المكرمة . قلتُ فى نفسى وأنا أطوفُ طواف القدوم حول الكعبة المشرفة : لعل الله ــ جلَّتْ حكمتُه ــ لم يأتِ بى إلى هنا إلا من أجلِ أنْ أكتبَ هذه الدراسة الخاصة بالرسول ﷺ . وما أجمل وما أجلَّ أنْ

تكتبَ عن النبيِّ ، وأنت تقيمُ حيثُ وُلد وعاش ، ونزلَ عليه الوحيُ ، وأمره ربُّه بأن يُنذر عشيرته الأقربين بعدَ أن جاءه الأمرُ الإلهيُّ المبين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٧]

وقد شاءتْ إرادةُ المولى ـ عزَّ وجل ـ أن تُكتبَ معظمُ فصُولِ هذه الدراسة فى شهريْن من الأشهر الحرم الأربعة (ذى القعدة وذى الحجة ١٤١٧) . وقد أديت خلال هذه الفترة مناسك الحجِّ ـ لأولِ مرة . كما كنتُ فى معظم أيام تأليف الكتابِ صائما ، حتى لا أشغل بشيء من مطالب الجسد والحياة ، وأنا أفكر فى أمور نورانية مقدسة . ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ ﴾

[المائدة : ٥٤]

٣ ـ صعوبة الكتابة فى السيرة

أكمل الرسول دعوته ـ وأتم رسالته ، ووحد أمته ، وأرسى دعائم دولته ـ ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ، الذى يختص برحمته من يشاء ، ويتوفى الأنفس إذا جاء أجلها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ ﴾

[الفجر : ٢٧ ، ٢٨]

بعد أن تأسست الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وجمع المسلمون القرآن الكريم بين دفتى مصحف واحد ، ثم بدءوا يدونون السنة الشريفة باعتبارها الأصل الثانى من أصول التشريع . بعد ذلك بقليل أخذ علماء الإسلام يهتمون بسيرة الرسول ﷺ ، لأن سيرته العطرة تفسر كثيرا من قضايا الدين ومسائل الشريعة . بالإضافة إلى أن حياته المحتشدة بجلائل الأقوال وعظائم الأعمال ، تعد نبراسا لأبناء أمته ، وقدوة لأنصار سنته : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب : ٢١]

« ولولا أن حياة الرسول ﷺ كانت عظيمة كاملة ، ونفسه كانت أحب النفوس إليهم ، وأعظمها فى أعين أصحابه وأحبابه ، لما فدوه بأنفسهم . ومن أجل ذلك

كانت حياة النبى ﷺ أسوة لأصحابه ، ومحبته ذريعة لمحبة الله ، فقال عز وجل ﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١]

إن الولع الشديد بالرسول ﷺ والمحبة الصادقة له قد حمل الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، ثم المحدثين ومؤلفى السير والمؤرخين — على أن يعنوا عناية كبرى بجمع كل ما يتعلق بالرسول ﷺ من قول وعمل ، وأمر ونهى ، وسلوك وخلق ، وأن يبلغوا ذلك للذين يأتون بعدهم ، فأحسنوا كل الإحسان ، ووفوا هذه المهمة حقها ، ليعمل بهذه الهداية كل مسلم ما استطاع . ولولا أن حياة محمد ﷺ كانت كاملة وعظيمة فى عيون أصحابه ، لما اعتبروا اتباعه شرفا لهم وكمالا ، ولما عدوا الاقتداء به ملاك السعادة وأصل الهناء وقوام الخير .

فالإسلام قرر أن حياة محمد ﷺ هى المثل الكامل لجميع المسلمين ، وينبغى بيان جميع نواحيها وشعبها ووجوهها للناس كافة . وقد حقق المسلمون ذلك وحرصوا على تعرف ذلك وبيانه ، فلم تخف منه خافية ، ولم تفقد حلقة واحدة من سلسلة الحياة النبوية المباركة . فجميع أحواله وشئونه مسطورة فى كتب التاريخ . ومن ذلك يستدل على أنها كانت حياة كاملة طاهرة بريئة من كل نقص . ولا تكون حياة بشر أسوة للناس إلا إذا كانت واضحة ناصعة معلومة من كل وجوهها ونواحيها ، جامعة لجميع المحامد ، شاملة لأكرم الأخلاق وأحسن التعاليم . »[١]

٤ — منهج دينى .. أدبى

أما عن المنهج الذى التزمت به — بتوفيق الله تعالى .. وفضل منه — فهو المنهج الذى اعتمدت عليه فى الجزء الأول ، وهو المنهج القرآنى . فقد أخذت من الذكر الحكيم كل ما يتصل بقصص أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام سواء من حيث الأحداث ، أو المواقف ، أو المغازى — الخاصة بكل منهم ؛ ومن ثم فإن **الاعتماد على آيات القرآن الكريم كان سبب التميز وسر التفرد ، كما أن**

(١) السيد سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ، ترجمة محمد ناظم الندوى — ط دار الفتح — دمشق — ١٤١٠ هـ ، ص ١٢٦ .

النهج القرآنى قد عصم ما كتبناه عن بعض الحكايات والنوادر المبثوثة فى كثير من كتب قصص القرآن – بل فى بعض كتب التفسير نفسها ؛ من هنا كانت الدراسة التى نقدمها أقرب إلى روح النص القرآنى ، لأنه كان المصدر الأول والمرشد الأفضل . وهذا المنهج الدينى لم يخل من قدر من التأثر بمناهج دراسة الأدب . فالإنسان كل متكامل . وربما ساعدنا هذا المنهج الدينى الأدبى على أن نقول ما لم يقله غيرنا. ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة : ٣٢] .

وهذا المنهج – كان بفضل الله – سهل التناول فى الجزء الأول : لأن نوحا – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – قد ورد ذكره فى (١٢٩) آية ، وإبراهيم – عليه السلام – فى (٢١٠) آية ، وموسى – عليه السلام فى (٤٥٩) آية ، وعيسى – عليه السلام – فى (٨٧) آية . بالإضافة إلى أن الكتب الخاصة بقصص الأنبياء محدودة .. ومقدور على قراءة معظمها .. أو أهمها – إلى حد ما .

بيد أن الأمر السهل اليسير – فى الجزء الأول – صار صعبا عسيرا فى الجزء الثانى ، فالبحث فى سيرة الرسول ﷺ من خلال الفرقان بحث يمت بسبب إلى القرآن الكريم كله ، لأنه هو الذى أنزل عليه وحيه ، وهو أول من قرأه ورتله ترتيلا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣]

ومع أن الذكر الحكيم هو أوفى وأصدق مصدر لدراسة حياة النبى الأمى والرسول العربى محمد بن عبد الله ، عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى السلام – عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته – فإن ذلك لا ينفى أن هناك عشرات من كتب السيرة النبوية ، وتفسير القرآن الكريم ، لابد من الرجوع إليها ،

والاستئناس بما جاء فيها . خاصة وأنى كنت كلما انتهيت من قراءة كتاب ، بحثت عن آخر . ومن ثم أخذت أتلو القرآن الكريم .. وأقرأ بعض أمهات كتب التفسير والسيرة .. وأستعين بالمشورة الصادقة والمناقشة الهادفة مع بعض الزملاء والأصدقاء .

ورغم تنامى أطر المعرفة ، واتساع مجالات القراءة ، ورحابة بعض جلسات المناقشة — رغم ذلك كله — مر على حين من الدهر ، أحسست فيه أنى لن أقدر على السباحة فى هذا البحر الزاخر ، واكتشاف أنوار ذلك البدر الزاهر .

أخيرا عزمت بعد أن نويت ، وعلى الله — سبحانه — توكلت ، وبه — جل شأنه — استعنت ، مقرا — بتواضعى — فيما كتبت ، آملا أن أكون موفقا فيما قدمت..

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ... ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

٥ — خطـة الكتاب

خرجت هذه الدراسة الدينية / الأدبية — بحمد الله وتوفيقه — فى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة .

المقدمة : توضح ظروف تأليف الكتاب وعلاقته بالجزء الأول ، ومنهج البحث والهدف من الدراسة ، وهو هدف إنسانى نبيل ، يحرص على هداية الناس أجمعين إلى الصراط المستقيم ، الذى دعا إليه محمد ﷺ ، لكى يخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار اليقين .

المبحث الأول

من المولد .. إلى الوحى

يدرس إطار الواقع الدينى واللغوى الذى بعث فيه المصطفى ﷺ ، ويوضح أن ثمة إرهاصات عدة بشرت بنبوة محمد ورسالته ، فهو دعوة إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ، وبشارة عيسى بن مريم ، عليه وعلى أمه الطاهرة السلام . كما أن كل الكتب السماوية قد بشرت بالرسول ﷺ ورسالته .

كما يوضح هذا المبحث كيف أدب الله ــ سبحانه وتعالى ــ رسوله فأحسن تأديبه، وطهر روحه وقلبه بما ابتلاه به من فقد الأب والأم والجد وضيق ذات اليد ، لكنه رغم كل ما اختبر به .. صبر وشكر .. وفكر وقدر ، حتى صار محمدا عند الله .. وعند خلق الله ، كما كان الصادق الأمين عند الله وعند الناس أجمعين .

المبحث الثانى

من البعثة إلى الهجرة

مبحث يوضح مدى الجهاد والعناء اللذين تحملهما الرسول ﷺ ، والذين آمنوا معه خلال العهد المكى طوال ثلاث عشرة سنة . وكيف استطاع الرسول ﷺ أن ينشر رسالة الإسلام ــ رغم الكفر والضلال والعذاب والجهاد ، الذى لقيه الرسول ــ ومن معه ــ فى أم القرى وما حولها ؛ ومن ثم كان الخلاص والمخرج فى الهجرة إلى يثرب ــ مدينة الرسول .. أو المدينة المنورة ــ كما أطلق عليها بعد ذلك .

المبحث الثالث

من المدينة .. إلى العالم

يكشف هذا المبحث عن بعض مجالات أخرى من مجالات عبقرية محمد مثـــل عبقرية الرسول العظيم ﷺ باعتباره قائدا حربيا .. ومؤسسا لدولــة خــير أمــة ، أخرجت للناس ، وكيف استطاع أن ينشر رسالته خارج بلاده ، حتى يدخل النــاس فى الدين كافة ، لأن الإسلام دين رب العالمين موجه إلى الخلق أجمعين .

المبحث الرابع

الأعلام .. والصفات

هذا مبحث ــ لم يوله كثير ممن كتبوا عن سيرة الرسول ﷺ العناية الجديرة به، ذلك أن هناك مجموعة من أسماء الأعلام والصفات ذكرت ــ فــى آيــات الذكــر الحكيم ــ للرسول ﷺ ، ووصفه بها رب العزة سبحانه وتعالى ، وهى تعبر عمــا تتصف به الذات المحمدية من صفات كريمة وشمائل حميدة ، لم توجد فى غيره من أولى العزم من الرسل .

المبحث الخامس

القرآن ... الرسالة المعجزة

يوضح هذا المبحث عدة حقائق منها : الدين أهم مشكل للضمــير الإنســانى ــ الأسماء التى تطلق على كتاب الله من آيات القرآن الكريم : باعتباره المنهج الــذى يشكل منظور هذه الدراسة ــ ترتيب سور القرآن فى العهدين : المكى والمدنــى ــ طريقة جمع القرآن وتدوينه وقراءته ــ أهم مظاهر إعجاز القرآن الكريم .

خاتمة بعنوان : الإسلام .. دين السلام

تتكون من عدة قضايا مهمة، تتصل بالإسلام والمسلمين فى الحاضر والمستقبل : محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، والإسلام هو الرسالة الجامعة التى ارتضاها الله لكل البشر ، والمسلمون هم المنوط بهم شرف الحفاظ على هذه الدعوة ، وحماية الإسلام من كل المتربصين به ، حتى يكونوا جديرين بوصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

وتلك القضايا هى :

- الإسلام دين الفطرة .
- الإسلام دين السلام .
- العروة الوثقى .. ومسئولية المسلمين العرب إزاء المسلمين غير العرب ..

والدور الذى ينبغى أن يقوموا به ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ، حتى يحافظوا على وجودهم ، ويتمسكوا برسالة ربهم ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء : ٦٩]

هدف .. وأمل

هذه الدراسة ــ كما ذكرت سالفا ــ دراسة دينية أدبية ، لذلك فالغاية منها ليست دينية فحسب ، فالمسلمون عامرة قلوبهم بحب الرسول ﷺ ، ويحملون له أسمى آيات التكريم والإجلال . فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، ومن أحب الرسول فقد أحب الله . الصورة إذن كاملة فى قلوب المسلمين ، والسيرة عاطرة تهدى أفئدة المؤمنين . لكن أتباع محمد ﷺ فى حاجة مطردة إلى دراسات متعددة ، تجدد لهم سرد المغازى الجليلة والدلالات النبيلة ، التى تشرح بعض ما يتصل بسيرة الرسول ومعالم رسالته بأسلوب يتلاءم وروح العصر الذى تكتب فيه .

كما أن الهدف من هذه الدراسة ــ أيضا ــ هدف إنسانى نبيل ، يأمل أن يــهدى ضمائر العصاة ، ويرشد قلوب الحيارى إلى الصراط المستقيم ، الذى يلتمســـونه وما وجدوه ، وإلى الضوء الذى يبحثون عنه ، وهم قريبون منه .

الهدى والنور .. رسالة محمد ﷺ وسيرته . لكن معظم الضالين يســـتنكفون أن يتبعوا السبيل الذى سار فيه محمد ﷺ وعبده ، لكل من جاء بعده . ولم يعلموا مدى حب الله ورسله للبشر ، وأن الله ــ تعالى ــ قال رأفة بعباده ورحمة بخلقه :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٦]

لقد نسى كثير من الذين ضلوا الطريق أن الله أقرب إليهم من حبل الوريـد ، وأن من أسمائه وصفاته الحسنى « المجيب » ، الذى يجيب دعـــوة الداعيــن وســؤال السائلين . يقول سبحانه مبشرا عباده : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠]

إن كثيرا من الذين يلحدون فى آيات الله ، ويصدون عن دعـــوة محمـــد ﷺ ، ويقف الإسلام فى حلوقهم غضة . لا لشىء ــ إلا لأن محمدا ﷺ رسول قرشـــى ، والقرآن نزل بلسان عربى ، نسى هؤلاء العتاة العصاة أن كل شىء بأمر الله ، وأنه أعلم بمن يكون جديرا بحمل رسالته ، وبأى لسان يرسلها إلى خلقه .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤١ ــ ٤٦]

إن هذا الكتاب يحمل رسالة حب ومودة ، تتعانق فى ظلها الرسالات الدينيـــة ، وتتكاتف فى إطارها القوى البشرية ، وتبتعد عن التعصب والحمية .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ **[الأنعام : ١٢٥]**

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ **[آل عمران : ٨٥]**

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ **[آل عمران : ١٩] .**

فاللهم لطفك الذى وعدت به عبادك ، ونصرك الذى ضمنت لدعوة رسولك . يــا ربى اهد الناس أجمعين ، لعبادتك وطاعتك ، حتى تدخل من تشاء فى رحمتك . يــا أيــها النـــاس : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ **[آل عمران : ١٣٢ ــ ١٣٣]**

إن الرغبة الصادقة فى نشر الإسلام هى ــ فى جوهرها ــ أمل مرتقب فـــى أن يعم السلام ، ويسود الوئام ، بين كل الأنام .

اللهم .. إنى أسألك من خير ما سألك منه رسولنا محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه . اللهم أظلنى تحت ظل عرشك ، واسقنى ــ يوم تبعث عبـــادك ــ من حوض نبيك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشـــرف الخلـــق أجمعين .. وعلى جميع الأنبياء والمرسلين : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾ **[هود : ٨٨]**

المتوكل على الله أبو محمد

طه بن عمران وادى

أستاذ الأدب العربى

بجامعتى القاهرة وأم القرى

مكة المكرمة ــ الجمعة :

٢٥ من ذى الحجـــة ١٤١٧

٢ مـــن مايـــــو ١٩٩٧

المبحث الأول

من المولد إلى الوحي

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾

[الضحى : ٦ ـ ٨]

من المولد .. إلى الوحي

فى إطار الواقع الدينى واللغوى[1]

بعد مرور ما يقرب من ستة قرون على مولد السيد المسيح ـ عيسى بن مريم.. عليهما السلام ـ كانت هناك مجموعةٌ من القبائل العربية ، تعيشُ فى وادى الحجاز وصحراء نجد عيشةً صعبة متنافرة فى إطار بيئة طبيعيـة قاسـية ، بعيـدة عـن التأثيراتِ الحضارية الموجودة فى بعض البلاد المجاورة مثـل : اليمـن والعـراق والشام ومصر ، ورافضةً لبعض ما بقى من تعاليم الديانتيْن اليهودية والنصرانيـة ، التى جاءتْ إليها على أيدى جماعات قليلة وافدة .. لم يكن لـهـا وزنٌ اجتمـاعى ، وبالتالى لم يكن لها تأثيرٌ روحىٌّ أو معنوىٌّ .

وكانتْ كلُّ قبيلة من هذه القبائل تكاد تعدُّ دويلةً مصغرةً ، تبحثُ عن الماء والكلأ والأمن أنَّى وجدتْ إلى ذلك سبيلا ، لذا كانتْ حياتُها تعتمد على التنقل والترحـال . ولم تكن ثمة حياةٌ اجتماعية قائمة على الاستقرار والبقاء إلا فى بعض القرى مثـل: مكة والطائف ويثرب . كما لم تكد تقاليد الحياة وأساليب الفكر والثقافة تختلـف أو تتباين ـ بدرجة ما ـ لدى القبائل المتنقلة أو القرى المستقرة .

---

(١) راجع فى هذا على سبيل المثال :

ـ عبد الملك بن هشام : سيرة سيدنا محمد رسول الله .
ـ محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ـ مج ١ ، ج٢ .
ـ فيليب حتى : تاريخ العرب قبل الإسلام .
ـ أحمد أمين : فجر الإسلام .
ـ شوقى ضيف : العصر الجاهلى .
ـ محمد حسين هيكل : حياة محمد .
ـ محمد عزة دروزة : سيرة الرسول (جزءان) .
ـ السيد سليمان الندوى : الرسالة المحمدية (ترجمة محمد الندوى) .
ـ محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين .
ـ جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام .

- Sayed Ameer Aly: The Spirit Of Islam.
- Sir William Muir : Life Of Mohammed.

وليست غايتنا ــ فى هذه الدراسة ــ الحديث عن طبيعة الحياة فى هذا العصر الجاهلى .. وإنما نود أن نشير إلى حقيقتين مهمتين ، كان لهما تأثير بالغ بالنسبة للحديث عن الرسول والرسالة ، والتمهيد للكلام عن الإسلام والقرآن : الأولى خاصة بعبادة العرب قبل الإسلام ، والثانية تتصل بمكانة اللغة العربية فى العصر الجاهلى .

١ ــ ديانة العرب فى العصر الجاهلى

ثمة خلافات واسعة فى سر تسمية الفترة التاريخية قبل الإسلام بالعصر الجاهلى على الرغم من ندرة وجود هذه الكلمة فى الشعر الجاهلى . يقول أستاذنا د. شوقى ضيف : «ينبغى أن نعرف أن كلمة الجاهلية التى أطلقت على هذا العصر ، ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق ، فهى تقابل كلمة الإسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله ــ عز وجل ، وما يطوى فيها من سلوك خلقى كريم . ودارت الكلمة فى الذكر الحكيم والحديث النبوى والشعر الجاهلى بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب، ففى سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ **[البقرة : ٦٧]** ، وفى سورة الأعراف : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٩٩]** ، وفى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ **[الفرقان : ٦٣]** . وفى الحديث النبوى أن الرسول ﷺ قال لأبى ذر، وقد عير رجلا بأمه : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** »[1] . وفى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ــ ورد هذا البيت :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

---

(١) صحيح البخارى ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٦ ، كتاب الإيمان ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

واضح من هذه النصوص جميعا أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق . وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام ، أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة ، وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات »[1] .

الذى لا ريب فيه أن تسمية هذا العصر بالجاهلى ــ فى تقديرنا ــ قد استقرت لدى كثير من المؤرخين والكتاب بسبب من صلتها الوثيقة بديانة العرب الوثنية قبل الإسلام ، وانصرافهم عن عبادة الخالق إلى عبادة الأصنام ، التى ورد الحديث عنها كثيرا فى القرآن الكريم ــ مصدرنا الأول فى هذه الدراسة ــ ومن أمثلة ذلك :

١ ــ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم : ٨١ ، ٨٢]

٢ ــ ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر : ٣]

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم : ١٩ ــ ٢٣] .

الطبرى .. وابن كثير : يذكران فى معرض تفسير هذه الآيات الكريمة ما يلى :
اللات : صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء.

كما يرى الطبرى أنها اسم مؤنث مشتق من اسم الله [أى الله مذكر ، واللات مؤنث] . كما اشتقت العزى .. من العزيز . ومعنى هذا أنهم كانوا يزعمون أن اللات والعزى ومناة [فى قراءة أخرى : منات] بنات الله .

---

(١) د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، دار المعارف ــ القاهرة ، ص ٣٩ .

وثمة معلومات كثيرة طريفة حول هذه الأصنام الثلاثة فى تفسير الطبرى (ج ١١ ، ص ٥١٩) وابن كثير (ج٤ ، ص ٢٧١) فليرجع إليها من أراد الاستزادة .

عن هذه الوثنية الجاهلية يذكر أحد الباحثين المعاصرين فى سيرة الرسول ﷺ :

« كانت للعرب فى عبادة الأوثان أفانين شتى ، يصعب على باحث اليوم أن يحيط بها . على أن ما ورد من ذكرها فى القرآن ، وما تناقلتها الروايات عنها .. ينبئ عما كان لها قبل الإسلام من جليل المكانة ، وما كانت عليه من مختلف الصور ، ويدل على أنها كانت تتفاوت فى درجات التقديس .

وقد كان لكل قبيلة صنم تدين له بالعبادة . وكانت هذه المعبودات الجاهلية تختلف ما بين الصنم والوثن والنصب :

فالصنم : ما كان على شكل الإنسان من معدن أو خشب .

والوثن : ما كان على شكل الإنسان من حجر .

أما النصب : فصخرة لها صورة معينة ، تجرى عليها قبيلة من القبائل أوضاع العبادة ، لما تزعمه من أصلها السماوى ، وأنها كانت حجرا بركانيا أو ما يشبهه.

على أن ما كتب عن الأصنام لا يشير بالدقة إلى شيء من صور هذه الأصنام إلا ما قيل عن (هبل) من أنه كان من العقيق على صورة إنسان ، وأن ذراعه كسرت فأبدله القرشيون ذراعا من ذهب[1] ، **وهبل كان كبير آلهة العرب** ، وساكن الكعبة بمكة ، فكان الناس يحجون إليه من كل فج عميق .

ولم يكن العرب ليكتفوا بهذه الأصنام الكبرى ، يقدمون إليها صلواتهم وقرابينهم، بل كان أكثرهم [أظن المقصود .. أكثرهم ثراء وغنى] يتخذ له صنما أو نصبا فى بيته ، يطوف به حين خروجه وساعة أوبته ، ويأخذه معه عند سفره ــ إذا أذن له هذا الصنم بالسفر . وهذه الأصنام جميعا ــ سواء منها ما كان بالكعبة أو حولها ،

---

(١) من الصعب تصديق أن هبل كان من العقيق ، وذراعه من الذهب ، للأسباب التالية :

أ ــ لم يكن العرب ــ آنذاك ــ من الثراء بحيث يصنعون أصنامهم من الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة.

ب ــ لو صح هذا .. فأين ذهبت هذه الكنوز حين حطم الرسول والمسلمون الأصنام بعد فتح مكة.؟!

أو كان فى مختلف جهات بلاد العرب وبين مختلف قبائلها ـ كانت تعتبر الوسيط بين عبادها وبين الإله الأكبر . وكان العرب لذلك يعتبرون عبادتهم إياها زلفى ، يتقربون بها إلى الله ، وإن كانوا قد نسوا عبادة الله ، لعبادتهم هذه الأصنام »[1] .

ومن المعروف أن هناك أصناما كبرى عامة كانت موجودة حول الكعبة المشرفة.. أو فى بعض القرى المستقرة مثل الطائف ويثرب أو عند بعض القبائل الكبرى مثل كندة وعبس وذبيان . ومن أشهر هذه الأصنام : هبل ـ اللات ـ العزى ـ مناة[2] .

وكان هناك بعض الأصنام المحلية الأقل شهرة .. الخاصة بكل قبيلة ـ من ذلك صنم (دوار) الذى يشير إليه امرؤ القيس بن حجر الكندى فى معلقته قائلا :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذاري (دوار) فى ملاء مذيل

[امرأو القيس ـ فى هذا البيت من معلقته ـ يشبه جماعة (سرب) النعاج التى تراءت له ولأصحابه فى أثناء الصيد بفتيات عذارى لبسن ملابس طويلة (مذيلة) ، كأنما يطفن بصنم «دوار»] .

من تلك الأصنام الأقل شهرة : رضا ـ تيم ـ ذو الخلصة ـ ذو الشرى ـ دوار ـ إساف ـ نائلة ـ ود ـ سواع ـ يغوث ـ يعوق ـ نسر . وقد ورد ذكر بعضها فى الآية الكريمة : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح : ٢٣] .

« كانت عبادة الأصنام منتشرة بين القبائل العربية بدرجة واسعة ، ففى أخبارهم أن «العزى» كانت شجرة لغطفان وهى شجرة بوادى نخلة شرقى مكة . وكانت عبادة اللات أو الشمس شائعة بين العرب الجنوبيين وفى الحجاز ، ومعبدها فى الطائف ، ويقال إنه كان صخرة مربعة بنت عليها ثقيف بيتا .. و«مناة» : صخرة

---

(١) د. محمد حسين هيكل : حياة محمد . ط دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) يراجع فى هذا :

ـ ابن الكلبى : الأصنام ـ ط دار الكتب المصرية .

ـ أحمد أمين : فجر الإسلام ـ ط النهضة المصرية .

منصوبة على ساحل البحر بين المدينة ومكة ، وربما كان فى اسمها ما يدل على أنها ترمز إلى إله الموت ، فهى إلهة القضاء والقدر ، وكانت معظمة عند هذيل وخزاعة والعرب جميعا خاصة الأوس والخزرج . و«ود» (القمر) : صنم بدومة الجندل ، وهو يؤلف مع اللات والعزى (الزهرة) ـ ثالوث الأب والأم والابن :

(ود = القمر + اللات = الشمس + العزى = نجمة الزهرة) .

أما «سواع» : فكان صنم هذيل وكنانة ، وهو حجر كانوا يعبدونه هم وعشائر كثيرة من مضر ـ وربما كان فى اسمه ما يدل على أنه إله الشر والهلاك . و«يغوث» : صنم جمح وعشائر من مراد وهوازن ، و«يعوق» : صنم همدان وخولان وما والاهما من القبائل ، و«نسر» معبود حمير وقد انتشرت عبادته فى الشمال . ويقال إن : «ود» كان على صورة رجل ، و« سواع » على صورة امرأة، و«يغوث» على صورة أسد ، و«يعوق» على صورة فرس ، و«نسر» على صورة طير .

من الأصنام المشهورة أيضا : إساف ونائلة .. ورضا وتيم وشمس لتميم ، وذو الخلصة : وهو صنم خثعم وبجيلة وأزد السراة ، وكان موضعه بتبالة وله بيت يحجون إليه ، وذو الشرى : كان له معبد ضخم فى سلع (بطرا)[1] .

وكانوا يتخذون عند هياكل الأصنام والأوثان أنصابا من حجارة تراق عليها دماء الذبائح.وقد نهى القرآن عن ذلك كله فيما بعد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة : ٩٠][2] .

تلك أهم الأصنام التى وعتها ذاكرة معظم المؤرخين .. ونظن ظنا أنه كانت لدى بعض تلك القبائل العربية أصنام أخرى ، يؤكد ذلك أنه كان فى الكعبة حين طهرها رسول الله ﷺ فى السنة العاشرة للهجرة ثلاثمائة وستون صنما ، لأن وجود صنم

---

(١) انظر : د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) الصنم : تمثال من حجر أو معدن ـ الوثن : قطعة من الصخر أو الحجر ـ النصب : حجارة يذبحون عندها القرابين ـ الأزلام : القداح .. قداح الميسر (القمار) .

ما لدى قبيلة ، لا ينفى وجود نسخة أخرى منه حول الكعبة ، التــى كــانت تمثــل المركز الرئيسى لكل المعبودات الوثنية .

وقد أفضنا ــ عامدين ــ فى الحديث عن وثنية القبائل العربية ــ قبيل الإســلام لأمرين :

الأول : توضيح مدى الضلال والكفر والإثم والجهل وغير ذلك من المفاسد التـى كان عليها القوم فى هذه الفترة، وكيف انحرفوا عن عبادة الخالق العظيم إلى عبــادة هذه الأصنام ، التى لا تبصر ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع .

الثانى : بيان القدرة الروحية الهائلة التى مكنت الرسول ﷺ من أن يقضى على هذه العبادات الوثنية كلها وهو فرد وحيد ، لم يكن يملك إلا قوة الإيمان بـــالله رب العالمين ، وكفى بالله هاديا ونصيرا .

ولم تكن عبادة الأصنام هى الرذيلة الوحيدة فى حياة عرب العصر الجــاهلى .. وإنما هناك مثالب أخرى كثيرة ــ ليس هنا مجال حصرها[1] . وحول هذه المساوئ يشير أحمد شوقى ــ رحمه الله ــ فى « نهج البردة » :

أتيت والناس فوضى ، لا تمر بـــهم إلا على صنم قد هــام فــى صنــم

والأرض مملــوءة جــورا مســخرة لكل طاغيـــة فــى الخلــق محتكــم

والخلــق يفتــك أقواهم بأضعفهـــم كالليث بالبهم ، أو كالحوت بالبلــم[2]

يعنينا من الحديث عن وثنية عرب شبه الجزيرة أمران :

الأول : أن هذه البلاد قد نسيت ملة إبراهيم وإسماعيل ، وزاغت قلوبهم عـــن طريق الحق والهدى ، وأصبحوا فى حاجة إلى من يعيدهم إلى الحنيفية الســـمحة ، ويردهم إلى عبادة الله الخالق بعد أن بعدوا عن الحق ، واتخذوا الأصنام زلفـــى ــ كما يدعون ــ ونسوا أن الدين ينبغى أن يكون كله لله وحــــده . ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] .

---

(١) تروى الأخبار أن بعض بيوت الأصنام كانت تلحق بها بيوت بغاء . كما يقال إن بيوت البغايا كانت تعلق عليها رايات حمراء ، حتى يسهل التعرف عليها .

(٢) الشوقيات ــ ج ١ ، ص ١٨١ ــ البهم : البهائم ، الأنعام ــ البلم : السمك الصغير .

الثانى : أن وجود الأصنام الكبرى ــ وما يتصل بها من أوثان وأنصاب حول الكعبة المشرفة ــ كان بمثابة تهيئة وتمهيد ، لكى يستعيد المسجد الحرام دوره الكبير ، الذى ثبته الإسلام له فيما بعد ، وتصبح مكة المكرمة العاصمة المقدسة للدين الجديد ، الذى جاء به محمد ﷺ .

دين يشيد آية فى آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جل جلاله البناء[1]

٢ ــ اللغة العربية

حين نقرأ الشعر الجاهلى ــ وهو يمثل أهم نص لغوى مكتمل ، وصلنا قبل نزول القرآن الكريم ــ نجد ظاهرة لغوية جديرة بالذكر والتسجيل ، هى أن هذا الشعر مكتوب بلغة واحدة ، تستوى فى ذلك أشعار القبائل كلها ــ رغم اختلاف مواطنهم الجغرافية . هذه اللغة المسيطرة .. هى لغة قبيلة قريش ، التى تعود بعض فروعها إلى قصى بن كلاب ، وهو الجد الخامس للرسول ﷺ .. حوالى سنة ٤٠٠ ميلادية . وكانت هذه القبيلة وأعوانها ــ من القبائل التى سكنت مكة ــ تقوم برعاية البيت العتيق وخدمة الحجاج .. وحماية التجار والوافدين فى مواسم الحج والتجارة.

ويصعب ــ فى هذه المقدمة المختصرة ــ تحديد الأسباب التى أدت إلى سيطرة لغة قريش على كل القبائل العربية ، فهل كان ذلك لأسباب دينية مثل وجود الكعبة والبيت العتيق ؟.. أم لأسباب اقتصادية حيث كانت مكة مركز التجارة بين الشمال والجنوب فى الصيف والشتاء ــ كما تشير إلى ذلك سورة قريش[2] .. أم لأسباب لغوية محضة ، حيث إن لغة قريش تعد أنقى اللهجات العربية وأكثرها قدرة على التعبير ؟!

---

(١) أحمد شوقى : الشوقيات ــ ج ١ ص ٢٦ .

(٢) من المعروف أن لقريش سورة باسمها فى القرآن الكريم ، وهى سورة مكية ، تقع فى أربع آيات:
﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝ ﴾ .

تلك قاعدة عامة .. الأكمل والأجمل هو الأكثر سيطرة وسيادة ! معنى هـذا أن لهجة قريش أفصح اللهجات العربية . وقد افتخر النبى بانتمائه إليها قائلا : « **أنـا أفصح العرب بيد أنى من قريش** » ، وفى حديث آخر يقـول لأصحابـه : « **أنـا أعربكم، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر** » .

توحيد اللغة العربية .. وسيطرة لهجة قريش كانا إرهاصا بتوحيد لغة القبـائل العربية ، لأن وحدة اللغة تعنى وحدة الفكر وتقارب الأعراف والتقاليد ، فاللغة تعـد أقوى عوامل الترابط ، وأنصع مظاهر التوحد ، لأن النطق تعبير عن فكر ومنطق، وإلى هذا يشير الشاعر :

إن الكـلام لفـى الفـؤاد وإنمـا   جعـل اللسـان على الفؤاد دليلا[(١)]

توحيد اللغة ــ إذن ــ كان تمهيدا لنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبيـن ، يفهمه كل العرب الذين أنزل إليهم خاصة ، وإلى الناس كافة ، ذلك ما يشير إليـه القرآن الكريم فى أكثر من موضع . يقول عز وجل :

١ ــ ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **[الزخرف : ١ ٣]** .

٢ ــ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ **[الشورى : ٧]**[(٢)] .

٣ ــ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ **[مريم : ٩٧]** [(٣)].

٤ ــ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ **[الشعراء : ١٩٣ ــ ١٩٥]** .

---

(١) الفؤاد : العقل ــ دليل : شاهد وبرهان .

(٢) أم القرى : مكة المكرمة . كناية عن القدم كما نقول : مصر أم الدنيا ، أى أقدم بلاد الدنيا .

(٣) لدا : شديدى الخصومة فى الباطل .

هذه الآيات الكريمة وغيرها تؤكد أن توحيد اللهجات العربية فى لهجة واحدة هى لهجة قريش، كان لحكمة قدرها الله ــ سبحانه ــ حتى تكون لغة الذكر الحكيم بعد ذلك.

وهذا الأمر كان تمهيدا لتوحيد العرب حول لغة واحدة ، اختارها الخالق وشرفها، لتكون لغة كتابه الكريم .. اللغة التى بها يعبد ويحمد ..!! وفى هذا يقول رب العزة مؤكدا صلة الرسالات السماوية بلغات أقوامها :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [إبراهيم : ٤]

إن توحيد لغة العرب كان لحكمة لا يعلمها إلا أحكم الحاكمين ، ولعل منها أن تكون لغة الذكر الحكيم .. الذى هو ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [فصلت : ٢ ــ ٣] .

ننتهى من الحديث عن توحيد اللهجات العربية فى لهجة واحدة .. هى لهجة قريش إلى ذكر رأى أستاذنا د. شوقى ضيف الذى نتفق معه فيما يقول :

«إن هناك أسبابا دينية واقتصادية أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات القبلية فى الجاهلية ، وقد تداخلت فيها أسباب سياسية ، فإن القبائل العربية كانت ترى تحت أعينها هجوم الدول المجاورة من الفرس والروم والأحباش على أطرافها ، كما كانت ترى هجوم الديانتين النصرانية واليهودية على دينها الوثنى ، فتجمعت قلوبها حول مكة ، وهوت أفئدتها إليها ، وبذلك كله تهيأ للهجة القرشية أن يعلو سلطانها فى الجاهلية على اللهجات القبلية المختلفة ، وأن تصبح هى اللغة الأدبية التى يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم .. فنحن لا نعدو الواقع إذا قلنا إن لهجة قريش هى الفصحى ، التى عمت وسادت فى الجاهلية ــ لا فى الحجاز ونجد فحسب ، بل فى القبائل العربية كلها ..» (١) .

---

(١) د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، ص ١٣٣ .

دعوةُ إبراهيم .. وبِشارةُ عيسى

يقول الرسول العظيم ﷺ : « أنا دعوةُ أبى إبراهيم ، وبشارةُ أخى عيسى .. » معنى ذلك أن خير الخلق كلهم ، قد بعثه الله بالحق نذيرًا وبشيرًا استجابةً لدعوة إبراهيم الخليل حين قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .. ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .. ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٣٧ ـ ٤٠] .

وقد ورد دعاء إبراهيم صراحة فى سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

كما أن التوراة قد بشرتْ به أيضًا .. وبشَّرَ به السيدُ المسيح ، وهذه الآيات الخاصة بذلك قد مُحيتْ من التوراة والإنجيل . لكن القرآن الكريم أشار إليها . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف : ٦] .

وقد نص القرآن الكريم على أن التوراة والإنجيل قد بشرا ببعثة الرسول ﷺ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

ليستْ صحفُ إبراهيم .. والتوراة والإنجيل هى التى بشَّرتْ وحدها برسالة محمد .. وإنما كل الكتب السماوية السابقة ، لأنها جميعا مُنزلة من مصدر إلهى واحد .. من لدن حكيم عليم ، لا يُبدَّلُ القولُ لديْه ، وما هو بظلَّامٍ للعبيد . وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1] [الشعراء: ١٩٦] .

وحين يسخر الكافرون بمحمد ﷺ ، ويدعون أنه شاعرٌ أو مجنون، يرد عليهم رب العزة سبحانه : ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ٣٧] .

معنى الآية الأخيرة أن الرسول ﷺ قد أرسله ربُّ العزة ـ سبحانه وتعالى ـ بالحق ، أى بالرسالة الخاتمة المهيْمنة على الرسالات السابقة كلها . فمجيءُ محمدٍ ﷺ تصديق للأنبياء المرسلين قبله ، الذين بشروا بقدومه ﷺ بعدهم .

فمن هو ذلك الرسول الكريم خاتمُ الأنبياء والمرسلين وأفضل خلق الله ، الذى بعثه ربُّ العزة استجابةً لدعوة إبراهيم الخليل ، وبشرت به التوراةُ والإنجيل .. وكل من سبقه من الأنبياء والمرسلين ؟!.

فى مكة المكرمة ذلكم البلدُ الأمين .. على بُعد خطواتٍ من البيت الحرام الذى جعله الله مثابةً للناس وأمنًا ، ولد المهدىُّ الهادى سنة ٥٧٠ ميلادية .. وهو العام ، الذى حاولَ فيه أهلُ الحبشة غزو مكة ، لذلك يسمى « عام الفيل » ، واسمه محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم[2] بن عبد مناف بن قُصىّ بن كلاب ـ الذى

---

(١) الزبر : جمع زابور أى كتاب ـ زبر الأولين : كُتب الأنبياء السابقين .

(٢) راجع نسب الرسول ﷺ فى :

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ٥٠١ وما بعدها . وهاشم جد الرسول ﷺ كان اسمه (عمرو) .. وإنما قيل له هاشم ، لأنه أول منْ هشَمَ الثريد لقومه وأطعمه ، وفيه يقول الشاعر :

عمرو الذى هشمَ الثريد لقومه   ورجال مكة مستنون عجاف

وذكر أن قومه من قريش كانت قد أصابتهم لزبة وقحط ، فرحل إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة ، فأمر به فخبز له ، ونحر جزورا ، ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز . كما ذكر أن هاشما هو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف » . انظر تاريخ الطبرى : ج ١ ، ص ٥٠٤ .

وإلى هذه الكنية ودلالتها يشير عبد الله بن رواحة فى مدح الرسول ﷺ :

يا هاشمَ الخير إن الله فضلكم   على البريةِ فضلاً ماله غيرُ

ينتهى نسبه إلى قبيلة قريش . وقد اجتمعت لقصى وأبنائه من بعده منذ بداية القرن الخامس الميلادى الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة .. «والحجابة هى سدانة البيت (الحرام) ، أى تولى مفاتيحه ، والسقاية إسقاء الحجيج الماء العذب.. (أو نبيذ التمر) ، والرفادة إطعام الحجيج ، والندوة رياسة الاجتماع كل أيام العام . واللواء راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى عدو ، والقيادة إمارة الجيش إذا خرجوا إلى حرب .. »[١] .

معنى ذلك أن قبيلة قريش كانت تقوم بمعظم المناصب الدينية والسياسية . وهذا يدل على عراقة الأصل الذى ينتمى إليه الرسول ﷺ . ولا نغالى إذا قلنا إنها كانت أكثر القبائل التى استقرت فى مكة عزة ومنعة .

ومن المعروف أن مجتمع مكة كان يتألف من : «**قريش البطاح** : الذين ينزلون حول الكعبة وهم : هاشم وأمية ومخزوم وتيم وعدى وجمح وسهم وأسد ونوفل وزهرة ، وكانوا أصحاب النفوذ ، **وقريش الظواهر** : الذين ينزلون وراءهم ، ومعهم أخلاط من صعاليك العرب والحلفاء والموالى والعبيد .. وكان أكثرهم من الحبشة »[٢] .

وعن نسب الرسول ﷺ يذكر الطبرى :

« **اسم رسول الله** ﷺ محمد ، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب ، وكان عبد الله أصغر ولد أبيه[٣] . وكان عبد الله والزبير وعبد مناف ــ وهو أبو طالب ــ بنو عبد المطلب لأم واحدة ، وأمهم جميعا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه أنه قال : عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ، وأبو طالب ــ واسمه عبد مناف ــ والزبير ، وعبد الكعبة ،

---

(١) هيكل : حياة محمد ، ص ١٠٩ .

(٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، ص ٥١ .

(٣) رزق عبد المطلب بولد أخير ــ بعد ذلك ــ هو حمزة .. الذى ولد فى السنة التى ولد فيها الرسول ﷺ وكان ابن خالته .. وأخاه فى الرضاعة .

وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، أمهم جميعا فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة »[1] .

إرهاصٌ بشروقِ النور

حدث فى عهد جدّ الرسول أمران عظيمان سوف يكونُ لهما شأنٌ أىُّ شأنٍ فى مسيرة الدين الحنيف ، الذى جاء به محمد ﷺ :

الأول : أن عبد المطلب قد أعاد حفر بئر زمزم[2] ، التى طمس معالمها مضاض بن عمرو الجرهمى . وإعادة الحياة إلى بئر زمزم وجريان المياه فيها من جديد ، يعد – فى رأينا – إرهاصًا لعودة الحياة إليها ، ورمزا يدل على أن النبع الدينى الذى تفجر تحت أقدام إسماعيل ، سوف يشرق من جديد على يدى أحد أحفاده . وهذا تحقيق لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل : ١٢٣][3] .

الثانى : هزيمةُ جيش الحبشة بقيادة أبْرهةَ الأشرم ، الذى كان يحتلُّ بلاد اليمن ، ذلك أن أبرهة كان يريد هدمَ الكعبة والقضاء على مكانة مكة الدينية ، ووصلت جيوشهُ بالفعل إلى الطائف ، لكى يهدم بيتَ « اللات » . لكن أهل الطائف أفهموه أن بيتهم ليس هو البيتُ العتيق المقصود ، وبعثوا معه من يدلُّه على طريق مكة !!

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٢) يذكر ابن هشام فى ذلك الأمر : أن عبد المطلب كان نائما فى حجر الكعبة (وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام) . فجاءه هاتف وقال : احفر طيبة ، فقال له : وما طيبة ؟ وفى الغد رجع إليه فقال : احفر المضنونة ، فقلت : وما المضنونة ؟ ثم عاد إليه مرة ثالثة وقال : احفر زمزم ، فقال : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبدا ولا تذم ، (أى أن ماءها لا يقل عطاؤه ولا يذم طعمه) تسقى الحجيج الأعظم . راجع : مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٣١ . ويفهم من هذا أن زمزم تسمى طيبة، أى طيبة وعذبة الماء – وهى مضنونة : أى يبخل ويضن بمائها على غير المؤمنين بالله .

(٢)ملة : شريعة – حنيفا : مؤمنا وموحدا بالله .

حين قابل أبرهة عبد المطلب سيد مكة وبعض ذوى الرأى فيها ، أوضح لهم عن نيته الخبيثة فى أنه لم يأت لحرب .. وإنما لهدم البيت العتيق . فعرض عليه وفد مكة أن يقدموا له جزية عبارة عن ثلث ثروة تهامة . لكن الخبيث الشرير أبى واستكبر . وهنا نصح عبد المطلب قومه أن يخرجوا إلى شعاب جبال مكة اتقاء أبرهة وجنوده .

وقد حدث فى أثناء إقامة أبرهة وجيشه على مشارف مكة أن ضلت إبل لعبد المطلب وحبسها أبرهة عنده . وتعجب ذلك الدعى المغرور ، إذ كيف يبحث عبد المطلب عن الإبل ، ويترك أمر البيت المبارك ، فرد عليه بثقة المؤمن « أما الإبل فهى لى .. وأما البيت فله رب يحميه » .

نعم .. نعم كان للبيت رب يحميه ، فقد أرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم «طيرا أبابيل» ، أى جماعات من الطير ترميهم بحجارة من سجيل ، أى من جهنم ، فجعلتهم كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأقدامها .

وإلى هذه الحادثة تشير « سورة الفيل » وهى سورة مكية :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الفيل] .

ولا ريب أن من يتأمل هذين الأمرين بهدى وبصيرة وهما : إعادة الحياة إلى بئر زمزم .. وحماية البيت الحرام من كيد أبرهة وجيشه وأفياله ـ يدرك أن الله جلت قدرته قد جعل هذين الحدثين إرهاصا لبعثة النبى الأمى القرشى ﷺ ، الذى سوف يعلم العالم والعلماء :

يا أيها الأمى حسبك رتبة ... فى العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التى ... فيها لباغي المعجزات غناء[1]

---

(١) أحمد شوقى : الشوقيات ، ج ١ ، ص ٢٥ . رتبة : منزلة ـ دانت : خفضت ـ الذكر : القرآن ـ آية: برهان ، دليل ـ باغى : طالب ـ غناء : كفاية .

أحس عبد المطلب بن هاشم فى مواقف كثيرة حاجته إلى كثرة الولد ، حتى يستطيع بهم أن يقف فى وجه من يتحرشون به ، وأن يكونوا عونا له فى شئونه وشجونه . وقد نذر إن رزقه الله بعشرة من الأولاد الذكور أن يضحى بأحدهم قربانا عند الكعبة . وقد من الله عليه بما أراد ، فكان أبناؤه : عشرة ذكور ، وست إناث .

الذكور هم : أبو طالب ، الزبير ، الحارث ، العباس ، عبد الله ، المقوم ، حجل، حمزة، ضرار ، عبد العزى (أبو لهب) . أما الإناث فهن : صفية ـ أم حكيم ـ عاتكة ـ أميمة ـ أروى ـ برة(١) .

اقترع عبد المطلب على أولاده ، فخرج القدح على عبد الله [ترتيبه التاسع .. حمزة هو العاشر والأخير]. مثلما هم إبراهيم بذبح إسماعيل ، حاول عبد المطلب أن يذبح عبد الله . لكن قومه نصحوه بأن يبحث عن حل عند عرافة تقيم فى خيبر ، وكان الحل فى الفداء بعشرة من الإبل . وظل الاقتراع ، وضرب الأقداح عشر مرات إلى أن بلغ عدد الإبل مائة . لكن عبد المطلب ظل يخشى غضب الآلهة ، وزعموا أنه كرر ضرب القداح ثلاث مرات أخرى ، فكان القدح فى كل منها يدعو إلى ذبح الإبل . وقال له من حضر : قد انتهى رضا ربك ياعبد المطلب ، فقام ونحر الإبل المائة ، وتركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع »(٢) .

ما أشبه الليلة بالبارحة .. فقد أنقذ رب العزة عبد الله من الذبح ـ كما أنقذ جده إسماعيل ـ بعد أن رضى الأب بذبح فلذة كبده ، ورضخ الابن لدعوة والده . أى أمر أصعب على الآباء من أذى يصيب الأبناء .. مهما كانوا صغارا ، فما بالك إذا

---

(١) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ـ ص ٣١ .
(٣)راجع القصة كاملة فى : تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

كان الأمر يتصل بالذبح والموت ؟ لكن الله سبحانه الـذى فـدى إسـماعيل بذبـح عظيم.. فدى عبد الله ــ أيضا ــ بنفس الوسيلة . وهذه النجاة من الذبح والموت تعد ــ فى تقديرنا ــ معجزة .. فقد نجى الله عبد الله ، ليكون أبا لأشـرف خلـق الله ، وآخر رسل الله . معجزة متكررة .. وعبرة بالغة ، فبأى آلاء ربكـم تكذبـون ؟! ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[1] ، لهذا قال الرسول ﷺ : « **أنا ابن الذبيحين** » . (إسماعيل .. وعبد الله) .

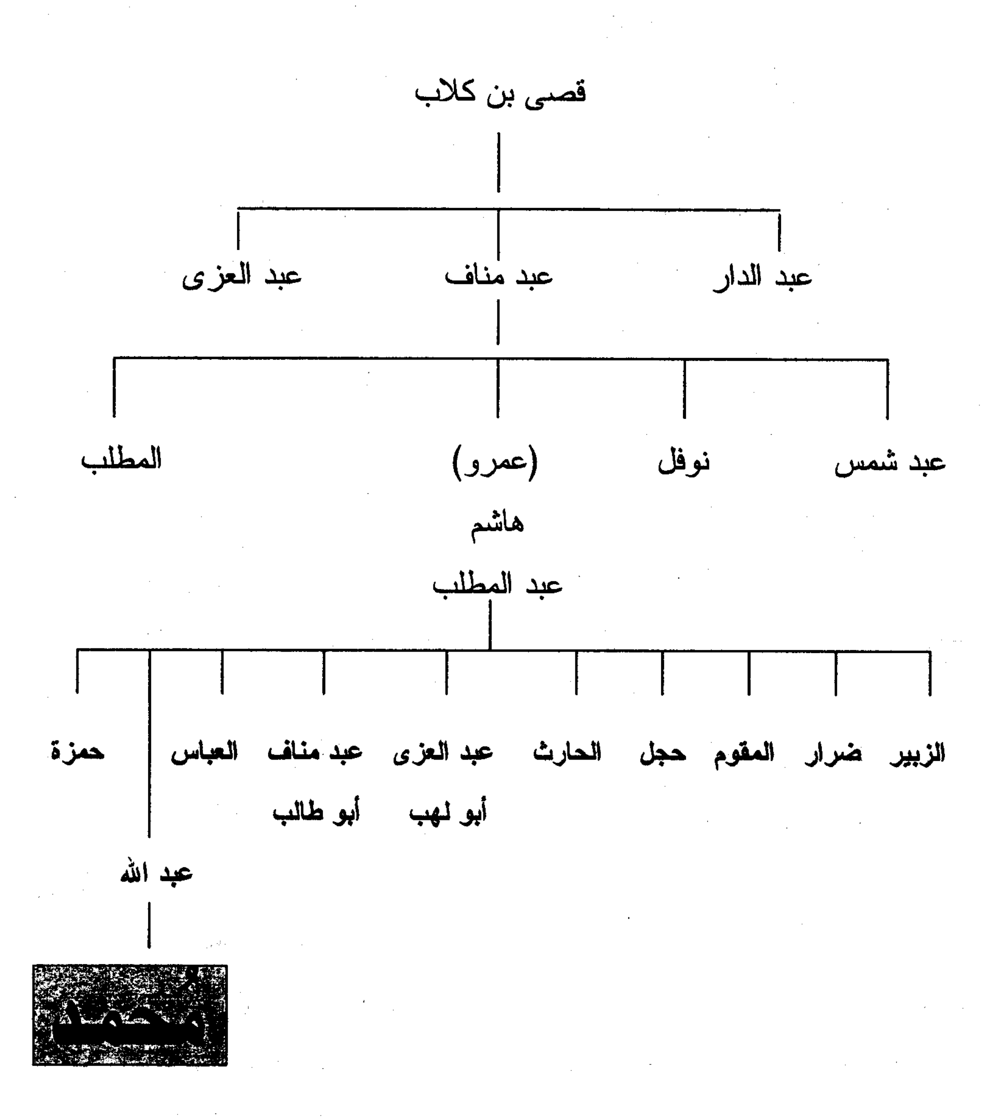
فرح الأب عبد المطلب بنجاة ولده ، وقد زرعت هذه الحادثة فى قلبه حبا لابنه ، وجعلت له مكانة خاصة عنده ، تفوق مكانة إخوته جميعا . وحين بلغ الفتى عبد الله مبلغ الشباب أراد أن يزوجه ، حتى تزداد الفرحة به وبمن يأتى من صلبـه . لقـد سعد عبد المطلب بزواج كثير من أبنائه ، وفرح بكثير من أحفاده ، بيد أن الحفيـد الجديد كان يمثل بشارة خاصة .. وفرحة لم يحسها من قبل . ترى هل كان الجـد يدرك ــ بالحدس ــ أن حفيده القادم خير خلق الله .. وأنـه سـيكون رسـول رب العالمين ــ الذى سيغير تاريخ البشرية جمعاء ، ويخرج الناس من الظلمـات إلـى النور بإذن ربهم ..؟!

عندما بلغ عبد الله الرابعة والعشرين أخذه أبوه ــ وكان قد تجاوز السبعين ، لكى يزوجه **آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة** . وفى اليوم الذى تزوج فيه عبـد الله من آمنة .. تزوج أبوه عبد المطلب من ابنة عمها هالة ، التى ولدت له أصغـر أبنائه ــ حمزة ، عم الرسول ، وابن خالته ، وأخوه فى الرضاع ، ونظـيره فـى السن .. وثالث الداخلين فى الإسلام من ذرية عبد المطلب بعد على بن أبى طـالب وأخيه جعفر .

---

(١) الكهف : ٥٧ .

شجرة النسب



قصى بن كلاب
عبد الدار
عبد مناف
عبد العزى
عبد شمس
نوفل
(عمرو)
هاشم
المطلب
عبد المطلب
الزبير
ضرار
المقوم
حجل
الحارث
عبد العزى
أبو لهب
عبد مناف
أبو طالب
العباس
حمزة
عبد الله
محمد

اختبار .. وتطهير

بعد أن تزوج عبد الله من آمنة .. بدأت بشائر الحمل تظهر ، ومن ثم بدأ يسعى فى رحلة تجارية إلى الشام ، لكى يأكل هو وأسرته من كسب يده . وعند العودة توقف لزيارة أخواله قرب يثرب . ويبدو أن الرحلة قد أرهقته فمرض ، لذلك عادت القافلة بدونه إلى مكة . وحين جاء الأخ الأكبر لعبد الله ــ وهو الحارث ــ ليعود بأخيه المريض إلى مكة عرف أنه مات ، ودفن فى مضارب أخواله . ومن المصادفات العجيبة أن آمنة ماتت ــ بعد ست سنوات ــ فى المكان الذى مات فيه زوجها حين جاءت لزيارة أهلها . لقد افترق الزوجان فى الدنيا ، لكن الله جلت حكمته جمع بينهما فى الدار الباقية .. ودفنا فى مقابر بنى عدى بن النجار فى الأبواء على مسيرة ثمانى ليال من مكة . وحين مر الرسول على الأبواء ، وهو فى طريق الهجرة إلى يثرب بعد ما يزيد عن أربعين سنة هاجت مشاعره ، فقال : «هنا نزلت بى أمى ، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله ، وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار » .

وقد تبنى الجد حفيده بعد موت والده ، وأنزله منزلة لم يكن يوليها أحدا من أبنائه. يروى ابن إسحاق فى السيرة أنه « كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليهم ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبد المطلب ــ إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأنا . ثم يجلسه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه ويصنع »[1] .

أمر آخر مهم بالنسبة لمولد المصطفى ﷺ : ذلك أن أباه كان من مكة .. وأمه من الأبواء ــ قرب يثرب . ترى .. **هل كانت تلك الولادة لطفل أبوه من مكة .. وأمه من يثرب ، تحمل دلالة على أن حياته الدينية فيما بعد سوف تكون مقسمة**

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ــ ج ١ ، ص ١٦٨ .

ـ **قسمة شبه متعادلة بين هاتين المدينتين المقدستين ؟! سبحانك ربى لا علم لنا إلا ما علمتنا .. إنك أنت العليم الحكيم .**

لم نشأ أن نتوقف عند كثير من الأحداث التى تروى عن مولد الرسول فى دار جده عبد المطلب ، وإيثاره أن يسميه (محمدا) ـ وهو اسم لم يكن شائعا فى قبيلته ولا فى مكة كلها ـ أو عن السنوات الأربع الأولى التى قضاها فى قبيلة بنى سعد ، يرضع من ثدى حليمة بنت أبى ذؤيب ـ زوجة الحارث بن عبد العزى .. ولا عن وله الأم آمنة به .. وإنما نريد أن نتأمل ذلك الاختبار القاسى ، الذى امتحن به الرسول .. ولما يزل فى المهد صبيا ، إذ توفى والده وهو جنين فى بطن أمه .. وماتت الأم وهو معها بالأبواء وكان عمره ست سنوات تقريبا .. ثم كانت وفاة جده عبد المطلب بعد ذلك بحوالى سنتين ، فأصبح الصبى يتيما ، وحيدا إلا من حاضنته أم أيمن . ولا يقلل من الإحساس المضاعف باليتم كونه انتقل إلى كفالة عمه أبى طالب ، الذى لم يكن أكبر أعمامه ، ولا أكثرهم ثراء ، ولا أقلهم ولدا[1] .!!

وقضية اليتم تعد من القضايا الأساسية فى حياة الرسول ﷺ . وقد ذكره الله بفضله عليه ، وبره به ـ فى أول عهد له بنزول القرآن عليه ـ فى سورة «الضحى» بقوله ـ عز من قائل : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝** ﴾ [الضحى : ٦ ـ ٨] .

كما عنى القرآن الكريم بالدعوة إلى البر باليتيم .. عنى به أيضا أكرم اليتامى .. وقد ورد عنه أكثر من حديث شريف فى هذا الشأن[2] . ويفسر الطبرى هذه الآيات الثلاث بقوله : « يقول تعالى ذكره ، معددا على نبيه محمد ﷺ نعمه عنده ، ومذكره آلاءه قبله : ألم يجدك ـ يا محمد ـ ربك يتيما فآوى ، أى .. فجعل لك مأوى تأوى إليه ، ومنزلا تنزله ، ووجدك على غير ما أنت عليه اليوم (من إيمان).

---

(١) كان أبو طالب شقيق عبد الله والد الرسول ﷺ من الأم والأب ، بينما كان أبو لهب شقيقه من الأب فحسب .

(٢) من ذلك قوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين .. وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى » .

وقيل : ووجدك فى قوم ضلالٍ فهداك ، ووجدك فقيرا فأغناك»[1] .

من هذا وغيره يمكنُ أن تتضحَ مدى الآلام النفسية التى عاناها الرسول الكريم ﷺ فى طفولته وصباه . لقد فتح عينيْه على الدنيا فلم يجدْ أبا ، يحْتفى بـه ويشدُّ أزرَه . ومع أن أمه كانتْ موجودةً فإنه ظل بعيدًا عنها حوالى أربع سنوات ، يرْضعُ فى بادية بنى سعد . وما كاد يعرفُ حنانَ الأم وطمأنينة قربها وبرها حتى ماتت . وحين وجدَ العِوضَ فى جدّه ــ الرجل المشيب المهيب[2]، ما لبث هو الآخر أنْ ودَّعَ الدنيا . ولم يكن العمُّ أبو طالب ــ رغم نُبله وبرِّه به ، كأنه واحدٌ من أبنائه الكثيرين ــ يعيش فى بُلْهنية من العيش ، لذلك كله **يصعب أن نتخيَّل حجمَ المعاناة التى أحسَّها ذلك اليتيم اللطيم المحروم ــ وهو فى مرحلة الطفولة والصبا .**

تُرى .. أليس هذا الاختبارُ القاسى ابتلاءً من الله لرسوله منذ شَرُفَتْ الأرض بمولده ؟ إن فقْدَ الأب والأم والجدِّ .. كان صقلا وتهذيبا لتلك الشخصية العظيمة ، حى تكون قادرةً فيما بعد على تحمل المسئولية الجليلة المنوطة بها . كما أن الله سبحانه أراد أن يختصه برعايته ، ويطهره بهدايته ، لذلك كان الرسول ﷺ يفتخر ــ دومًا ــ بهذا قائلا : « **أدَّبنى ربِّى فأحسن تأديبى** »[3] .

ومن ميزاتِ فقْدِ الأب والأم ــ من زاوية أخرى مضادة ــ أن اليتيمَ يُسيِّرُ حياته بإرادته الخاصةَ حسبَما قدَّر الله ، فكل امرئ مهيّأٌ لما خُلق له .

الذى لا ريب فيه أن الله سبحانه يبتلى من يختار ويصطفى ، حتى يطهر نفسه.. ويزكِّى روحَه . وقد أدَّب الله هذا اليتيم المختار ، حتى صار عبدًا ربانيا ، ورسولا نبيا ، واستحق أن يُقرن اسمه الكريم باسم الخالق العظيم ، فصارتْ عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » جملة واحدة ، وأصبحتْ أولَ أركان الدين الحنيف . وأصبحت طاعة الرسول من طاعة الله : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ **[النور : ٥٤]** .

---

(١) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري ــ ج ١٢ ، ص ٦٢٤ .
(٢) كان عمر محمد ﷺ ثماني سنوات عندما توفى جده وهو في حوالي الثمانين .
(٣) محمد بن سورة الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ٣ .

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

كما أن الإيمان بالله سبحانه يقتضى بالضرورة الإيمان بالرسول : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾ [النور : ٤٧] .

ابتلى الرسول فصبر وشكر . ومن ثم جعله الله خير خلقه وأشرف رسله . كما أن الله وملائكته يصلون عليه .. وليس بعد هذا تكريم لعبد يتيم .!!

أكثر من هذا أن سنة الرسول ﷺ تعد مكملة للقرآن الكريم ، لذلك يقول ﷺ «**أوتيت القرآن ومثله معه**» صدق رسول الله .. وحبيب الله ..!!

الصادق الأمين

لا نريد أن نتوقف كثيرا عند معالم السيرة العطرة للرسول ﷺ قبل البعثة ، لأن الهدف من هذه الدراسة ليس هدفا تاريخيا . وإنما الغاية الأسمى هى أن نسير على ضوء ما ورد ذكره ــ عن الرسول .. والرسالة ــ فى القرآن الكريم ، لأن هذا النهج القرآنى .. هو النهج الذى آثرنا أن نعتمد عليه فى هذا البحث . إن الاعتماد على الذكر الحكيم فى دراسة أى موضوع دينى ــ هو العاصم من الزلل .. وهو الذى يقدم الحقيقة فى إطارها المقدس ومصدرها الجليل ، إذ إن القرآن كتاب عزيز ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

كما أن ربنا ــ رب العزة ــ ذكر فيه كل ما يحتاج إليه البشر .. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . كما أن ما جاء فيه لا يخالف ــ ألبتة ــ ما جاء فيما قبله من الكتب السماوية ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: ٤٣] . والقرآن يؤكد هذه الحقيقة الناصعة وهو أنه جاء مصدقا ..لغيره من الكتب السماوية ، التى أنزلها الله على من سبق من الرسل والأنبياء ــ فى أكثر من موضع: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨]

نودّ ـ فى هذه المناسبة ـ أنْ **نشير إلى أن القرآن هو الحَكَمُ على غيره ، ويستحيل أن يُعدّ أىّ كتابٍ حكمًا عليه .**

فتلك الدياناتُ قد بَعُدتْ وتغيَّرتْ .. وهذه الكتبُ كلها قد حُرِّفتْ ونُسختْ . يقول المولى عزّ وجل : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ **[البقرة : ١٠٥ ـ ١٠٦]** .

فالآيتان تشيران إلى أن أهل الكتب السابقة والمشركين لم يكونوا يرغبون فى أن ينزل على المسلمين كتاب سماوى ، حتى يبقوا ـ وحدهم ـ أصحاب فضل . ونسوا أن الله يختص برحمته من يشاء ، فأرسل للمسلمين كتابًا جديدًا مهيمنا على كتبهم .. أكثر من هذا أنه ينسخ ما جاءَ فى تلك الكتب ، ويقدِّمُ من الآيات والشرائع مثل ما كان فيها .. بل أكثر من ذلك جاء بخير منها ، لأنه آخر الكتب المقدسة ، وسيظل صالحًا لكل مكان وزمانٍ ، فالإسلام دينُ البشرِ أجمعين منذ جاء به الصادقُ الأمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

* * *

أدلة ساطعة

ثمة مواقفُ ذاتُ دلالات ساطعة وبراهين قاطعة على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان يُهيِّئُ الأسبابَ العامة والخاصة ، ليكون المصطفى ﷺ أهلا لتحمل الرسالة وتبليغ الأمانة : وسوف نشير إلى أهم هذه المعالم من سيرته العطرة قبل البعثة :

أولاً : أن يكون الرسولُ قرشىَّ الأصلِ .. مكىَّ الموطن

أوْمَأنا فيما سبق إلى المكانة السامية لقبيلة قريش .. والمنزلة المقدسة التى كانتْ ـ ولا تزال ـ تحتلها مكة منذ العصر الجاهلى وما قبله . وقد ترتب على هذا أن أصبحتْ لهجةُ قريش هى لغة العرب أجمعين . كما أن مكة المكرمة كانتْ مسقط

رأس محمد ﷺ ومولده[1] ، وكعبتها المشرفة التى تُشدُّ إليها الرحالُ من كل المناطق العربية ؛ نتيجة لهذا كانت مكة « أم القرى » أشرف قُرى بلاد العرب وأقدمها . ولا ريبَ فى أن ظهور صوتٍ يدعو إلى التوحيد وعبادة الله من ثنايا شعابها ، سيكون له صدى بعيد عما لو كانتْ بعثتُه الشريفة قد أتتْ من مكان آخر . ثمة آية تشير إلى ذلك .. وهى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الشورى : ٧] [2] .

يضاف إلى هذه المعجزات البينات أنه ولد ﷺ فى العام الذى أنقذ فيه الله ــ سبحانه ــ البيت الحرام من أبرهة الأشرم وجيشه وأفياله .

أليسَ فيما ذكرنا ــ وما سوف نذكر من كل تلك الأمور الجليلة ــ دليلُ صدقٍ وبرهانُ حقٍ على أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد اختار ذلك الرجل القرشى الأميّ، ليكون أفضل خلقه وخاتم رسله .؟!

ثانيًا : نجاتُه من الضلال رغم يُتمه وفقره

كان مقدرًا أن يُذبح عبد الله والدُ الرسول ﷺ ، لكن الله فداه بمائة ناقة ، لينجبَ وحيده ، ويموت وهو فى عزّ الشباب . كما أن نشأة الرسول فى بادية بنى سعد ، ووفاة الأم والجد (عبد المطلب) ، ثم انتقاله إلى كفالة عمه (أبى طالب) . كل هذه الأحداث كانتْ تطهيرًا لشخصه الكريم ، يُضاف إليها رعْيُه الغنمَ فى صباه وشبابه ــ وقد افتخر بهذا فى أكثر من حديث شريف: «**ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم**». وفى حديث آخر يقول : « بُعث موسى وهو راعى غنم ، وبُعث داود وهو راعى غنم ، وبعثتُ وأنا أرعى غنم أهلى بأجياد »[3] .

(١) ذكر لي بعض أهل مكة أن المكان القريب من المسجد الحرام الذي يطلق عليه مكتبة مكة بجوار المسجد الحرام هو بيت عبد المطلب الذى ولد فيه الرسول ﷺ .

(٢) أم القرى : مكة المكرمة ــ يوم الجمع : يوم القيامة .

(٣) أجياد : منطقة قريبة من المسجد الحرام .. ولا تزال تحمل نفس الاسم حتى اليوم . وقد ورد الحديثان فى : حياة محمد ، ص ١٣٥ .

إن رعى الغنم يعود صاحبه الصبر والتأمل ؛ ولا عجب أن يصبح راعى الغنم راعى خير أمة فيما بعد . ولاغرو أن ينصح أتباعه المسلمين قائلا : « **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته** »[1] .

ثم يأتى بعد ذلك دخوله إلى البيت العتيق .. فى أثناء إعادة بناء الكعبة واختلاف القبائل فى من يعيد الحجر الأسود إلى مكانه . ثم يكون محمد هو أول قادم ، ويستشار فى هذه الأزمة المستحكمة التى كادت تشعل الحرب ، ويرضون جميعا بحكمه وحكمته[2] ..!!

تلك الأمور كلها .. هل كانت مجرد صدف عابرة ، جاءت فى سيرة المصطفى ﷺ اعتباطا .؟!

الذى لا ريب فيه أن الله ــ سبحانه ــ قد هيأ لحبيبه وصفوة خلقه هذه المواقف وغيرها الكثير .. والكثير ، لكى يلفت أنظار قومه إلى شخصية ذلكم الرجل الصادق الأمين ، الذى لم يشهد قط مواقف اللهو والعبث ، أو مناظر الطرب والغناء ، أو يقف أمام صنم أو وثن أو نصب . كما لم يأتمنوا أحدا على أماناتهم مثلما ائتمنوه ، حتى عندما اختلفوا معه عندما بعث رسولا نبيا . فقد طلب من ابن عمه على بن أبى طالب أن يبقى فى مكة بعد هجرته مع أبى بكر ، حتى يرد الأمانات التى كانت فى حوزته إلى أصحابها .

من هذا كله يتضح أن الرسول عليه السلام « كان أحسن قومه خلقا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، فسموه الصادق الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء ، حتى شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث من بنى عبد الدار . يقول :

(١) صحيح البخارى ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .
(٢) حدثت هذه الحادثة الخاصة بإعادة بناء الكعبة .. وكان عمر الرسول ﷺ خمسا وثلاثين سنة ــ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٥ .

« قد كان محمد فيكم غلامًا حَدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم فى صدغيْه الشيْبَ ، وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر . لا والله ما هو بساحر » .

« ولما سأل هرقلُ ملكُ الروم أبا سفيان (قبل أن يُسلم) :

ــ هل كنتم تتهمونه بالكذبِ قبل أن يقول ما قال ؟

قال : لا .

فردّ هرقل : **ما كان ليدَعَ الكذبَ على الناس ، ويكذبَ على الله** » .

وقد حفظه اللهُ فى صغره من كل أعمال الجاهلية .. وبُغِّضتْ إليه الأوثان ، وسماع الشعر ، وحضور مجالس السمر ، وشُرب الخمر .. وذلك كله من الصفات التى يُحلّى اللهُ بها أنبياءه ، ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقى وحيه»[1] .

حدثت هذه الأمور كلها بتوفيقٍ من الله العليم الخبير ، الذى طهره واصطفاه مثل ما حدث مع غيره من الرسل : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الأحقاف : ٩][2] .

خلاصة ما يمكن قوله هو أن الرسول ﷺ قبل البعثة كان رجلا حسنَ السمعة ، صادقَ القول ، أمينَ الرأى . وكان قومه يثقون فيه ثقةً مُطلقة ، ويأتمنونه على ما لا يأتمنون عليه أهلهم وذوى قرباهم ، لذلك كان يعرف باسم « الصادق الأمين » . وفى هذا المعنى يقول شوقى[3] :

يا جاهلين على الهادي ودعْوَتهِ ... هل تجهلون مكانَ الصادقِ العَلَمِ

لقبتمُوه أمينَ القوم فى صِغرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهم

فاق البدورَ ، وفاقَ الأنبياءَ ، فكمْ ... بالخُلق والخَلْق من حُسْنٍ ومن عِظمِ

لقد أدَّبَ ربُّ العزة ــ سبحانه وتعالى ــ عبدَه وحبيبه ورسوله محمدا ﷺ فأحسن تأديبه ، حتى يصبح جديرًا بحمل رسالة الإسلام إلى الناس أجمعين ﴿ مَن

---

(١) انظر : محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، ص ٢١ .

(٢) بدعا : بديعا لم يسبق لى مثيل من الرسل ، وإنما أنا رسول كريم حدث لى ما حدث لهم من قبل .

(٢) أحمد شوقى : الشوقيات ، ج ١ ، ص ١٨٠ ــ العلم : المعروف ، المشهور .

يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الكهف : ١٧] . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومن أحق بالفضل عند الله من عبده ورسوله المصطفى المختار ﷺ .

ثالثا : الزواج من السيدة خديجة

من الأمور الجليلة التى هيَّأها اللهُ ــ جلَّتْ قدرتُه ــ للرسول ﷺ قبل بعثته الشريفة .. أن يعمل بالتجارة ، وأن يكون ذلك ــ كما شاء الله وقدَّر ــ فى تجارة السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كلاب [وهى أخت العوّام والد الزبير .. زوج أسماء بنت أبى بكر الصديق] . خاصة وقد تدربَ على التجارة فى بلاد الشام مع عمّه أبى طالب من قبل . كما أنه أراد أن يأكل من كسْبِ يده ، ولا يعيشَ عالةً على عمه .. أوْ زوجه فيما بعد . والتجارة بالنسبة للرسول ﷺ مهنةٌ عملَ بها أبوه عبد الله من قبل ، وعمل بها عمه أبو طالب الذى يكفله . وقد التقى فى بعض هذه الرحلات التجارية ببعض الرهبان الذين أخبروا عمه أبا طالب وميْسرة بأنه سوف يكون نبى هذه الأمة »[1] .

لا نريد أن نفيضَ فى الحديث عمَّا حققه محمدٌ لخديجة من كسب مالى ، ولا عن حديث ميْسرةَ لسيدته خديجة عن أمانة الرسول ﷺ وحُسن تصريفه للأمور ، وإنما نود أن نؤكد أمرًا كانت له آثارٌ بالغةٌ فى حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها.. وهو زواجه من السيدة خديجة رضى الله عنها .

تذكر بعضُ كتب السيرة أن السيدة خديجة هى التى رغبتْ فى أن يتزوَّجها الرسول . « وتحدثتْ فى ذلك إلى أختها فى قولٍ ، وإلى صديقتها نفيسة بنت منية على قول آخر . وذهبتْ نفيسة إلى محمد فقالت له : ما يمنعك أن تتزوج ؟

قال : ما بيدى ما أتزوَّجُ به .

قالتْ : فإنْ كُفيتَ ذلك . ودُعيتَ إلى الجمالِ والمالِ والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟

قال : فمن هى ؟

---

(١) راجع : تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٤٢ ، ٤٤ ــ ميسرة : خادم السيدة خديجة .

أجابت بكلمة واحدة : خديجة .

قال محمد : كيف لى بذلك ؟

قالت : على ذلك[1] » .

هنا ينبغى أن تكون لنا وقفة عند هذا الحدث الجلل ، إذ لم تكن خديجة ــ رضى الله عنها ــ حين خطبها له عمه أبو طالب شابة صغيرة ، وإنما سيدة مكتملة ، سبق لها الزواج من رجلين قبله هما : أبو هالة واسمه النباش أو مالك ، وولدت له ولدين هما : هند وهالة . وقد تربى هالة هذا فى بيت الرسول ﷺ . أما الزوج الثانى فهو: عتيق بن خالد المخزومى ، وولدت له عبد الله وبنتا » .

كانت خديجة ــ رضى الله عنها ــ فى تلك الآونة سيدة فضلى ذات حسب ونسب . ويبدو أنها رفضت أكثر من رجل قبل أن يخطبها الرسول . وتم الزواج المبارك بين سيدة فى الأربعين وشاب فى الخامسة والعشرين . **أليس فى هذا الزواج العاقل الراشد أبلغ رد على بعض المستشرقين والمهرطقين ، الذين يزعمون أنه ﷺ تزوج أكثر من مرة لأسباب تعود إلى رغبة جسدية .. وميل للتمتع بالنساء.؟!**

إن هم إلا يخرصون .. إذ لو كان ذلك صحيحا لما قبل أن يتزوج سيدة عجوزا ــ إلى حد ما . فالمرأة فى هذا المجتمع كانت تزوج وهى دون العاشرة أو ما بعدها بقليل . كما أنه لم يجمع بين السيدة خديجة وبين أية زوجة أخرى . وظلت ذكراها عامرة فى قلبه ، لدرجة أن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ كانت تغار منها وهى فى العالم الآخر .

يبدو ــ والله أعلم ــ أن الرسول ﷺ كان يريد زواجا عاقلا ، وتكوين بيت آمن، وأن يعيش مع امرأة حكيمة ، تعوضه قدرا من حنان الأم ــ الذى فقده وهو صبى صغير . وقد رزقه الله منها بولدين لم يعش أى منهما طويلا ــ لسبب لا يعلمه إلا الله ــ هما : القاسم .. وعبد الله ، لهذا يكنى الرسول ــ أحيانا ــ بأنه « أبو القاسم» ، كما رزق

---

(١) حياة محمد ، ص ١٣٨ .

منها بأربع بنات هن : زينب ــ رقية ــ أم كلثوم ــ فاطمة (الزهــراء) ، لذلــك كــانت خديجة ــ رضى الله عنها ــ بالنسبة لزوجها الودود الولود ، التى صدقته حيــن كذبــه الناس ، كما كانتْ أول من آمن بالرسالة من البشر أجمعين .

وقد تغيرت ــ بمشيئة الله وفضله ــ حياة الرسول ﷺ بعد هذا الزواج المبارك، وحققت له خديجة ــ رضى الله عنها ــ الاستقرار المادى والعاطفى ، فبدأ ــ بعــد ذلك ــ يميل إلى حياة العزلة والوحدة ، وأخذ ينقطع شهرا كل سنة ، لكى يتحنــث ويتأمل فى أمر خالق الكون ، ويبحث عن دين آخر بعيد عما كان يعتقــده قومــه . وكان هذا يحدث فى شهر رمضان فى غار حراء ، وهو يتأمل فــى شــأن خــالق الأرض والسماء .

قرت بخديجة عينا الرسول ﷺ ، واستقرت حياتــه ، وأحــس معــها الأمــان والحنان، وكانت نعم الزوج الصالحة ، التى يتسع صدرها للــزوج الأميــن حيــن يصيبه خوف أو قلق أو حزن . وربما كانت صورتها الكريمة ماثلة فى ضمــيره ، وهو يعلم أمته قائلا فى حديث ما معناه : « **ما كسب امرؤٌ فى حياته شيئًا ــ بعــد تقوى الله عز وجل ــ مثل الزوجة الصالحة : إذا نظر إليها سـرته ، وإن أقسـم عليها برته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله** » .

ونظرًا لأنه كان يدرك دورَ المرأة الجليل فى استقرار حيــاة الأســرة وحمايــة الزوج من الانحراف أو الفشل ، أوْصَى النساء قائلاً : « **لو أُمرتْ المرأةُ أن تسجد لأحدٍ بعد الله ــ سبحانه ــ لأُمرت الزوجةُ بأن تسجد لزوجها** » .

وقد أمر المسلمين فى أكثر من حديث شريف بأن يستوصوا بالنساء خيرا . وقــد ظل يؤكد هذا حتى خطبة حجة الوداع قبل أن يموت بأشهر قليلة ، ومما قاله فــى حق المرأة . « **إنما النساءُ عندكم عوانٌ**[1] ، **لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذ تموهن**

---

(١) عوان : ج عانية وهى الأسيرة ، فالنساء مثل الأسرى عند الرجال ، لذلك يوصيهم الرســول ﷺ بهن لضعفهن وقلة حيلتهن . وفى رواية أخرى : « فاتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله .. » صحيح مسلم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، جـ ٨ ، ص ١٨٣ .

بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت .. اللهم اشهد ... » .

يؤكد ما سبق أن ذكرناه – فى أثناء الحديث عن هذا الزواج الميمون – ما يقوله أحد الباحثين المعاصرين :

« إن هذه الصلة كانت فاتحة عهد جديد ، بل حادثا حاسما فى حياة السيد الرسول ﷺ ، كان له أكبر الأثر فى الاتجاه النهائى الذى اتجه إليه ، وتهيأت به نفسه وقواه الروحية ، لتلقى الرسالة العظمى والنهوض بها ، إذ أغناه الله عن الضرب فى الأرض فى سبيل الرزق ، فاستطاع أن يتمتع فى جانب هذه السيدة بالحياة العائلية الهنيئة المطمئنة من جهة ، وأن يتفرغ من جهة أخرى بنفسه وقلبه وفكره وروحه للتدبر فى ملكوت الله وآلائه ، والقيام برياضاته واعتكافاته الروحية، فارغ القلب من هموم المعيشة وضروراتها »[1] .

خلاصة القول : إن زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة – رضى الله عنها – كان – بفضل الله وتوفيقه – عاملا مهما من العوامل التى ساعدته على أن يستقر فى حياته قبل البعثة وبعدها . أما قبل البعثة فإنها لم تسؤه قط فى أى موقف ، ولم تغاضبه فى أية لحظة . أما بعد البعثة فكانت تشد أزره ، وتطمئن قلبه بطهارة نفسها وقوة إيمانها حين نزل عليه الوحى أول مرة .. وعندما انقطع عنه فترة فى بداية مرحلة البعثة ، حيث قالت له فى ثقة ويقين : « والذى بعثك بالحق ما ابتدأك الله بهذه الكرامة – أى الوحى – إلا وهو يريد أن يتمها عليك » .

كما كانت تخفف من آلامه وأحزانه حين يلقى الصد والأذى من بعض كفار قريش . معنى هذا أنها كانت المستشار الواعى والصدر الحانى للرسول فى اليسر والعسر . وحين انتقلت إلى الرفيق الأعلى فى العام العاشر من البعثة (بعد ثلاثة أيام من وفاة عمه أبى طالب) سمى هذا العام « عام الحزن » .

---

(١) محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ﷺ . ط قطر ، ١٤٠٠ هـ – ج ١ ، ص ٢٣ .

والرسول ﷺ لم ينسها بعد وفاتها . وعن هذه السيدة الفضلى .. روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أتى جبريل عليه السلام النبى ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ، معها إناء ، فيه إدام — أو طعام — أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب »(1) .

تعقيب .. ومغزى

يوضح ما ذكرنا — وما لم نذكره من أحداث السيرة العطرة — كيف أدب الله رسوله فأحسن تأديبه ، لأن هذه الأمور كلها تعد تهيئة ، وإعدادا وصقلا لتشكيل معالم تلك الشخصية العظيمة ، التى بعثت رحمة للعالمين بكتاب الإسلام ورسالة السلام .

إن جانبا كبيرا من جوانب عظمة الرسول يكمن فى بشريته . وفيما هيأه الله له من أسباب ومواقف ، حتى يكون جديرا بوصف الله له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] أكثر من هذا يصبح قمينا بأن يكون الرسول المختار — رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة : ٤] .

كان الاختبار — فى كثير من مراحل سيرة محمد — قاسيا .. لكن رب العزة — يعلم كيف يعد الرسول لرسالته ، وهو — سبحانه — يذكره بهذا فى قوله : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] .

كما أن الرسول ﷺ يعترف برعاية الله وهدايته له ، كما نجد فى هذه الآيات الكريمة — على سبيل المثال : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ

(1) الأحاديث القدسية : جـ ١ — ص ٢٢٨ .

بيت من قصب : قصر من لؤلؤ وجوهر — لا صخب : لا صياح فيه — نصب : تعب .

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ **[الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٣] .**

هكذا تنتهى المرحلة الأولى من حياة الرسول ﷺ ، تلك المرحلة التى تحول فيها محمد بن عبد الله الإنسان العادى ، ليكون الرسول النبى الذى اختاره الله ليكون خاتم رسله .

ننهى هذه المرحلة بالتأكيد على أن **الرسول بشر وإنسان عادى ، لكن رب العزة اختاره واختبره ، فكان جديرا بكل ما خصه الله تعالى به من فضل ومقام كريم .** وهو يقر بهذه البشرية فى شخصه وبتلك العبودية للخالق فى هذه الآية الكريمة : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ **[الكهف : ١١٠] .**

عند هذه المرحلة ينتهى المبحث الأول .. الذى تناولنا فيه ــ بإيجاز شديد ــ الفترة الأولى من حياة الرسول ﷺ من المولد حتى بعثته الشريفة . تلك كانت مرحلة الإعداد والاختبار والتنشئة والاختيار ، وبعدها .. بعد أن بلغ الأربعين من عمره ﷺ بعثه الله بالحق بشيرا ونذيرا . وهذا ما سوف نتناوله فى المباحث التالية بإذن الله الرحمن الرحيم .

المبحثُ الثانى

من البعثة .. إلى الهجرة

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الحجر : ٩٤ ــ ٩٩]

مشرقُ النور فى مدينة السلام

حين بلغ الرسولُ ﷺ سنَّ الأربعين[1] .. نزل عليه الوحى أولَ مرة ، وهو يتبتَّلُ وحيدا ــ كعادته ــ فى غار حراء . فعاد إلى أهله يرجفُ فؤاده . لكنَّ خديجة المثل الفريد للزوج الصالحة .. الودود الولود ، التى كانتْ تقف صامدة مع رجلـها ، وإذا حدث له حادثٌ أمنتْ روعَه بصدق ثقتها فيه : « أبشرْ يا ابنَ عم واثبتْ ،فوالـــذى نفسُ خديجة بيده إنى لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمة . كلا والله لا يُخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحمَ ، وتحملُ الكلَّ ، وتُكسِبُ المعدَمَ ، وتَقْرِى الضيفَ ، وتعينُ علـــى نوائب الدَّهر »[2] . هكذا كانتْ هذه الزوجُ الصالحةُ أثناءَ بدايةَ بعثةِ الرســـول ﷺ وطوال حياتها معه .

وبعد أن فتر الوحى مُدةً ــ ظنَّ فيها الرسول ﷺ أن الله قد ودَّعه وقلاه ــ عــادَ إليه بالأمر الإلهى ، ليبدأ أول خطوة عملية فى الدعوة إلى عبـــادة الله وتوحيـــده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ ﴾ [المدثر : ١ ــ ٣] .

أخذ النورُ يشرقُ فى مكة ــ مدينة السلام ، التى حرَّمها الله ســـبحانه وكرَّمـــها بأول بيت وُضع لعبادته على الأرض . وبدأتْ الدعوةُ سرًّا . وكانتْ خديجـــةُ أولَ من آمن به من البشر أجمعين .. ثم أبو بكر الصديق ــ الذى كان صديقًا لمحمد قبل البعثة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وســعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام (ابن أخى خديجة) ، وأبو عبيدة بن الجـــراح ، وزيد بن حارثة ــ الذى تبناه الرسول ﷺ[3] . وكان أول المسلمين مـــن الصبيـــان على بن أبى طالب ، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة تقريبا .

---

(١) يحدد محمد الخضري مؤلف كتاب : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ــ نقلا عن محمود الفلكى أن ذلك كان فى أول فبراير سنة ٦١٠ م ــ الموافق ١٧ من رمضان قبل الهجرة .. ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣) زيد بن حارثة : كان عبدا عند السيدة خديجة بنت خويلد ، فاستوهبها الرسول إياه ، ثم أعتقه وتبنـاه ، وكان يدعى «زيد بن محمد » . وسر تبنى الرسول له قبل البعثة هو وفاة أبنائه الذكور . وهو الـــذى ورد ذكره فى الآية الكريمة : « فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها » .

أخذ محمد بشخصيته القائدة الرحيمة المؤمنة ، يكسب لدين الله كل يوم أنصارا ، يعلمهم ما أنزل عليه من القرآنِ ، ويصلى بهم فى شعاب جبال مكة ، حتى لا تقع عليهم أعين الكفار .

هكذا بدأت الأرض تشرقُ بنور ربها ، ومضى الرسول الكريم ينذر عشيرته الأقربين سرا مدة ثلاث سنوات ، حتى يجمع حوله بعض الأنصار استعدادا لمرحلة الجهر بالدعوة ـ حين نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٦] .

بعد أن جاء الأمر الإلهى ـ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر : ٩٤] . أخذ الرسولُ ﷺ يفعلُ ما ينبغى أن يقومَ به صاحبُ رسالة سامية ، يريد أن يُخرج بها الناس من الظلمات إلى النور . تذكر كتبُ السيرة أنه « دعا عشيرته إلى طعام فى بيته ، وحاول أنْ يُحدّثهم داعيًا إيَّاهم إلى [عبادة] الله ، فقطع عمه أبو لهب[1] حديثه ، واستنفرَ القومَ ليقوموا . ثمَّ دعاهم محمد ﷺ فى الغداة كرةً أخرى، فلما طعموا ، قال لهم : ما أعلم إنسانًا فى العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخيْر الدنيا والآخرة . وقد أمرنى ربِّى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يُؤازرنى على هذا الأمر ؟ فأعرضُوا عنه وهمُّوا بتركه . لكن عليًّا نهضَ ، وهو ما يزال صبيًّا دونَ الحُلم. وقال : أنا يا رسولَ الله عونُك ، أنا حربٌ على من حاربتَ. فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضُهم ، وجعل نظرهم ينتقل من أبى طالب إلى ابنه على ، ثم انصرفوا مستهزئين .

انتقل محمد ﷺ بعد ذلك من دعوة عشيرته الأقربين إلى دعوة أهل مكةَ جميعا:

---

(١) أبو لهب : هم عم الرسل ﷺ ، وكان أخا لعبد الله من الأب فقط ، وكان ولداه ـ فى فترة الجهر بالدعوة ـ عتبة وعتيبة متزوجين من ابنتى الرسول : رقية وأم كلثوم . وقد طلقتا بسبب إصرار زوجيهما على الكفر ومجازاةً لأبيهما . وقد تزوجتا فما بعد عثمان بن عفان . ويلاحظ أن صلة القرابة .. والنسب لم تؤثر ألبتة فى أبى لهب .. أو زوجه .. أو ولديه ..!!

«صعد [هضبة] الصفا يومًا ونادى : يا معشر قريش . قالتْ قريشٌ : محمدٌ على الصفا يهتف . وأقبلوا عليه يسألونه ماله ؟

قال : أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلا بسفْح هذا الجبل ، أكنتم تُصدِّقُون ؟

قالوا : نعم . أنت عندنا غيرُ متَّهم ، وما جرَّبْنا عليك كذبًا قطُّ .

قال : فإنى نذيرٌ بيْن يدىَّ عذابٌ شديد . يا بنى عبدِ المطلب ، يا بنى عبد مناف، يا بنى زُهرة ، يا بنى تميم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد ، إن الله أمرنى أن أنـــذر عشيرتى الأقربين . وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبـــا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله

فنهض أبو لهب ــ وكان رجلا بدينا سريعَ الغضب ــ فصاح : تبًّا لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟!»[1] .

وقد ظل أبو لهب ــ طوالَ حياته ــ أكثر خصوم الرسول ﷺ ضراوةً وغلـــظ كبد ، لذلك لعنه الله وآل بيته فى الدنيا والآخـــرة : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾ [سورة المسد : ١ ــ ٥] .

من يُطيقُ ما تحملتَ .. يا رسولَ الله ؟!

مضى الرسولُ ﷺ يدعو قومه إلى الإيمان بالله وتركِ عبادة الأصنام والأوثان ، فآمن بدعوته نفرٌ قليل ، لكن معظمَ القبائل العربية فى أم القرى وما حولها جعلـــوا أصابعهم فى آذانهم ، وأغلقوا قلوبهم وعقولهم . أكثر من هذا أخذوا يستهزئون بـــه ــ وبمن آمنَ معه ، ويطلبون منه ــ إن كان نبيًّا حقًّا ــ أن يسأل ربَّـــه أن يؤيِّـــده بمعجزاتٍ بيِّنات ، فيجيبُ فى ثقة المؤمن وصبر المجـــاهد : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى

---

(١) د. هيكل : حياة محمد : ص ١٥٨ ــ تبا : هلاكا . وقد وردت هذه الكلمة فى أول سورة «المسد».

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٨٨][1] .

أبعدُ من هذا فى الخصومةِ والعداء أنهم كانوا يستكثرون أن يكـون محمـد ﷺ ذلك الرجل الفقير الضعيف هو الذى اصطفاه الله ليكون الرسول المختار ، وكـان الوليدُ بن المغيرة ، يقول مستنكرا : أينزل القرآن على محمد ، وأُتْرَكُ أنـا كبير قريشٍ وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف ؟!. فيأتيه الردُّ لا من محمد ، ولكن من رب محمد :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

ظلت إساءاتُ القبائل القرشية تتوالى ، واتـهموا الرسـول بأنـه شـاعر .. أو ساحر.. أو مجنون ، وأنه سوف يُفسدُ الفقراءَ والعبيد على سادتهم الأغنياء . وقـد دفع القبائل القرشية إلى اللجاج فى الخصومة والمبالغـة فـى البغضـاء والإيـذاء والعداوة .. أنهم خافوا على مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وأن تتوقف رحـلاتُ الشتاءِ والصيف التجارية .. وأن تهتزَّ مكانةُ الأصنام والكعبة ، فتتعطل الزيـاراتُ الدينية . أخيرا خشوا أن ينتزع بنو عبد مناف السيادة والقيـادة منـهم . « ذهـب الأخنس إلى أبى جهل (عمرو بن هشام) فسأله : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سـمعنا من محمد[2]؟ فكان جواب أبى جهل : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وبنو عبـد مناف الشرفَ : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوْا فأعطيْنـا ، حتـى إذا تحاذيْنا الركبَ ، وكنَّا كفرسىْ رهانٍ ، قالوا : منَّا نبىٌّ يأتيه الوحىُ مـن السـماء ، فمتى نُدرك مثلَ هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدِّقه »[3] .

(١) ما مسنى السوء : ما أصابنى الضرر والشر ، وما هنا حرف نفى .
(٢) يقصد سماع القرآن الكريم .. وأنه يدعو لدين جديد .
(٣) حياة محمد : ص ١٩٠ .

الحقدُ والحسدُ .. تجمعا فى عقول بدوية ، بينها تنافسٌ قبليٌ ، وتعصب عرقيٌ، لذلك وقفوا لمحمد ﷺ بالمرصاد ـ وهم على قلوب أقفالُها . إن المنازعاتِ القبلية والتعصب الأعمى ـ لما وجدوا عليه آباءهم من عادات جاهلية وعبادات وثنية ـ شكلتا السبب الأولَ والأهمَّ الذى جعل القبائل العربية ترفضُ الإيمان بالرسالة والرسول . ولا نتفقُ مع الدكتور هيكل فى أنَّ السرّ فى هذا العداء يعود إلى أنهم فزعوا من البعثِ ومن عذابِ جنم ، الذى حفِلتْ به كثيرٌ من آيات العهد المكى فى هذه المرحلةَ [1] .

إن الكفارَ حينذاك لم يكونوا يسمعون القرآن الكريم إلا من أجل السخرية والاستهزاء ، ولم يكونوا يحاولون أن يفقهوا معانيه أوْ يتدبَّروا آياته . إنهم لو فعلوا ذلك لانكشفتْ الغشاوةُ عن أبصارهم ، ومُحيت العداوةُ من قلوبهم ، إذْ كيف يظل على كفره وغيِّه من يستمع إلى مثل هذا الوعد والوعيد فى سُور العهد المكى .. وهو أكثرُ من أن يُحصى ، وأبلغُ من أنْ يُفسَّر :

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ

---

(١) حياة محمد : ص ١٩١ ـ فزعوا : خافوا ـ حفلت : احتشدت واهتمتْ .

ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ : ١٨ ـ ٤٠][1] .

إن الكفارَ لوْ فتحوا قلوبَهم للذكر لمَّا جاءَهم لآمنوا وحسُن إسلامُهم ، لأن القــرآن يهْدى للتى هى أقومُ .. ولو أُنزل على جبلٍ لرأيته خاشعا متصدعا من خشــية الله ، لكن الذين ضلوا قستْ قلوبهُم ، فهى كالحجارة أو أشدُّ قسوة .

مضى الرسولُ يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، سرا وجهْرًا ، إلى عبادة الواحد القهَّار ، تؤيّده ـ فى مراحل الدعوة الأولى ـ قوتان : واحدة معنوية ، وأخرى مادية .

أما القوة المعنوية : فتمثلتْ فى نزول الروح الأميــن ـ دوْمــا ـ بآيــات الله البيِّنات ، تنبئه وتطمئنه بأنَّ ما يتعرَّضُ له من جُحودٍ ونكرانٍ وضلال وبهتان ، قــد حدث لمن قبله من الأنبياء وأولى العزم من الرسل ، لذلك نجد كثيرًا من قصــص الأنبياء والرسل قد وردتْ فى سُور العهد المكى وآياته من أجل هذه الغاية النبيلــة : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود : ١٢٠] . وظلت الآياتُ الكريمــةُ تَــتْرى ، لتكونَ للرسول ومن آمن معه موعظةً فى قصص السابقين ، حتى يــزدادوا إيمانًــا علىإيمانهم ، بما يُضْفيه عليهم القرآن الكريم من سكينة وطمأنينة .. وثقة فى نصـو الله إيَّاهم :

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [طه : ٩٩ ـ ١٠٠][1] .

---

(١) أفواجًا : أمما .. أو جماعات مختلفة ـ فكانت سرابا : أى مثل السراب الذى لا حقيقة له ـ مرصاد : موضع ترصد وترقب للكافرين ـ مآبا : مرجعا ـ أحقابا : دهوراً ، لا نهاية لها (ج حِقبــة) ـ بــردا : روحا وراحة ـ حميما : ماء شديد الحرارة ـ غساقا ـ صديدا يسيل من جلودهم ـ جزاء وفاقا : أجــرا موافقا لأعمالهم ـ كذابا : تكذيبا شديدا ـ أحصيناه كتابا : عددناه وحفظناه مكتوبا ـ مفازا : فوزا وظفـوا ـ كواعب (ج كاعبة) فتيات ناهدات ـ أترابا : متساويات فى السن والحسن ـ دهاقًا : مليئة ـ لغــوا : كلاما لا فائدة له ـ عطاء حسابا : إحسانا كافيا ـ مآبا : مرجعا بالإيمان والطاعة ـ كنت ترابا : لم أبعث فى هذا اليوم الذى كتب علىَّ العذاب والشقاء فيه .

(٢)ذكر : قرآن ـ وزر : جريرة ، ذنب .

القوة المادية : التى دعّمتْ موقفَ الرسول ﷺ ، وجعلتْه صامدًا لما يُلاقى من كوارثَ وحوادثَ أن عمَّه أبا طالب وزوجه خديجة كانا يحوطانه برعاية قوية وهيبة راسخة ، يُضاف إلى هذا فرحة الرسول بأن عدد المؤمنين كان يزيد يوما بعد يوم ، فقد أسلم فى هذه الفترة :

« أبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبى الأرقم[1] ، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، وامرأته فاطمة (أخت عمر بن الخطاب) وأسماء .. وعائشة[2] ابنتا أبى بكر ، وخبّاب ابن الأرَتّ بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة وامرأته أسماء بنت سلامة ، وهنيس ابن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهة بنت يسار ، ومعمر بن الحارث ، والسائب ابن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر ، وامرأته رملة بنت أبى عوف ، ونعيم ابن عبد الله النحام ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وامرأته أمنية بنت خلف ، وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل ، وصهيب بن سنان الرومى»[3] .

معنى ذلك أن عدد المسلمين – فى أثناء مرحلة الدعوة السرية – التى استمرتْ حوالى ثلاث سنوات – كان يتكون من اثنين وخمسين فردا : فيهم الرجال والنساء والأطفال . وهذا العددُ ليس بالأمر الهيِّن .. ولا يُقلل من الجهد الجهيد الذى بذله الرسول ﷺ ، لأن الإيمان بدعوة روحية جديدة أمر صعب خاصةً فى مجتمع مثل المجتمع المكى ، الذى كان التعصب الأعمى للقديم فيه ، يحولُ دونَ أن يقبلوا على ما جاء به الرسول الكريم .

---

(١) صاحب دار الدعوة التى كان يجتمع فيها الرسول والمسلمون .

(٢) كانت السيدة عائشة طفلة صغيرة فى هذه الفترة .

(٣) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٥٦ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة : ١٧١ ــ ١٧١][1] .

والقرآن الكريم يذكر فى أكثر من موضع هذا الموقفَ المتعصِّبَ لما وجدوا عليه أسلافَهم .. ثم يسخرُ منهم ، لأنهم يتبعون آباءهم وهم على ضلال مبين :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة : ١٠٤] ثمــة آية أخرى تشير إلى هذا العناد من الكافرين وهــى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف : ٢٤][1] .

ازداد الرسولُ إيمانًا بضرورة أن يمضى إلى حيثُ أمره الله ــ كما ازداد كفــارُ مكة تعصبًا لعاداتهم الوثنية . وبدأ الصراعُ غير المتكافئ بين جماعة النور والحق.. وقُوى الظلم والظلام ، وأخذوا يحاولون بأكثر من طريقة أن ينــالوا مــن محمــد والمؤمنين معه ، وجرَّبوا مع الرسول : الإغراءَ بالمال والمنصــب ــ التفــاوض والصلح ــ السبَّ والشتم ــ الضرب والأذى ــ محاولةَ القتل ، بل ساوموه على أنْ يعبد دينهم فترةً ، ويعبدوا دينه فترة ثانية . لكنها كانتْ قسمةً ضيزى ، لذلك نــزل قولــه تعــالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون : ١ ــ ٦][1] .

يذكر النيسابورى أن هذه السورة الكريمة «نزلتْ فى رهطٍ من قريش ، قــالوا : يا محمد هلمَّ اتبعْ ديننا ، ونتبع دينك ، تعبدُ آلهتنا سنةً ، ونعبدُ إلهك سنة . فإنْ كــان الذى جئت به خيرًا مما بأيدينا فقد شركناكَ فيه ، وأخذنا بحظِّنا منه ، وإنْ كان الذى

---

(١) ألفينا : وجدنا ــ ينعق : يصوت ويصيح ــ صم : لا يسمعون ــ بكم : خرس ، لا يتكلمون .

(٢) أمة : طبيعة ، هيئة .

(٣) الكافرون .. سورة مكية .

بأيدينا خيرًا مما فى يدك ، فقد شركْتَ فى أمرنا وأخذتَ بحظك . فقال : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾ فغدا الرسول إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش ، فقرأها عليهم ، حتى فرغ من السورة »[1] .

موقف أبى طالب

لما ضاقتْ قريش بدعوة محمد ﷺ « مشى قومٌ من أشراف قريش إلى أبى طالب ، فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فإما أنْ تكفَّه عنَّا ، وإما أنْ تُخْلى بيْننا وبينه ؟

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقا ، وردهم ردًا جميلا ، فانصرفوا عنه .

ويبدو أن أبا طالب لم يذهبْ إلى ابن أخيه ولم يناقشه فى الأمر ، لأنه كان يدرك ــ دون أن يصرح ــ أنه على صواب . فعادوا إليه مرة أخرى . «فقالوا :

ــ يا أبا طالب إن لك سنًّا وشرَفًا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيْناك من ابن أخيك فلم تَنهه عنًّا ، وإنًّا والله لا نصبرُ على هذا من شتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيْب آلهتنا ، حتى تكفَّه عنًّا ، أو ننازله وإيَّاكَ فى ذلك ، حتى يهلك أحدُ الفريقيْن .

فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا .. فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلنى من الأمر ما لا أُطيق . فقال الرسول : **يا عمِّ ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أنْ أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه**[2] .

ثم استعبر رسولُ الله[3] فبكى ثم قام . فناداه أبو طالب قائلا :

ــ اذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا »[4] .

---

(١) النيسابورى : أسباب النزول ، ص ٣٠٧ .

(٢) فى رواية أخرى « أهلك دونه .. » أى أموت فى سبيله .

(٣) استعبر : بكى .

(٤) تهذيب سيرة ابن هشام : ص ٥٨ ، ٥٩ .

أيَّةُ قوة روحية كان يملكها ذلك النبى الكريم ﷺ فى مثل تلك اللحظات الحاسمة؟! لقد آمن أنه صاحب رسالة مقدسة ، ينبغى أن يضحى من أجلها لا بالمال والولد فحسب ، بل بالروح والجسد أيضا . ولا شك أن التضحية بالروح غايةُ التضحية . ما أقوى هذه العبارة البليغة الحاسمة التى قالها محمد أمام عمه الذى رعاه ورباه : «**والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمرَ ، ما تركتُه ، حتى يظهره الله أو أهلكَ دونه** » !!

مضى محمد ﷺ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، لكنه تعرض لكثير من أساليب الإيذاء والسخرية والضرب والشتم وإلقاء القذى على ملابسه .. ثم محاولة قتله فى أثناء إقامته للصلاة فى ساحة المسجد الحرام .

نشبت الحربُ واشتدتْ رحاها ماديا ومعنويا ، وأخذوا يطلبون منه أن يؤيد بمعجزاتٍ مادية .. فرد عليهم بثقة المؤمن : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٣] .

لما فشلتْ وَساطةُ أبى طالب أجْمعَ كفار قُريش على أن يكونوا عصابةً من ساداتهم لمواجهة محمد ﷺ والتفاوضِ معه ، فقالوا : « يا محمد ، إنا قد بُعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلتَ على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبْتَ الدين ، وشتمتَ الآلهة ، وسفَّهتَ الأحلام ، وفرقتَ الجماعة ، فما بقى أمرٌ قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنتَ تريدُ مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرفَ فينا فنحن نُسوِّدك علينا ، وإن كنت تريدُ مُلكا ملكناك علينا . وإنْ كان هذا الذى يأتيك رئيا تره قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه أو نُعذرَ فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملكَ عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ،

وأنزل علىَّ كتابا ، وأمرنى أن أكون بشيرا ونذيرا . فبلغتكم رسالاتِ ربّى ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منّى ، ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على ، أصبر لأمرِ الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم »[1] .

مغزى الصراع ودلالته

إن المعركة بين الرسول ﷺ ومن آمن معه ، وبين قريش والكافرين ، ليستْ إلا صورةً من صور الصراع الأزلىّ بيْن الخير والشرّ ، بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر . هذه المعركة واجهها الأنبياء والرسل من قبلُ .. ولن تنتهى ، حتى يرثَ الله الأرضَ ومن عليها . مصيبةُ كثيرٍ من البشر أن السلطان أو الثروة أو الأثرة أو عدم الرغبة فى معرفة الحقيقة ، تجعلهم يفقدون الذاكرة . وتأخذهم العزة بالإثم ، فينسون الله والحقّ والأخلاقَ ، وتموتُ ضمائرهم قبل أن تموت أجسادهم . أولئك حبطتْ أعمالُهم فى الدنيا والآخرة ، وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنْعا .. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝ ﴾ **[سورة الانفطار : ٦ ــ ١٥]** .

يزيدُ من قداسة هذه المعركة وأهميتها أن الرسول ﷺ كان يقودها بمنتهى التعقل والحكمة ــ بعيدا عن الانفعال وحميا الغضب . إن حكمة الرسول ﷺ وقوة إدارته للمواقف كانت عاملا مهما من عوامل انتصاره فى كل المعارك التى خاضها .

بأبى وأمى أنتَ يا سولَ الله .. طِبْتَ حيًّا وميتًا ، فقد تحملتَ من آلام النفس والجسد ، ما يعجز عنه أشجع الأبطال ، وأعظم الرجال ، من أجل أن تكون كلمة

(١) تهذيب سيرة ابن هشام : ص ٦٦ ــ تردوه علىّ : ترفضوه .

الله هى العليا ، ومن أجل نشر راية التوحيد ، إنقاذا للبشرية ، حتـــى يعـم الحـق والخير والعدل فى هذه الحياة الدنيا .. وينعم الفائزون فى الـــدار الآخـرة بجنـــات عرضها السماوات والأرض ، أعدت للمتقين .

نعم .. لم تكن معركة الرسول ﷺ من أجل عَرض من أعراض الدنيا الزائلـة ، وإنما كانت معركة من أجل القيم السامية والمبادئ العليا . لو آمنا برسالة الرســـول لعمَّ السلام أرجاء العالم ، لأن الإسلام دين السلام ، كما أن السلام اسم من أســـماء الله الحسنى ، وكل أرض مقدسة هى أرض السلام ، لأنه يحرم فيها الظلم والقتل . إن الصراع يشتعل نارا تلظى فى كثير من بقاع الأرض ، لأنهم لم يقتـدوا بســيرة الرسول ﷺ ، ولم يتبعوا سنته ، ولم يعرفوا حقيقة رسالته . نعم من أراد السلام ـــ لنفسه وللعالم ـــ فعليه بالإسلام ، دين الفطرة السليمة والقلوب الصحيحة والعقـــول الراجحة . من رغب أن يعرف مبادئ الدين القيم وأن يعيش فى أمـــان وســلام ، فعليه باتباع رسالة محمد ﷺ ، لأنه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝ ﴾ [البينة : ٥] .

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن صورة ، وأرسل إليه رسولا ، يهديه إلى الديـــن القويم . فلماذا يتفرق الناس بعد أن جاءت البينةُ فى صُحف مطهرة ؟! إن رســـالة الإسلام قد اشتملت على كل ما كان موجودا فى الكتب السماوية الســـابقة قبـل أن تتحـول وتتبـــدل : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

نعم .. لقد كان محمد ﷺ المحارب النبيل من أجل إنقاذ البشـــرية مـن ظـلام الشرك والشقاق والنفاق ، وهدايتها إلى نور الإيمان والأمان والعرفان . إن معركـة محمد ﷺ كانت من أجل الخلاص البشرى ، من أجل أن يؤمن الناس ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . الإيمان الحقيقى بدلالاتِ هذه الشهادة إيمان بمبادئ الإسلام وقواعد السلام . اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالســـلام ، وأدخلنـا الجنة دار السلام . تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم إيمانًا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاءً بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، اجزه عنا وعن الخلق أجمعين خير الجزاء – عدد ما أحصاه علمك ، ووسعه كتابك ، يا خيرَ من سُئل وأفضل من أعطى .

عام الحزن .. بدء الفرج

استمرت المعركة بين المسلمين والكافرين ، وزادت خلالها مقاطعةُ قريش للنبى والمسلمين وحبسهم فى شعاب جبل أبى قُبيْس ، فقد أقسموا ألا يتعاملوا معهم بيعا أو شراء أو مصاهرةً .. ومنعوا عنهم الماءَ والزاد ، بل لقد منعوهم من الاتصال ببقية أهلهم وذويهم ، ومن التعامل مع القادمين إلى مكة إلا فى الأشهر الحرم ، ومع ذلك فإن الرسول ﷺ والذين آمنوا معه تحملوا ما لا طاقة لبشرٍ به ، لكن الله ثبتهم وصبرهم ، وهيأ لهم من أمرهم رشدا .

ظل الرسول ﷺ فى ابتلاء دائم ، فقد مات عمه أبو طالب ، ثم لحقت السيدة خديجة رضى الله عنها بالرفيق الأعلى تاركة زوجها وحيدا ومعه منها أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم .. وفاطمة الزهراء التى كانت طفلة صغيرة آنذاك . من أجل ذلك سمى هذا العام عام الحزن ، لأنه مات فيه أعز اثنين منزلة إلىقلب الرسول ﷺ : هما عمه وزوجه ، حيث فقد بفقدهما الرعاية والحماية ، وكثرت محاولاتُ التحرش به . وكان أبو جهل ينهى الرسول عن الصلاة فى الكعبة ، إذ رأى فى ذلك – كما نظن – دعاية صريحة للإسلام ، ورفضا قاطعا للأصنام ، فقال للرسول ذات مرة : ألم أنهك عن هذا ؟ فأغلظ له الرسول ﷺ القول وهدده[1]. فقال أبو جهل : أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى[2] ناديا ؟! فنزل قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝

(١) كان ذلك قبل عام الحزن .

(٢) الوادى : وادى مكة .

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة العلق : ٦ ـ ١٩] .

من الإساءات البالغة أيضا للرسول ﷺ وهو قائم يصلى فى ساحة البيت الحرام «ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخارى ، قال : كنا مع رسول الله فى المسجد وهو يصلى ، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم إلى فرث جزور ، فيلقيه على محمد وهو ساجد ؟

فقام عقبة بن أبى معيط ، وجاء بذلك الفرث ، فألقاه على النبى ﷺ وهو ساجد ، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه ، لضعفهم عن مقاومة عدوهم . ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساجدا ، حتى جاءت فاطمة بنته ، فأخذت القذر ورمته »[١] .

أى تَبجُّحٍ على الله ورسوله ذلكم الذى فعله كفار قريش ؟ يريدون أنْ يقتلوا رجلا لا لشىء إلا أن يقول ربى الله . ثم يمتهنون حرمةَ الصلاة ، ويلقون عليه رَوَثَ ذبيحة فى ساحة الكعبة المشرفة .. على بُعد خطوات من مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ، ويطيل الرسول الكريم سجوده ، ولا يخرج عن صلته بربه . ولعله فى هذه اللحظة كان يدعو لهم قائلا : « اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون » . كان ذلك أيضا على مرأى ومسمع من المسلمين ، وهم يومئذ قليلو العدد ضعفاء القدرة ، قد تمنوا أن يفدوا الرسول بأرواحهم . ولا ريب أن الإحساس بالعجز عن رد العدوان عن الرسول ﷺ أدمى قلوبهم قبل عيونهم ، فدعوا رب المستضعفين أن ينتقم لهم من الكفرة الجبارين .

ترى ما الذى جاء بطفلة فى حوالى الخامسة من عمرها فى تلك اللحظة القاسية، لترى أباها الحبيب وهو على هذا المنظر الذى يقطع نياط قلب طفلة صغيرة ، أم

---

(١) محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، ص ٤٢ .

هل كانت صغرى البنات البريئة تلعب مع بعض لداتها ، فسمعت الغَلط واللغط ، أم أن قلبها الطاهر النقى أحسَّ كرب أبيها ..؟!

أياما كان السبب فقد جاءت تبكى مثلما بكتْ يوم وفاته صارخة : واكرباه عليك يا أبتاه !! ثم مدت الزهراء ــ رضى الله عنها ــ كفيها الطاهرتين ، لتبعد الروث القبيح شكلا ومضمونا عن جسده الشريف .

حقا .. لا يفعل القذارة إلا كائن قذر .. ولا يقدم على عمل قبيح إلا من كانت نفسه أشد نتانة من الروث . كما أنه فى المقابل لا يصبر على أمثال تلك المواقف القاسية المرة نفسيا إلا أولو العزم من الرسل .. ومحمد ﷺ أشرفهم مقاما ، وأعظمهم درجة ؟!!

كان أشد الكافرين عداوة وإيذاء للرسول ﷺ فى هذه المرحلة :

أبو لهب ، وأبو جهل ، وعقبة ابن أبى معيط الذى ألقى الروث على الرسول ، وحاول خنقه فدفعه أبو بكر قائلا : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر : ٢٨] .

ومن أولئك الضالين المستهزئين أيضا : العاص بن وائل السهمى[1] ، وكان يقول : غرَّ محمد أصحابه أن يحيوا بعد الموت ، والله ما يهلكنا إلا الدهر ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

ويصعب أن نحصى أسماء الذين تعرضوا للرسول ﷺ والمسلمين بالأذى والاستهزاء[2] ، كما أنهم لم يتركوا وسيلة إلى ذلك إلا اتبعوها ، وهم ظالمون . كما

---

(١) والد عمرو بن العاص .

(٢) منهم أيضا : الأسود بن عبد يغوث من بنى زهرة ، والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأم أنمار مولاة خباب ابن الأرت ، وامرأة أبى لهب ، وهند بنت عتبة ، وأبىّ بن خلف وأخوه أمية ، والأسود بن المطلب ، وعدى بن حمراء الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى ــ وعصماء بنت مروان .

أن **النضر بن الحارث** كان يحاول أن يصرفَ الناسَ عن الرسول ﷺ إذا رآه يدعو قومه إلى الهدى أو يفقههم فى الدين ، قائلا : هلموا يا معشر قريش ، فإنى أحسنُ منه حديثا . ثم يكلمهم عن أخبار ملوك فارس .. وغيرها من قصص التاريخ ، ويحاول أن يفهمهم أن محمدا لا يحكى إلا بعض أساطير الأولين ، كما يحكى هو أخبار سُهراب ورستم وغيرهما من ملوك الفرس ، فنزل فيه قوله عزَّ من قائل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرًا ۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾ **[لقمان : ٦ ــ ٧]**[١] .

ويصعب أن نحصى أسماء من عُذب واسهزئ بهم من المؤمنين الأولين والمؤمنات الصابرات مثل :

بلال بن رباح ــ أم عنيْس [كانت أمَةً لبعض بنى زهرة] ــ عمار بن ياسر وأبوه وأمه ، وقد عذبهم أبو جهل عذابًا لا طاقة لبشر به ، لدرجة أن أبا عمار وأمه ماتا من قسوة التعذيب ــ خباب بن الأرت .

لم يلحق الأذى بالفقراء والمستضعفين من المسلمين فحسب ، بل إن رجلا ذا شأن مثل أبى بكر الصديق فكر فى أن يهاجر من مكة إلى الحبشة ، فمنعه ابن الدغنة ، وأجاره وحماه من أذى قريش إلى حين ، لأنه رد عليه جواره بعد ذلك . كما أن عثمان بن عفان وجعفر بن أبى طالب هاجرا ضمن الهجرة الأولى إلى الحبشة .

لم يكن الأمر مقتصرا على التعذيب الجسدى الوحشى من كُفَّار مكة ، وإنما تجاوزه إلى منع الماء والطعام والملبس ، حتى إن بعض المسلمين كانوا يأكلون أوراق الشجر ، ويمتصون الزلط والحصا من قسوة الجوع والعطش .

---

(١) لهو الحديث : الكلام الباطل الذى يلهى عن الحق والخير ــ هزوا : سخرية ــ ولى مستكبرا : أعرض متكبرا ــ وقر : صمم ، خرس .

مخرج صدق :

أحسَّ الرسول الكريم ﷺ أن قلوب كفار مكة أشد خشونةً من صخور جبالها الصلدة ، وعزَّ عليه أن يلقى هو وأصحابه ما لا طاقة لمخلوق عليه . فماذا يصنع.. وهو صاحبُ رسالة وراعى أمة وقائدُ جماعة ؟! كما أنه كان يدركُ أن هذه العصبة القليلة إنْ تَهلك .. فقد يُهلك الرسول والرسالة ، ويعود طغاةُ قريش إلى ضلالهم يمرحون !!.

إذن ينبغى أن يفكر فى مخرج صدق لرسالته ولمن اتبعه من المؤمنين . ويبدو أن الرسول الذى لا ينطق عن هوى ، فكر فى معنى مثل معنى هذه الآيات الكريمة قبل أن يتخذ قراره : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء : ١٠٠][١] .

بإلهام من الله ـ سبحانه تعالى ـ كانت الفكرة العظيمة التى اهتدى إليها الرسول ﷺ تسير فى خطين متوازيين ، يُكمل أحدهما الآخر :

الأول : هجرتا الحبشة الأولى والثانية : ليعيش المسلمون هناك آمنين مطمئنين، يعبدون الله ، حتى يأتى الفرج . وكان عدد المهاجرين فى الأولى حوالى عشرة رجال وخمس نساء ـ كانت فيهن رقيةُ بنت الرسول ﷺ وزوجها عثمان بن عفان. وفى الهجرة الثانية كان عددهم يربو عن ثمانين رجلا وامرأة ، وهو عدد ليس بالقليل ، وبقى هناك بعضهم إلى ما بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة مثل جعفر بن أبى طالب الذى عاد بعد الانتصار فى خيبر ، لذلك كان الرسول ﷺ يقول : «هل نفرح بنصر خيبر أم بعودة جعفر ؟!» .

الثانى : أن يستبدل بقومه غلاظ القلوب مغلقى الأفئدة قوما آخرين : ومن ثم بدأ يعرض نفسه على وفود بعض القبائل ـ فى أسواق مكة والطائف ـ التى ترد

---

(١) مراغما : مهاجرا ، متحولا ، أرضا بديلة .

للتجارة أو زيارة الكعبة . وقد عرض نفسه على وفد من نصارى نجران .. وجماعة من قبيلة دوس ، ثم رهط من قبيلة بنى حنيفة ، وآخر من بنى عامر .. ثم بعض عرب يثرب من قبيلتى الأوس والخزرج . وقد استقر رأيه على الهجرة بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية إلى يثرب التى سوف يعيش فيها بقية حياته ، ويدفن فيها جثمانه الطاهر ، لذلك سُميت في البداية : مدينة الرسول ، ثم المدينة المنورة ـ بعد ذلك .

وقد تجمع الخطان : خط الهجرة إلى الحبشة .. وخط عرض نفسه على القبائل : إما أن يجيروه ﷺ ويستقبلوه ، ويحموه مما يحمون منه أنفسهم وحرماتهم أو يدخلوا فى الإسلام ، فيعتز بهم ويعتزوا به ، ولله العزة ولرسوله ولرسالته والمؤمنين.

التقى الخطان ليشكلا معا حدثَ الهجرة العظيم ـ هجرة الرسول والمسلمين إلى يثرب ـ التى تعد بدءَ مرحلة جديدة فى حياة الرسول ﷺ وانتقال رسالة الإسلام من إطار الواقع المحلى إلى الأفق العالمى .

هنا يرد تساؤل منطقى وجيه ينبغى طرحه :

هل كان الرسول ﷺ فى أمر هذه الهجرة الداخلية والخارجية يريد أن ينقذ حياته وحياة المسلمين فقط .. أم أنه كان يرمى إلى غاية أبعد وهدف أسمى .؟!

أغلبُ الظن .. أرجح الرأى ، يجعلنا نذهب إلى أن رسول الله ﷺ بنظره الثاقب، ورؤيته المستشرفة لأفق بعيد ، وغد جديد ، أراد أن ينشر دعوته .. ويؤذن بمولد رسالته فى أماكن أخرى غير شِعاب مكة ، حتى يكسب الدين الوليد أرضا جديدة ، وفى هذا السبيل دعاية كبيرة لدين الله ، الذى يرغب الرسول ﷺ فى أن يظهره فى كل البلاد ، ولدى جميع العباد ، حتى يكون الدين كله لله . وقد كان يؤمن ـ كما علمه ربه ـ أن أشد الناس قربا للمسلمين النصارى ، لذلك أرسل أتباعه إلى الحبشة ، لأنهم سيكونون أقربَ مودةً لأصحابه من كفار مكة ، الذين أعمى الله أبصارهم وبصائرهم .. ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

[المائدة: ٨٢] .

الإسراء والمعراج :

وسط هذه الظروف الضارية الصعبة التى مرت بالرسول وأصحابه ــ أراد ربُّ العزة أن يقدم لرسوله بعض ضوء ، يثبت فؤاده ، ويقوى إيمانه ، فقد وهب الله رسوله معجزة ، لم تُعط لأحد من أولى العزم من الرسل قبله ، تلك هى حادثةُ **الإسراء والمعراج** ــ التى ورد ذكرها فى سورة تسمى باسم هذه الواقعة «الإسراء»، وهى سورة مكية تبدأ بهذه الآية الكريمة :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

[الإسراء : ١] .

كما ورد ذكر هذه الحادثة مرة أخرى فى سورة «النجم» وهى مكية أيضا :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

[النجم : ١ ــ ١٨][1] .

---

(١) هوى : غرب وسقط ــ ما ضل صاحبكم : (ما : نافية) ما عدل عن الحق ــ ما غوى : ما اعتقد اعتقادا باطلا قط ــ ذو مرة : خلق حسن ــ فاستوى : فاستقام على صورته الخلقية ــ دنا : قرب ــ قاب: قدر ــ أفتمارونه : أتجادلونه وتشكون فيما قال ــ نزلة أخرى : مرة أخرى ــ سدرة المنتهى : التى تنتهى عندها علوم الخلائق أجمعين ، وبعدها يكون علم الله سبحانه وتعالى ــ جنة المأوى : مقام أرواح الشهداء ــ يغشى السدرة : يغطيها ويسترها ــ ما زاغ البصر : ما مال عما أمر برؤيته دون سواه ــ ما طغى : ماتجاوز ــ آيات : علامات القدرة والألوهية .

الحديث عن الإسراء والمعراج حديثٌ عذب ، يطول شرحُه ، وتتبع من تناولوه من رجال التفسير ورواة الحديث وكتاب السيرة وعلماء التاريخ ، وهل كان الإسراء والمعراج بالجسد .. أم بالروح .. أم بهما معا ؟ أم كان مجرد رؤيا صادقة ؟![1] . وكل رأي من هذه الآراء له سند ودليل عند من قالوا به[2] .

إنَّ ما يتصل بقضايا قصة الإسراء والمعراج .. وموقف المؤمنين والكافرين منها ، أمرٌ يطول شرحه وتفسيره !! إنما الذى يعنينا بالدرجة الأولى ــ لأننا لا نكتب تاريخا للسيرة العطرة ــ هو التحليلُ .. والتعليل لسيرة الرسول ﷺ فى ضوء آياتِ الرسالة السامية ، التى أنزلها الله عليه .

إن دلالة الأحداث هى الغايةُ النبيلة لهذه الدراسة الدينية / الأدبية / المتواضعة ــ التى هدانا الله إليها ، وكشفَ سبيل الوصول إليها .

لقد وقعتْ معجزةُ الإسراء بعد وفاة أبى طالب وخديجة وكثرة مساءات قريش للنبى ﷺ والمسلمين ، وحصارهم فى شعاب الجبال ومقاطعتهم اقتصاديا واجتماعيا، وتعذيبهم بوحشية ضارية ، بالإضافة إلى رد ثقيف غير الكريم على الرسول حين ذهب إليهم فى الطائف ، مما دفع النبى ﷺ إلى أن يرسل بعض أتباعه وفيهم ابنته رقية ــ رضى الله عها ــ إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان .

ومع أن صحيفة المقاطعة كانتْ قد أكلتها الأرضة[3] .. وعلى الرغم من اعتزاز المسلمين وتماسكهم بإسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ، والزيادة المطردة فى عدد المسلمين عاما بعد آخر ، فإن ذلك لم يخفف من إحساس الرسول ﷺ بالحزن والخوف ؛ ومن ثم أراد رب العزة ــ سبحانه وتعالى ، أن يُشعر رسوله وحبيبه أنه يحوطه برعايته ، ويشمله بكرمه ، لذلك خصه بهذا الحدث

(١) راجع ما تناوله هيكل فى هذا الموضوع فى : حياة محمد ، ص ٢٠٢ وما بعدها .
(٢) الذى نميل إليه هو أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح فى آن واحد ، لأن فى ذلك دلالة أكبر على تشريف الله لرسوله ، وتثبيت قلبه وتأكيد نصرته له ــ والله تعالى أعلم .
(٣) حشرة تأكل الأخشاب والأوراق .

المعجز العظيم ، حتى يرى بعض آيات ربه الكبرى . وقد وقعتْ حادثةُ الإسـراء والمعراج بعيد عودة الرسول ﷺ من الطائف ، وما لقيه هناك من آلامٍ واستهزاء .

إلا تنصروه .. فقد نصره الله

ضاقت شعابُ مكة بأحب خلق الله إلى الله ، فمضى يبحث عن أرض جديـدة ، ينشر منها رسالته ويحمي فيها جماعته . يا سبحان الله كان حبيب الله كالمسـتجير من الرمضاء بالنار . تبًا لكم يا أهل الطائف أهكذا تصنعون بأشرف خلق الله ..؟!

في رحلة البحث عن مستقر جديد للدعوة خرج النبي المختار مـن مكـة إلـى الطائف وحيدا[1] . ويجب أن ندرك وعورة الطريق وقسوته بين القريتين ، فالطائف تقع على بعد حوالى مائة كيلو متر من أم القرى ، كما أنها تقع على جبـال عاليـة يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض حوالى ألف متر ، والطريق إليها متعرجة ملتفة[2]. بيد أن **زعماءَ الطائف أساءوا استقبال الرسول ﷺ** . أكثر من هذا سلطوا عليـه سفهاءهم وغلمانهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة ، ففر منهم وجلس إلى حائط لابنـيْ ربيعة فاحتمى به . العجيبُ أنه لم يلن للرسول الكريم ﷺ في الطـائف إلا قلـبُ عدّاس النصراني . جلس الرسول بجوار الحائط يشكو إلى ربه والدماء تسيل منه ، والكربُ يملأ نفسه ، ويوجع قلبه ، فلم ير ضوءا إلا في السماء ، فأخذ يشكو للخالق ما فعله الخلق :

«اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحـم الراحمين . أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلنـي ..؟! إلـى بعيـدٍ يتجهمني ، أم إلى عدوٍ ملكته أمري . إن لم يكن عليَّ غضبٌ فلا أبـالي ، ولكـن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل عليَّ سخطك . لك العتبـى حتـى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك »[3] .

---

(١) راجع ما كتبه د. هيكل عن الطائف في كتاب : منزل الوحي ، ص ٣١٠ .

(٢) ثمة روايات تذكر أن الرسول ﷺ صحب معه ابنه بالتبني زيدا في رحلة الطائف .

(٣) هوان : ذل ـ تكلني : تتركني ـ يتجهمني : يعبس في وجهي ، كناية عن سوء المقابلة والمعاملـة ـ العتبى : العفو والسماح .

ويعلق السيد سليمان الندوى على موقف أهل الطائف من الرسول ﷺ فيقول :
«إن ما لقيه من أذى أهل الطائف لم ينسه طوال حياته . ولقد سألته عائشة بعد ذلك بتسع سنين عن أشد ما لقيه من بلاء ، فأخبرها بأنه يوم الطائف . وكان بعد ذلك أن زحف المسلمون على الطائف فى السنة الثامنة للهجرة وحاصروها ، فأطالوا حصارها واستعصى عليهم حصنها الحصينُ الذى قُتل فيه كثيرون منهم . فهمَّ الرسول أن يرجع عنها ، لكن أصحابه أبوْا إلا الفتح ، وسألوا النبى ﷺ أن يدعو على أهل الطائف ، فرفع يديه إلى السماء يدعو فقال :

«اللهم اهد أهل الطائف ، اللهم ألنْ قلوبَهم للإسلام ، ومكنه فيها » .

تلك هى رحمة الرسول وسعة صدره وسماحة خلقه وكرم نفسه . يدعو بالخير للذين آذوه بالشر أشد الأذى ، وأبوا أن يجيروه حين استجار بهم ، ثم قاتلوه أشد القتال . ومع كل هذا لم يسأل الله لهم إلا أعظم ما يعلمه من الخير وهو الهدى . أرأيتم رجلا آخر فى الدنيا بلغت الرحمة من قلبه هذا المبلغ ..؟! »[1] .

لم تحل التجربة القاسية للرسول ﷺ مع أهل الطائف دونَ أن يكرر المحاولة مثنى وثلاث ورباع . إنه لا يبحث لنفسه عن خلاص فرديّ .. وإنما يبحث عن سبيل لخلاص أمة ونشر رسالة . وما زال يحاول .. ويحاول ، حتى تمت بيعتا العقبة الأولى والثانية ، فاتفق مع أهل يثرب بحضور عمه العباس بن عبد المطلب على أن يهاجر إليهم بعد أن أخذ منهم عهد الله وميثاقه . وقد أمر الرسول أتباعه بأن يهاجروا قبله ، بينما بقى هو ينتظر أمر ربه .

إن هذه البيعة المباركة بيعة العقبة الثانية : تدل دلالة بينة على ظهور ملمح جديد من ملامح شخصية الرسول العظيمة ، فقد بدأ يُعنى بمجال تأسيس الدولة بعد أن قام بتثبيت دعائم الدعوة . ولكم تبذل الدول الحديثة من الجهد والوقت حتى تبرم معاهدة مثل هذه المعاهدة الميمونة ..!! لكن عبقرية الرسول التى تشكلت بتوفيق الله وهداه ساعدته على أن يعقد هذه المعاهدة ، لتكون يثربُ النواةَ الطيبة لتأسيس دولة

---

(١) السيد سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ترجمة محمد ناظم الندوى ـ ط دار الفتح ـ دمشق ـ ١٤٠١ ـ ١٩٨٢ ، ص ١٩٢ .

إسلامية ، تنافس دولتى الفرس والروم ، بل إنها سوف تصل إلى ما لم تصل إليــه أىٌّ منهما . إذْ يكفى الدولة الإسلامية ــ فخرًا ــ أنها غرسُ محمد وثمرة جهاده فى سبيل الله ، حيث بايعهم على وحدة المصير فى السلم والحرب ، فقد قال ردا علــى من تخوَّف من الأنصار : «الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحــارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم »[1] .

يارعاك الله يا رسول الله بقدر ما تحملتَ فى تبليغ الرسالة وتثبيت معالم الدولــة ــ دولة الإسلام ، التى سيظل ضوؤها منيرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليــها ، فرسولنا محمد ﷺ مبعوث رحمة للعالمين كافة : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء : ٧٩] .

كما أن الله قد وعد ــ ووعده الحق ــ أن الأرض يرثها الصالحون من عبــاده ، المؤمنون برســـالة خــاتم رسـله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2] .

لم تغفل أعينُ طغاة قريش عن متابعة مسيرة الرسول المظفرة ، ووجدوا أن كـل ما فعلوه قد ذهب هباءً جفاء . فما زال محمد ﷺ يمضى فى دعوتــه .. والدعــوة تزداد أنصارا كل يوم . وقد جاءت الكفار الفتوى من كبيرهم المغرور أبــى جـهل عمرو بن هشام : «والله إن لى لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يــا أبا الحكم ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جَلدا ، ثم نُعطى كل فتى منهم ســيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربةَ رجل واحد ، فيقتلوه ، فنســتريح منــه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبــد منــاف علــى حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه »[3] .

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٠٦ ــ الهدم : إهدار الدم .
(٢) الزبور : الكتب الدينية المنزلة على الرسل والأنبياء ــ الذكر : اللوح المحفوظ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٢ ــ العقل : الدية .

في تلك الليلة التى تجمعتْ فيها هذه العصبةُ المسلحة للفتك بالرسول ﷺ .. خرج ــ مهاجرًا ــ آمنًا مطمئنًا ، بينما غشيهم النعاسُ جميعًا . مضى الرسولُ تحرسُه عنايةُ الله ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩] .

هكذا نصر الله عبده .. وأتم فضله . وبدله قوما أفضل من قومه . لم يأتِ النصر إلى الرسول ﷺ من أحد ، وإنما من عند الله الواحد الأحد :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠][1] .

ثلاثُ عشرة سنة قضاها الرسول ﷺ فى مكة ، يدعو إلى عبادة الله سبحانه ، وتحمل العذاب ، حتى تمت المرحلة الأولى من سيرة الرسول ومسيرة الرسالة ، وكان عدد الذين أسلموا فى هذه المرحلة المكية زهاءَ ثلاثمائة شخص فقط . لقد خرج الرسول ﷺ من مكة مُكرهًا بعد أن نشر الدعوة فى أم القرى وما حولها ، ووصلت أصداء رسالته إلى الحبشة ، ثم بعد ذلك إلى يثرب ، حيث يبدأ عهد جديد، عهد ثبت دعائمه أفضلُ الدعاة وأعظم القادة فى تاريخ البشرية جمعاء .

هكذا .. انتهتْ مرحلةُ العهد المكى . وخرج الرسولُ ﷺ مهاجرًا إلى يثرب ، ومعه صديقه أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه . ترك الرسولُ داره ــ وحيدًا ــ فى الليل .. وعصبةُ الكفر تترصده حول الدار ــ دون أنْ يروْه أوْ يحسّوا به . وحين خرج من مكة .. قال وهو ينظر إليها حزينًا : « **والله إنك لأحبُّ بلاد الله إلىَّ، ولولا أنّ أهلكَ أخرجونى منك ما خرجت** » .

---

(١) سكينة : طمأنينة .

المبحثُ الثالث

من المدينة .. إلى العالم

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

[الأعراف : ١٥٨]

من المدينة .. إلى العالم

أدوار متعددة

شخصية الرسول ﷺ ــ كما تتضح معالمها من خلال آيات الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة المروية عنه .. وكتب السيرة ــ شخصية إنسان عبقرى ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وصقلته التجارب الصعبة ، التى تعرض لها منذ المولد حتى الوفاة . **والوعى بتاريخ هذه الشخصية العظيمة ليس درسا دينيا فحسب ، لكنه فى المقام الأول : درس فى عظمة الإنسان** ، وقدرته على النجاة من كل ما يتعرَّضُ له من مخاطر وعقبات ، والنجاح فى كل ما يضطلع به من أعمال ومسئوليات ــ بإذن الله تعالى .

تلك ــ لعمرى ــ حقيقةٌ شهد بها الخصوم قبل الأنصار ، فالنجاشى ملك الحبشة حين جاءته الجماعة الأولى المهاجرة من ظلم قريش ــ واستمع إلى كلام جعفر بن أبى طالب ــ اطمأن إلى أن محمدا ﷺ رسول صادق مثل عيسى ابن مريم ، فأقر له بالفضل والعظمة ، ومن أجل ذلك قَبِل أن يجير المؤمنين به فى بلاده ، أو بتعبير أم سلمة : « وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار »(١) .

وتوماس كارليل T.KARLIEL مؤلف كتاب « الأبطال » لم يجد نموذجًا لشخصية (النبي البطل) أفضل من شخصية محمد ﷺ ، ومع أنه فيلسوف مسيحى، فإنه لم يختر شخصية موسى أو عيسى ــ رغم كونهما أقربَ عاطفيا إليه .

نود أن نشير ــ باختصار شديد ــ إلى أن مراحل حياة الرسول الكريم محمد ابن عبد الله ﷺ كانت متنوعة .. خصبة ، محتشدة ، تفيض بخلال نبيلة ، وأعمال جليلة، لذلك ما أحرانا فى هذا العصر المادى ــ الذى يندر أن نجد فيه مثالاً للإنسان الفاضل والقائد الكامل ــ أن نلتمس منه المثل الأعلى الذى تطمح البشرية

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٧٥ وما بعدها .

فى جميع مراحلها إلى الاقتباس من نوره والسير على خطاه . إن كل صفحة نتلوها فى مسيرة محمد ﷺ معجزة . لكنها معجزة صادرة من إنسان .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٢١][1] .

نعود بعد هذا لنوضح الحقائق الباهرة التالية :

أولا : شخصية الرسول فى المرحلة الأولى من حياته – قبل الزواج – تعد مرحلة إعداد نموذج الإنسان الصادق الأمين : الذى لا يفقد قومه – حتى وهم فى حالة ألد الخصومة – الثقة فى صدقه وأمانته . هكذا ينبغى أن تكون سيرة من يطمح إلى القيام بدور مؤثر فى حياة أمته نقية طاهرة ، لأن جمال السيرة يؤدى إلى جلال الصورة . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

هكذا لا نستطيع أن نثنى على الرسول الكريم بأكثر مما قاله رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

ثانيا : شخصية الرسول فى مرحلة ما بين الزواج إلى الوحى .. تمثل مرحلة الاستقرار الاجتماعى والأسرى ، لكنها من زاوية أخرى أهم وأعم – فى تقديرنا – **تمثل مرحلة التأمل والتفكير فى أمر الخالق والكون : بحثا عن بعث جديد لأمة ، تقطعت أوصالها ، وعميت بصائرها ،** تسير مثل الشياه الضالة أو الإبل النافرة فى انتظار راع يقودها إلى طريق الصلاح والفلاح . كان الرسول مثل جده إبراهيم عليهما السلام ، يستنطق المخلوقات بحثا عن الخالق ، الذى خلق الإنسان من علق ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ

(١) أسوة : قدوة ومثال .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك: ١ ـ ٤] (١).

تأمل الرسول وفكر .. وأدرك أن فى السماء لعبرا ، وإن على الأرض لخبرا . وأخيرا توصل بنور البصيرة ونقاء الفطرة إلى أن وراء الكون إلها عظيما ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [الحديد : ٤ ـ ٦](٢) .

ثالثا : مرحلة النبي الهادي : الحريص على إنقاذ قومه من ضلال الكفر وظلام الجهل إلى نور الإيمان .

كانت تلك مرحلة بداية الدعوة إلى رسالة الإسلام الغراء . لقد رأى الرسول ما رأى من آيات ربه الكبرى فى الكون .. وعن طريق الوحى ، فأخذ يبشر قومه بثواب التوحيد والإيمان ، ويحذرهم من عقاب الجهل والشرك . وكان فى ذلك حريصا عليهم غاية الحرص ، حتى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وظل يدعو فى كل ركعة : اللهم .. ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ٥ ـ ٧] .

ومرحلة النبي الهادى الحريص على إنقاذ أمته نستدل عليها من آيات كثيرة ، منها قوله ـ عز من قائل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٨](٣) .

---

(١) تبارك : تعالى ـ الملك : الأمر والنهى والسلطان ـ ليبلوكم : ليختبركم ـ طباقا : كل سماء مقببة على الأخرى ـ تفاوت : اختلاف وعدم تناسب ـ فطور : صدوع وخلل ـ خاسئا : صاغرا ـ حسير : كليل ومجهد .

(٢) يولج : يدخل ـ يعرج : يصعد .

(٣) عزيز : صعب وشاق ـ عنتم : عنتكم وعنادكم .

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] (١) .

رابعًا : مرحلة السياسى الحكيم : الذى يرعى مصالح أتباعه ، ويفكّر فى مصير أمته ، ويبحث لهم عن مَخْرج لحل أزماتهم الروحية والاجتماعية .

وقد بدأت هذه المرحلة فى حياة الرسول ﷺ بعد أن ضاقتْ به وبأنصاره صدورُ أهل مكة ــ قبل أن تضيق بهم شِعابها وطُرقها :

لعمرُك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها   ولكن أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

ومن ثمَّ بدأ يفكر فى البحث عن مستقر آمن للدعوة ، حتى يستطيع أن يؤسس الدولة ، لذلك بعث بهجرتين إلى الحبشة ، وأخذ يقابلُ زعماء القبائل فى المواسم ، أو يسعى هو إليهم فى أماكنهم ــ كما فعل مع بعض زعماء الطائف . وأخيرًا استطاع أن يعقد : (بيعَة) العقبة الكبرى .. أو بلغة عصرنا سياسيًا (معاهدة) سياسية. وقد حرص على أن يحضرها عمه العباس ــ رغم أنه لم يكن قد أسلم بعد ــ حتى يكون شاهدًا وضامنًا لصدق التنفيذ . وهذه المعاهدة .. أو المبايعة تنص على ما قاله عبادة بن الصامت : « بايعنا رسول الله ﷺ بيعةَ الحربْ على السمع والطاعة فى عُسرنا ويُسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرةٍ علينا ، وألا ننازعَ الأمرَ أهله ، وأن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم »(٢) .

وقد أيد القرآن العظيم رأى السياسى الحكيم ، حين حاول أن ينتصر لأتباعه المظلومين :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾

[الحج : ٣٩ ــ ٤٠] .

---

(١) هادي : رسول يهديهم إلى الطريق المستقيم .   (٢) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٠٨ ــ المنشط : المحبوب عكس المكروه ــ أثرة علينا : نؤثرهم أو نفضلهم على أنفسنا .

النبىُّ الكريم ﷺ لم يكن رسولا هاديا فحسب ، وإنما هو أيضا مؤسس دولة ، وراعى أمة ، وقد بدأت هذه المرحلة بوضوح مع الانتقال إلى المدينة ، التى تعد العاصمة السياسية لأول دولة إسلامية بقيادة محمد ﷺ . وكان بعض صحابته المقربين بمثابة الوزراء والمستشارين فى كافة شئون تلك الدولة ، كما كان حكمه يقوم على مبدأ الشورى . وثمة سورة قرآنية تسمى « سورة الشورى » وهى سورة مكية رقمها (٤٢) ، وذلك يدل دلالة واضحة على أهمية مبدأ الشورى فى الإسلام :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) ﴾ [الشورى : ٣٨] .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

خامسًا : مرحلة القائد العسكرى المظفر ــ الذى يعرف كيف يُخطط معاركه ، ويحقق النصر لجنده . فقد انتصر جيشُ الرسول فى كل الغزوات . وما أصاب المسلمين من هزيمة فى « غزوة أحد » كان بسبب أنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ ، وشُغلوا بالغنائم قبل أن تنتهى المعركة .

كما أن ما حدث فى غزوة حنين كان بسبب دخول عدد كبير من الرجال حديثى عهد بالإسلام ضمن جيش المسلمين . وقد أدت هذه الكثرة إلى قدر من الغرور والاختيال وعدم الامتثال لأوامر القائد العظيم ﷺ .. ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦) ﴾ [التوبة : ٢٥ ــ ٢٦] .

كان الرسول ﷺ قائدًا مظفرًا من طراز فريد ، دفع جنوده من نصر إلى نصر، حتى نشر الرسالة وبلغ الأمانة . وقد انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وهو يجهز جيشا بقيادة الشاب الصغير أسامة بن زيد ــ كان مقدرًا أن يكون فيه أبو بكر وعمر وخالد بن الوليد وغيرهم جنودًا ــ لمحاربة الروم فى جنوب الشام .

وعبقريةُ الرسول ﷺ الحربية تعكس عنصرًا مهمًا من عناصر تكوين هذه الشخصية العظيمة فى كل مجال .. وفى كل مرحلة ، فقد كان محمد رجلاً واحداً ، لكنه استطاع أن يفتح قلوبَ العباد وحدودَ البلاد بكلمة التوحيد . وكيف يضل قائد يستلهم فكره من نبع القرآن العظيم ؟!. القرآن خُلق محمد ﷺ ودستوره .. ومعجزته الخالدة ــ كما سنوضح فيما بعد . وسورة محمد توضح بعض مبادئ الحرب والقتال ومنها :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ **[محمد : ٤ ــ ٧]**

وقد اشتملتْ « سورة الأنفال » بالإضافة إلى « سورة محمد » على كثير من مبادئ الحرب والجهاد والاستعداد للعدو ، وما ينبغى أن يكون بشأن الأسرى وتقسيم الغنائم ، ومن أهم هذه المبادئ :

١ــ ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ **[الأنفال : ٦٠]** .

٢ــ ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ **[الأنفال : ٦١]** .

٣ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

٤ ــ اختلف المسلمون فى شأن أسرى غزوة بدر ، وكان رأى الفاروق عمر ــ رضى الله عنه ــ فيهم القتل ، حتى يصيروا عبرةً لغيرهم ، وزجرًا لمن يحاول أن يتجرأ على قتال المسلمين .

لكن الرسول الرءوف الرحيم ﷺ ــ بما طُبع عليه قلبه من رحمة وشفقة ــ آثر عدم القتل وأخذ الفداء . وقد نزل القرآن مؤيدًا رأى عمر ومعاتبًا الرسول ﷺ فيما مال إليه : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٧ ــ ٦٩] .

* * *

سوف نحاول ــ بفضل من الله ــ أن نركز على المرحلتين الأخيرتين ، لأنهما تشكلان عنصرين مهمين فى هذه الفترة الأخيرة من حياته ﷺ التى هى محور هذا الفصل .

الواقع أن سيرة الرسول ﷺ رغم كل ما كتب فيها من منظور إسلامى أو عالمى .. ومن خلال منهج تاريخى أو تحليلى ــ لا تزال نبعا ثرًا لمن يدرسها فى أى مجال من مجالات هذه الشخصية الكاملة الفاضلة ــ شخصية محمد ﷺ عبد الله ورسوله .

إن أعظم جانب فى حياة الرسول .. هو جانب كونه إنسانًا بشرًا ، مثل كافة خلق الله ، وهو يقر بهذا المعنى الذى ورد فى آيات بينات كثيرة منها :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

[الإسراء : ٩٣].

فى تأكيد البشرية يكمن مفتاحُ العبقرية ، إذ استطاع هذا الرسول الإنسان ، الذى نشأ عائلاً ، يتيمًا ، لطيمًا ـ لا أب .. لا أم .. لا أخَ .. لا أخت ـ أن يكتب أنصع صفحة فى تاريخ البشرية ، هذه الصفحة لم تسجلها أقلام المؤرخين والمؤلفين، وإنما سُطرتْ فى صحفٍ مُطهرة ـ فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون .

القائد المظفر

وصل الرسول ﷺ إلى يثرب ـ التى سيتغير اسمها بعد ذلك إلى المدينة المنورة ـ بصحبة صديقه ووزيره الأول وخليفته فيما بعد أبى بكر الصديق ، وفى نيته أن يؤسس دولة لخير أمة . وحتى يتحقق له ما يريد ، بدأ خطوةً ضرورية .. وهى **المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين** ، **وعقد معاهدة مع اليهود** ، تضمن لأصحاب كل شريعة حرية العقيدة ـ شريطة ألا يخون أى منهم الآخر .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤][1] .

نظم الرسول ﷺ مجتمع المدينة ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، ودوَّن معاهدة لحفظ الحقوق بين المسلمين واليهود ، وبنى لنفسه بيتًا ، وللمسلمين مسجدا يعبدون الله فيه جهرةً ، يدعوهم فى كل فرض صوتُ بلال ـ أول مؤذن فى الإسلام . ومع بداية عهد الاستقرار والراحة تزوج الرسول ﷺ من السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ، التى ستكون أحبَّ أزواجه إليه بعد خديجة ـ رحمهما الله رحمة واسعة .

هكذا استقرتْ حياةُ الرسول ﷺ والمسلمين ـ فى يثرب ـ وكان ذلك وعدا من الله الذى لا يُخلف وعده . وهذا ما تنص عليه الآية الكريمة :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

---

(١) كلمة سواء : كلام عدل لا تختلف فيه الشرائع ـ أرباب : ج رب .. إله .

أقام الرسول فى مكة ثلاثَ عشرة سنة .. وفى المدينة عشــرَ ســنوات ، لكــن الأحداث والوقائع فى المدينة كانت أكثر وأعقد وأصعب ، لأن المرحلة المدنية تعــد مرحلة تأسيس الدولة وتطبيق مبادئ الإسلام ، حتى ينتشر ضوء الرسالة إلى الخلق أجمعين فى مشارق الأرض ومغاربها ، من تلك المدينة المنــورة بنــور الإســلام وبركة الرسول .

فى المدينة بدأ يبرز جانب عظيم من جوانب شخصية الرسول ﷺ وهو جــانب القائد المظفر الذى يعرف كيف ومتى وأين يخوض المعارك : انتصـــارا للديــن ، وتثبيتا لأركان الدولة ، وتخويفا للأعداء والمنافقين .

الغزوات .. وأسباب النصر

بعد شهور قليلة لا تتجاوز الستة من الإقامة فى يثرب ، أخذ الرسول ﷺ يبعــثُ مجموعة من السرايا الحربية[1] ، تستطلع أخبار قوافل قريش التجارية التى تأتى من الشام ، وتمر فى طريق عودتها إلى مكة على يثرب ، ومن أهم هذه السرايا :

١ ــ سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب .

٢ ــ سرية حمزة بن عبد المطلب .

٣ ــ سرية سعد بن أبى وقاص .

٤ ــ سرية عبد الله بن جحش .

كانت هذه السرايا تهدف إلى محاربة قريش التى طردت المسلمين بغير الحــق ، واستولت على أموالهم وديارهم . ومن جانب آخر غير مباشر كانت تــهدف إلــى إخافة اليهود والمنافقين ، الذين بدءوا يثيرون بعض الفتن والقلاقل ضــد الرســول والمسلمين . أخيرًا فإن هذه السرايا كانت إعدادًا لجيش الإســلام حتــى يقــود أول

---

(١) السرايا : جمع سرية : وهى مجموعة صغيرة من الجنود . ولا يــزال هــذا المصطلــح العســكرى مستخدما حتى اليوم .

حرب مظفرة له ، وهى **غزوة بدر الكبرى** ، التى حدثت فى يوم ١٧ من رمضان فى السنة الثانية من هجرته الشريفة ﷺ إلى يثرب .

بدأ القائد ينظم جنده من المهاجرين والأنصار ، ويذكرهم بما وعد ربهم : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [الأنفال:٧ــ١٠].

وقد تعاهد الأنصار والمهاجرون على نصرة الله ورسوله ، وحين استشارهم الرسول ﷺ فى أمر الحرب .. قام المقداد بن عامر ــ رضى الله عنه فقال : « يا رسول الله امضِ لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك ما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : «اذهبْ أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرتَ بنا برك الغماد ، لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه»(١) .

والمقداد بن الأسود (ت ٣٣ هــ)(٢) واحد من الفرسان الأبطال الذين تخرجوا فى إطار عبقرية مدرسة محمد ﷺ الحربية . وهو فى هذا المجال الحربى يشبه : حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن جحش ، والزبير بن العوام ، وسعد بن معاذ ، وطلحة بن عبيد الله بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وزيد بن حارثة(٣)، وابنه أسامة ، والحباب بن المنذر ، وعبد الله بن رواحة ،

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٠٢ .
برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر .

(٢) المقداد بن الأسود : صحابى من السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام من الفرسان ، وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله . وفى حديث شريف : « إن الله عز وجل أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم ، على ، والمقداد ، وأبو ذر ، وسلمان» . وقد سكن فى المدينة وتوفى بالقرب منها سنة ٣٣ هــ = ٦٥٣ م .

(٣) زيد بن حارثة : كان عبدًا عند السيدة خديجة ، فاستوهبها الرسول إياه ، ثم أعتقه وتبناه ــ قبل البعثة ، لوفاة أبنائه الذكور .

وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وجعفر بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص.. وغيرهم الكثيرون .

هؤلاء الأبطال ــ وغيرهم ــ فتعلموا فى مدرسة محمد الحربية ، وتتلمذوا على يديه الكريمتين ، حتى صارت بطولاتهم مضرب الأمثال .

ومع أن أىَّ قائد من حقه أن يأمر فيطاع ، لكن الرسول الكريم ﷺ كان قائدا رحبَ الصدر ، يعتمد على الشورى فى اتخاذ القرار الحربى ــ وغير الحربى .

إن جيش المسلمين عندما توجه لانتظار قافلة قريش ، ونزل عند أدنى ماء بدر.. «قال له الحباب بن المنذر الأنصارى[1]، وكان مشهوراً بجودة الرأى : يا رسول الله أهذا منزلٌ أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمَ عنه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحربُ والرأى والمكيدة . فقال : يا رسول الله : ليس لك هذا بمنزل ، فانهضْ بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فإنى أعرف غزارة مائه وكثرته ، فننزله ونغور ما عداه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ملء ، فنشرب ولا يشربون .

فقال الرسول عليه السلام : لقد أشرت بالرأى[2]» .

ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس : يا نبى الله ألا نبنى لك عريشاً ، تكون فيه ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله تعالى وأظهرنا[3] على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد حبًا منهم ، ولا أطوع لك . ورأينا منهم رغبة فى الجهاد ونية ، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، إنما ظنوا أنها العير ، يمنعك الله بهم ، ويناصحونك ويجاهدون معك . فقال عليه الصلاة والسلام: أو يقضى الله خيرًا من ذلك ؟!

---

(١) الحباب بن المنذر : صحابي من الفرسان الشعراء . قال الثعالبي هو صاحب المشورة يوم بدر ، أخذ النبي ﷺ برأيه ، وكانت له فى الجاهلية آراء مشهورة . مات فى خلافة عمر سنة ٢٠ هـ ــ ٦٤٠ م .

(٢) بالرأى : بالرأي الصواب ، وكان تنفيذ رأيه من أهم أسباب النصر ــ نغوّر : نهدم .

(٣) أظهرنا : نصرنا .

ثم بُنى للرسول عريشًا فوق تل مُشرف على ميدان الحرب ، ولما اجتمعوا[1] .. عدل عليه الصلاة والسلام صفوفهم ، [وجعل] مناكبهم متلاصقة ، فصاروا كأنهم بنيان مرصوص . ثم نظر إلى السماء ، وقال :

اللهم هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك[2] .. وتكذبُ رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى به »[3] .

كذلك فإن الرسول ﷺ فى غزوة الأحزاب بنى (خندقًا) فى الجهة الشمالية من المدينة المنورة ، وكانت تلك الجهة هى الجهة الوحيدة المكشوفة للأعداء . وقد تمَّ حفر هذا الخندق بمشورة سلمان الفارسى .

وعلى هذا فقد كان الرسول القائد ﷺ يحسن التخطيط لمعاركه ، ويستشير أصحابه فى أساليب الكر والفر ، ويشرفُ بنفسه على إعداد الجيش قبل أن يدخل المعركة .

بالإضافة إلى ذلك قام بدور مهم جدا اهتم به الفكر العسكرى فى العصر الحديث، وعُنى به عناية فائقة ـــ **وهو الحرب النفسية ورفع الروح المعنوية** للجنود، لأن السلامة النفسية أساسُ نجاح البشر فى السلم وانتصارهم فى الحرب .

حين التقى الجمعان فى أثناء غزوة بدر ترك الرسول العريشَ الذى كان يحتمى فيه ، ونزل إلى صفوف الجنود يحرضهم ، ويقوى إيمانهم ويشجعهم على القتال قائلاً : والذى نفسُ محمد بيده لا يقاتلهم اليومَ رجل ، فيُقتل صابرًا محتسبًا ، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنةَ .

فقال عمير بن الحمام ـــ أخو بنى سلمة ـــ وفى يده تمرات يأكلهن : بخٍ بخٍ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء . ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل ..!!

---

(١) اجتمعوا : تجمعوا استعدادا للحرب . (٢) تحادك : تتحداك وتعاندك .
(٣) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حِفنةً من الحصباء ، فاستقبل قريشًا بها ، وقال : «شاهت الوجوه . ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا . فكانت الهزيمة . فقتل من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم »[١] .

إن ما حدث من الرسول فى غزوة بدر ﷺ مثال لعبقريته الحربية فى المعارك، التى خاضوها بأمر القائد العظيم محمد ﷺ ، الذى كان يقف فى طليعة رجاله حين تحتدم نار الحرب ، ويهاب شواظها من لا يهاب ، وكان على فارس من الفرسان أن يقول فى حقه : «كنا إذا حمى البأسُ اتقينا برسول الله ﷺ .. فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه»[٢] .

يدخل فى إطار الحرب النفسية التى عُنى بها الرسول ﷺ فى أثناء معاركه الحربية والمعنوية مع الكفار واليهود ــ توظيفُ الشعر باعتباره سلاحًا مؤثرًا وسيفًا بتارًا فى حياة القبائل العربية ، ولا يعنينا ذكر شعراء معسكر الأعداء ، وإنما يعنينا ذكر أهم شعراء الرسول ﷺ .. وهم : حسان بن ثابت الخزرجى ، وعبد الله بن رواحة الفارس الشاعر الذى أبلى بلاءً حسنًا فى الجهاد فى سبيل الله ، حتى قتل فى غزوة مُؤتة فى السنة الثامنة من الهجرة ، وكعب بن مالك . وقد اشتعلت المعارك الشعرية بين شعراء المسلمين وشعراء الكفار فى الوقت الذى دارت فيه رحى الحرب بينهم ، إذ يروى أن الأنصار قالوا « ما يمنع القومَ الذين نصروا رسولَ الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟

فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، ثم قال : والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء »[٣] .

وقد أذن الرسول ﷺ لشعرائه أن يهجوا الكافرين وشعرائهم ، الذين كانوا يصدون عن سبيل الله ، ويهجون الرسول ﷺ والذين آمنوا معه ، من ذلك ما قاله

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٤٧ ــ صناديد : فرسان .
(٢) عباس العقاد : عبقرية محمد ، ص ٥١ ــ البأس : الحرب ــ اتقينا : احتمينا .
(٣) د. شوقى ضيف : العصر الإسلامى ، ص ٤٧ .

حسان فى رده على هجاء أبى سفيان بن الحارث :

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه   وعندَ اللهِ فى ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ   فشرُّكما لخيرِ كما الفِداءُ
فإن أبي ووالده وعِرْضي   لعرض محمدٍ منكم وِقاء

ومما قاله أيضا عبد الله بن رواحة فى معرض الدفاع عن الرسول ﷺ[1] :

نجالدُ الناسَ عن عَرَضٍ فنأسرُهم   فينا النبيُّ وفينا تنزلُ السورُ
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا   حيٌّ من الناسِ إنْ عزوا وإن كثروا
يا هاشمَ الخيْرِ إن اللهَ فضلكم   علي البريةِ فضلاً ما له غِيرُ
فثبَّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ   تثبيتَ موسى ونصرًا كالذي نُصروا

وكان بعضُ المسلمين يرتجل فى المعارك مقطوعاتٍ من الرجز ، يحدو بها ، ويكررها بعض الجنود المسلمين خلفه من أجل إثارة روح الحماسة فى نفوس المجاهدين ، من ذلك هذا الرجز الذى ينسب إلى عامر بن الأكوع :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتديْنا   ولا تصدقنا ولا صلّينا
فاغفرْ فداءً لك ما اتقيْنا   وثبتِ الأقدامَ إنْ لاقيْنا
وألقيْن سكينةً علينا   إنا إذا صيح بنا أبيْنا
وبالصياحِ عَوّلوا علينا[2] ،

الحديث عن توظيف الرسول ﷺ للشعر فى معاركه الحربية باعتباره سلاحا ماضيًا من أسلحة النصر ، يحتاج إلى وَقفةٍ خاصة – ليس هنا مجالها – وإنما حسبنا أن نشير إلى اهتمامه ﷺ بكل ما يُمكن أن يحقق النصرَ لجنوده فى الحرب .

---

(١) إبراهيم العلى : صحيح السيرة النبوية، ط . دار النفائس – الأردن ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥، ص ٣٣٩.
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ – الصياح : طلب النجدة والمساعدة .

نحيل من يريد أن يقرأ الكثير عن غزوات الرسول ﷺ ودوره البطولى فيها إلى مجموعة الكتب المهمة ، لأننا لا نعنى بالأحداث التاريخية ، وإنما نعنى فى المقام الأول باستشفاف مغزى المواقف والأحداث فى ضوء آيات القرآن الكريم . إنه لا اجتهاد مع النصّ ، والقرآن هو الدستور الذى نسير فى ضوء هديه ، وندرس فى إطار نهجه ، وما نقدمه ليس إلا اجتهاداً متواضعًا ، لنبين أهم أحداث سيرة الرسول ﷺ فى ضوء آيات الذكر الحكيم ، وهذه الكتب هى :

١ ــ سيرة سيدنا محمد رسول الله : المعروفة بسيرة ابن هشام .

٢ ــ تهذيب سيرة ابن هشام : عبد السلام هارون .

٣ ــ تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ــ ج ١ ، ٢ .

٤ ــ البداية والنهاية فى التاريخ : ابن كثير الدمشقى .

٥ ــ فجر الإسلام : أحمد أمين .

٦ ــ حياة محمد ﷺ : محمد حسين هيكل .

٧ ــ عبقرية محمد : عباس محمود العقاد .

٨ ــ نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين : محمد الخضرى .

٩ ــ الإشارة إلى سيرة المصطفى : الحافظ مغلطاى بن قليج .

١٠ ــ صحيح السيرة النبوية : إبراهيم العلى .

١١ ــ الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفورى .

* * *

نجحتْ خطةُ القائد العظيم ﷺ من وراء الغزوات كلها : وقد دانت قرى الحجاز، وخضعت صحراء نجد لجيش الرسول ﷺ وسياسته العسكرية الحكيمة . وقبل أن ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى بدأ يحاول استكمال مسيرة الغزوات من أجل نشر الرسالة خارج حدود شبه الجزيرة . فرسالة الإسلام لم يَخص بها الله سبحانه وتعالى العربَ وحدهم ، وإنما هى رسالة للبشر كافة . تلك هى الدلالة الناصعة لغزوه مؤتة ، التى استشهد فيها ابنه بالتبنى زيد بن حارثة ، لذلك فكر الرسول

القائد ﷺ فيأن يرسل حملة جديدة لحماية الدولة الوليدة بقيادة أسامة بن زيد — رغم كونه شابًا صغيرًا فى حدود العشرين من عمره .

هكذا كانت المدينة المنورة .. نقطةَ الانطلاق الكبرى ، التى فتحت البابَ لنشر الدعوة فى العالم كله . وبعد وفاته ﷺ بسنوات معدودات تصل رسالة الإسلام إلى حدود الصين شرقًا .. وإلى حدود روسيا وفرنسا شمالاً .. وإلى حدود المغرب والأندلس غربًا .. وإلى حدود وسط إفريقيا .. وجزر أندونسيا والملايو والفلبين جنوبًا .

والقرآن الكريم يشيد — فى آيات كثيرة — بدور المهاجرين وأهل المدينة فى نشر رسالة الإسلام، ويبشر بما أعده الله سبحانه لهم من ثواب عظيم :
﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] [1] .

فى آية أخرى من السورة نفسها يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة : ١١٧].

ثمة آيات أخرى تؤكد هذه الدلالة ، ومنها — أيضا — قوله جل من قائل :
﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٠ — ١٢١] .

---

(١) العسرة : الشدة — يزيغ : يميل إلى التخلف عن الجهاد .

وقد بشر القائد المظفر أتباعه وجنوده فى أكثر من مناسبة بأنهم سوف يفتحـــون مشارق الأرض ومغاربها . روى مسلم أن النبى ﷺ قـــال : « إن الله زوى لـــى الأرض فرأيتُ مشارقَها ومغاربها ، وسيبلغ مُلك أمتى ما زوى لى منها »[1] .

نختم حديثنا فى هذا المجال الخاص بالجانب العسكرى فى شخصية الرسول ﷺ بقولنا : كان رسول الله ﷺ نبيًّا هاديًا بشيرًا نذيرًا فـــى المقـــام الأول ، والجـــانب العسكرى يأتى فى درجة تالية ، لأن الحرب فى شريعة الإسلام السمحة ليستْ غايةً فى حد ذاتها ، وإنما هى رد فعل للعـــدوان ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

يرى العقاد فى معرض حديثه عن « عبقرية محمد العسكرية » : « أن محمـــدًا ﷺ قائد بغير نظير .. وأنه عندما تنعقد المقارنة بين المعارك القديمـــة والمعـــارك العصرية ، ينبغى أن ننظر إلى فكرة القائد قبل أن ننظر إلى ظواهـــر المعـــارك أو إلى أشكالها وأحجامها .. وهذه الفكرة هى التى ترينا محمدًا عليه السلام قائدًا حربيًا بين أهل زمانه بغير نظير فى رأيه ، وفى الانتفاع بمشورة صحبه ، وتـــبرز لنـــا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة فى توجيه كل ما يتوجب على يـــدى قـــائد قوى الرأى والسلاح والكلام»[2] .

لقد كان محمدًا قائدًا فردًا فريدًا ، لكنه قاد أمة بأسرها إلى نشر رسالة التوحيـــد ، وإلى النصر على الأعداء ..!!

لم يتعلم محمد فى أية مدرسة عسكرية .. لكنه كـــان أفضـــل القـــادة وأعظـــم الأبطال، وأعطاه الإيمان قوةً لم تؤتَ لغيره من البشر ؛ من هنـــا فـــإن الإســـلام الحنيف إذا كان قد شرع الجهاد وأوجبه فرضَ عين ، لدرجة أن بعض الفقهاء يعـــده الركن السادس من أركان الإسلام ــ فقد صار من المحتم أن يكون الرســـول إمـــامَ المجاهدين فى سبيل الله . يقول ﷺ :

---

(١) زوى : طوى ، عرض .

(٢) عبقرية محمد : ص ٥٠ .

« أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

هذا الأمر بالجهاد قد جاءه من لدن حكيم عليم مخاطبًا إياه :

﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء : ٨٤][1] .

هكذا استطاع القائد الملهم ﷺ أن يوحد شبه الجزيرة العربية ـ لأول مرة في التاريخ ، كما استطاع أن يجعل من هؤلاء البدو المتخلفين طلائعَ الجنود الفاتحين لنشر رسالة رب العالمين في مشارق الأرض ومغاربها .

تلك كانتْ لمحة سريعةٌ عن عبقرية الرسول الحربية ، الذى حارب لنشر راية التوحيد ـ لا من أجل مصالح مادية ، وإنما من أجل نشر رسالة سامية ، هي الدعوة إلى الإيمان بربّ العالمين ، لذلك نصره الله ، وأيده بروحٍ من عنده في كل معاركه .. وغزواته .

---

(١) بأسا : قوة وشدة ـ تنكيلا ـ تعذيبا وعقابا .

مؤسس الدولة لخير أمة

نود أن ننتقل إلى مجال آخر من مجالات عبقرية الرسول ﷺ .. وهو الخاص بالجانب السياسى ، فقد كان المصطفى المختار ﷺ «**رجل دولة**» بالمصطلح المتداول المعروف فى الفكر السياسى المعاصر . وفى كل مواقفه حتى ما كان منها قبل بعثته الشريفة يصدر عن حنكة إنسان لبيب ، وحكمة سياسى أريب . فحين تنازعت القبائل فى أيها أحق بوضع الحجر الأسعد مكانه فى جدار الكعبة ، قال قائلهم : « يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمينُ ، رضينا [بحكمه] ، هذا محمد .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال ﷺ : هلم إلى ثوبا ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيديه ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعًا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه ، وضعه هو بيديه ، ثم بنى عليه »(١) .

حدث هذا الموقفُ ــ الذى يدل على قدر عالٍ من السياسة والكياسة والفطنة والحكمة ــ قبل البعثة بخمس سنوات ، ولولا هذه السياسة الحكيمة لتجاوز الأمرُ مسألة الخلاف بين قبائل قريش إلى القتال والعداء .. وربما إلى تأخير بناء الكعبة . لكن سياسة محمد ﷺ الرشيدة قبل أن يُبعث هى التى أطفأتْ نار الفتنة بين القبائل القرشية .

ثمة موقف آخر من مواقفه العظيمة ــ بعد الإسلام ــ يؤكد مدى حِكمة الرسول ﷺ وحسن معاملته لأصحابه ، متبعا فى ذلك « مبدأ الشورى » .. و.. «سياسة العدل والمساواة » ، حتى فى أهون الأمور وأبسطها .

« روى أنه كان ﷺ فى سفر مع بعض أصحابه ، ولما حل موعدُ الطعام فكروا فى طهى شاة ، « فقال رجل : يا رسول الله علىَّ ذبْحُها . قال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال عليه السلام : وعلىَّ جمعُ الحطب .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٤٧ .

فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل .

قال : علمتُ أنكم تكفونني ، ولكنّي أكره أن أتميز عليكم ، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه »[1] .

بمثل تلك المواقف الحكيمة تتبدى حنكةُ الرسول القائد ، وسعةُ صدر السياسي الحاكم ، الذي نادى بالشورى والعدالة والمساواة قبل أن تنادي بها أية حضارة في العصور القديمة والحديثة ، فكثيرًا ما قال وأكد :

« **لا يحسن إسلامُ المرء ، حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه** » .

« مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعتْ له سائرُ الأعضاء بالسهر والحمي » .

كان الرسول نعم القائد المظفر والحاكم العادل ، وفي هذا يقول شوقي[2] :

فرسمتَ بعدك للعباد حكومةً	لا سوقةٌ فيها ولا أمراءُ
الله فوقَ الخلق فيها وحدَه	والناسُ تحت لوائها أكْفاءُ
الدينُ يسرٌ ، والخلافةُ بيعةٌ	والأمرُ شورى ، والحقوقُ قضاءُ
الاشتراكيون أنتَ إمامُهم	لولا دعاوي القومِ والغُلواءُ

كيف لا يكون النبي محمد قائدًا عبقريًا وحاكمًا عادلاً ، وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وآتاه من لدنه حلمًا وفضلاً ، وعلمه الحكمة وفصل الخطاب ، لذلك كان يأمره خالقه ومؤدبه بأن يعفُو عمن ظلمه ، وأن يدعو إلى عمل المعروف ، ويبتعد عن مخالطة الجاهلين والسفهاء :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

---

(١) العقاد : عبقرية محمد ، ص ٩١ .

(٢) أحمد شوقي : الشوقيات ، ج ١ ، ص ٢٧ ــ حكومة : نظامًا للحكم ــ سوقة : عامة الناس ــ أكفاء : متساوون ــ بيعة : انتخاب ــ الأمر شورى : الحكم بالتشاور والتحاور ــ الحقوق قضاء : الحق يؤخذ عن طريق القضاء والمحاكم ــ إمام : قائد ــ الغلواء : التطرف والمبالغة .

وفى سياق آخر يأتيه الأمر الإلهى الكريم بالعدل بين النـــاس : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا ۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى : ١٥] .

فالله سبحانه يأمر رسوله الكريم بالاستقامة وألا يتبع الـــهوى وأن يعـدل بيــن الناس، لأن الله الذى أنزل الكتاب بالحق ووضع الميزان لقياس الأعمال بـــالعدل ، سوف يجمع بين الخلق ، لأن مصيرهم جميعًا إليه ، وهو العادل يحكم بينهم فيمـــا كانوا فيه يختلفون . حقًا .. إن هدى الله هو الهدى .. ومن يهدِ الله فلا مضلٌ لـــه ، لذلك كان الرسول ﷺ مهديا إلى طريق الحق وسبيل العدل بـــأمر كريـــم مـــن الله العظيم ، الذى خصَّ رسوله بأن يكون خاتمَ الرسل أجمعين ، وأن تكـــون رســالته للناس كافة ؛ ومن ثم كانت **شخصيته نموذجا للإنسان الكامل** الذى هداه ربه إلـــى صراط مستقيم ، لذلك كان الخالق يدعوه إلى العفو والمغفرة والحكمـــة والرحمـــة والشورى والتقوى ، حتى يؤلف بين أتباعه ، ويجمعهم حول راية « لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله » :

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡرِ ۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

لقد كان الرسول ﷺ بشرًا ، لكنه بشر .. لا ينطقُ عن هوى ، ولا يصـــدرُ إلا عن وحْيٍ يوحى : ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء : ٤٧] .

معنى ذلك أن الرسول ﷺ كان أمينا صادقًا .. وحاكما عادلاً ، يبلغ ما أمر به ، كما أن الله سبحانه وتعالى كان يعصمه من الزلل ، ويحميه من شر الناس فى كـــل ما مرَّ به من مواقف دينية أو سياسية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

ومع أن النبى ﷺ رسول رب العالمين فإنه إنسان معرض لكل ما يتعرض له البشر ، عليه ما حُمّل وعلى غيره من الناس ما حملوا ، لذلك يأمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعته ، لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور : ٥٤][(١)] .

الحكمة فى اتخاذ القرار السياسى

ذكرنا من قبل أن شخصية الرسول ﷺ منذ أقامتْ فى مدينته المنورة — فى السنة الأولى من هجرته الشريفة (٦٢٣م) — بدأت تأخذ أبعادًا مختلفة وأدوارا متعددة ، منها على سبيل المثال .. لا الحصر :

- **النبي الهادي .**
- **القائد العسكري .**
- **الحاكم السياسي .**
- **المخطط الإداري للدولة .**
- **المشرِّعُ للمجتمع الجديد .**
- **الإنسان الصادق البار .**
- **الزوج .. والأب .**

لقد كان الرسول ﷺ عظيمًا فى كل أمرٍ ، فاضلاً فى كل مجال ، إنه نموذجٌ رفيع للإنسان الكامل .. والحاكم العادل : فقد كان أشجع الناس ، يقول على بن أبى طالب — رضى الله عنه : « كنا إذا حمى البأس ، ولقى القومُ القومَ ، اتقينا به » . وكان أسخى الناس : « ما سئل شيئًا قط فقال : لا » . وكان أحلم الناس : وعندما

(١) حمل : كلِّف به من تبليغ الرسالة — حُملتم : كلفتم به من الاستجابة والطاعة للرسول — البلاغ المبين: التبليغ والتوصيل الواضح لما أراد الله .

سُئل أن يدعو على قوم من الكفار رفض ، وقال : « إنما بُعثتُ رحمةً ، ولم أبعث عذابا » .

كان ﷺ : « أشد حياءً من العذراء فى خدرها ، لا يثبت بصره فى وجه أحد ». وكان لا يحقر فقيرًا لفقره ، ولا يهاب ملكًا لملكه ، ويكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ولا يستنكف أن يمشى مع الأرملة والعبد » . إنسان عظيم مثل النبي الكريم ـ أفضل الناس حسبًا وأشرفهم نسبًا ـ يصعبُ على أى باحث أن يحيط خبرا بكل جوانب عبقريته ، وعناصر تكوين شخصيته ، لأنها شخصية أفضل خلق الله وأشرفهم عند الله . وقد أعطاه الله منزلة رفيعةً ودرجة محمودة ، يصعب على أى دارس أن يُحصى ثناءً عليه ، وأن يعرف كل أفضاله وأعماله .

يا رب أحسنتَ بدءَ المسلمين به فتمم الفضلَ وامنحْ حُسنَ مُختتمِ

* * *

وسوف نختار بعض الأمثلة ـ التى أدارها النبي ﷺ بحكمة القائد السياسى الملهم ، وعظمة الحاكم الرحيم ذى الأفق البعيد والصدر الرحيب ، ليضع اللبنات الأولى فى تأسيس دولة الإسلام والتمهيد لقيام حضارته السامية النقية ، التى توازن بين مطالب الجسد والروح ، وبين سعادة الدنيا والآخرة . أكثر من هذا تهدف إلى نشر السلام بين شعوب العالم ، حيث لا فضلَ لعربىّ على عجمي إلا بالتقوى ، ومن يرد الله به خيرًا يشرح صدره للإيمان ، ومن ثمَّ يأتى النداء كثيرا فى القرآن الكريم موجهًا إلى الناس كافة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

الموقف من اليهود

أدرك النبي ﷺ أن مجتمع يثرب لن يكون بيئة صالحة لدولة جديدة ، ما لم تتم المؤاخاة بين المهاجرين من مكة والأنصار من يثرب ، كذلك ينبغى أن يقيم معاهدة صُلح واتفاقية حسن جوار مع الجماعات اليهودية ، حتى يقيم بناء دولة الإسلام الوليدة الجديدة على وحدة ، تضمن الاستمرار ، وتحالفٍ يؤكد الاستقرار ، خاصة بالنسبة لليهود الذين كانوا يشكلون جالية كبيرة ، ولهم مصالح مادية كثيرة ؛ من أجل هذا أخذ منهم العهد . ومما ورد فى صحيفة المعاهدة :

« إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسَه وأهل بيته .. وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم . وإن الله على أبر هذا [شاهدًا][2] .

وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وإن يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة . وإن الجار كالنفس غير مضارٍ ولا آثم . ولا تُجار حرمةٌ إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ . وإن الله على ما أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره .

وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم[3] يثرب . وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه . وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حاربَ فى الدين . على كل أناس

---

(١) يوتغ : يهلك . (٢) الله شاهد على صدق هذا العهد .
(٣) دهم : هاجم .

حصنتهم من جانبهم الذى قبلهم . وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل [هذه] الصحيفة . وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه . وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره [شاهد]، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم . وإن الله جار لمن برَّ واتقى ، و[إن] محمدًا رسول الله»[1] .

هذه المعاهدة فى نصها الكامل ــ كما أوردها ابن هشام وغيره من كتاب السيرة النبوية ــ فى حاجة إلى ضليع من علماء القانون الدولى ، ليكشف عن مدى قدرة محمد ﷺ على الصياغة الماهرة المحكمة لبنودها ــ رغم أنه لم يسبق له القيامُ بمثل هذا العمل إلا فى بيعة العقبة الثانية قبل أن يهاجر إلى يثرب بفترة قليلة .

وقد أفاد الرسول من هذه المعاهدة عدة أمور مهمة منها : أنه انتزع من اليهود ــ وهم ألد خصومه عداوة فى يثرب ــ اعترافا صريحا بالدين الجديد : « لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم» . كما أخذ منهم العهد والميثاق على عدم الخيانة .. وأن زمام الحكم فى المدينة بيده وحده : « وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ»، وأنه إذا هُوجمت المدينة فيجب عليهم الدفاع عنها مع المسلمين .. وإن اليهود ينفقون [يسهمون فى تكاليف الحرب] مع المؤمنين ما داموا محاربين » .

كذلك فإنه ألزمهم بعدم إجارة قريش ونصرتها ، لأن قريشًا كانت تمثل العدو الأول والأكبر للرسول والمسلمين . كما أن هذه المعاهدة تؤكد بُعد نظرِ الرسول فى ضرورة إبرام هذه المعاهدة معهم ، حتى يؤاخذهم إن خرجوا عليها ، فهنا يكون قد أعذر من أنذر ..!!

رغم شروط المعاهدة الواضحة المحكمة فإن اليهود ــ كعهدهم أبدا ــ خانوا العهد ، ونقضوا الصلح عن طريق الغدر والنفاق وإثارة الفتن والشقاق . وسورة البقرة وهى أول ما نزل من القرآن فى المدينة تدور معظم معانيها الكريمة حول

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٢٦ .

تحذير الرسول والمسلمين من اليهود ومن المنافقين ، لأن النفاق وسوء الأخلاق صفة أصيلة فيهم بنص القرآن الكريم :

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] [(١)] .

لم يكف اليهود عن إثارة الفتن والقلاقل ، بل إنهم تحالفوا مع قريش ـ سرا ـ ضد المسلمين خاصة فى غزوة الخندق ، التى تسمى أيضا غزوة الأحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة . كما نقضوا عهدهم مع النبى والمسلمين فى غزوة بنى قريظة فى السنة نفسها . وحين نصر الله رسوله والمؤمنين على اليهود ، قال لهم الرسول ﷺ :

« ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم ؟

ـ قالوا : بلى .

ـ قال الرسول ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ .

قال سعد : فإنى أحكم فيهم : أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »[(٢)] .

ما حدث لليهود كان برأى أحد حلفائهم السابقين . وقد أحسن الرسول ﷺ صنعا بطرد اليهود من المدينة إلى خيبر ، وتلك كانت توطئة لطرد عمر بن الخطاب إياهم من الجزيرة العربية كلها ، فتطهرت الأرض المقدسة من دنسهم إلى الأبد .

الرسول ﷺ لم يظلم اليهود ، لكنهم هم الذين كانوا ـ ولا يزالون ـ أنفسهم يظلمون . وهذا الطرد من المدينة يقره الله ورسوله ، لأنه جزاء وفاقا لسوء

---

(١) البر : الخير والطاعة ـ تتلون الكتاب : تقرأون التوراة .

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٨ ـ ٢٠٧ ـ أرقعة : سماوات .

أعمالهم: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٦٠ ـ ٦٢][1] .

على أى أساس إذن يعاتبُ بعضُ المستشرقين الرسول ﷺ على موقفه من حلفائهم اليهود ؟! **إن طردَ اليهود لم يكن من أجل كفرهم ، وإنما هو طردٌ سياسى، والذى حكم به واحد من حلفائهم السابقين .. فبأى منطق على الله ورسوله يكذبون؟! إن الرسول فى هذا الموقف كان سياسيا بعيد النظر حاسم القرار ، لأن اليهود مشغولون ـ دوما ـ بإثارة الفتن ضد كل من عاداهم من المسلمين والمسيحيين وغيرهم .**

إنهم يتوهمون أنهم شعب الله المختار . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا زورا وبهتانا عظيما . كما أنهم ـ من فرط تبجحهم لا يكذبون على الرسل والأنبياء والبشر فحسب ، بل يكذبون على الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة : ٨٠] .

---

(١) المرجفون : المشيعون للأخبار الكاذبة ـ لنغرينك بهم : لنسلطك عليهم ـ ثقفوا : وجدوا .

صلح الحديبية :

يوم خرج النبي ﷺ مهاجرا من مكة إلى يثرب ، نظر إليها نظرة حنين وحزن ــ وما أصعب أن يجتمع الحنين والحزن على قلب رجل رؤوف رحيم مثل محمد ﷺ ــ واغرورقتْ عيناه الكريمتان بالدموع .. وهو يناجي بلده الأمين :

« **والله إنك أحبُّ بلاد الله إليّ ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجتُ** » .

كيف ينسى المصطفى مكة وفيها المسجد الحرام أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض ، وجعله الله مثابةً للناس وأمنا ؟! وفيها أيضا مسقط رأسه الكريم ومواطن ذكرياته الأولى .

كم منزلٍ فى الأرضِ يألفُه الفتى وحنينُه أبدًا لأول منزلِ

وفيها أيضًا رفاتُ خديجة الودود الولود ، وأبنائه ، وعمه أبى طالب ، وجده عبد المطلب ، وبها غار حراء ، الذى كان يتبتل فيه أناء الليل وأطراف النهار ، ونزل عليه فيه جبريل أمين الله بآية من ربه الرحمن الرحيم ، تؤكد أن القرآن الكريم ــ آخر الكتب المنزلة ــ أوحى به الله إلى خاتم رسله وأشرف خلقه ، ليكون دستورا خالدا لخير أمة أخرجت للناس .

فى مكة المكرمة كذلك صدع المدثّر ، ينذر عشيرته وقومه إلى عبادة الحى القيوم ، وترك عبادة أصنام لا تحس ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ، وفيها تعرض للأذى والموت ، وهو يدعو إلى عبادة الله ، حتى وهو فى صحن الكعبة ــ نادى قريش ومقر عبادتهم آنذاك .

مَن مكة أيضا جاء معه المهاجرون السابقون إلى الإسلام .. ولا يزال فيها المشركون الذين عذبوه وآذوه وفكروا فى قتله وصد من آمن معه . لكنه على الرغم من ذلك كله لم يغضب قلبه الرحيم عليهم ، بل كان دائما يدعو لهم بالهداية والإيمان :

« **اللهم اهد قومى ، فإنهم لا يعلمون ..!!**» .

كما أنه كان يأمل أيضا أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويصدق رسـوله ، وتلك حقا رؤية النبي الإنسان ..!!

خرج الهادي الأمين من مكة المكرمة ، لكنه لم ينسها ولم تغب عـن خلده .. وظل الحنين يراوده إليها عاما بعد عام ، بل يوما بعد يـوم ، لأنـه يـدرك أنـها العاصمة المقدسة لأمته ، وأنها ــ نتيجة لهذا ــ لا بد أن تتطهر من دنس الجاهليـة ورجس الوثنية ، كما أن الحج أصبح ركنا من أركان الإسلام فى السنة السادسة من الهجرة زمن الحديبية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ولا ريب فى أن الغزوات المظفرة التى قام بها النبى ﷺ والذين آمنوا معـه ، كانت تهدف ــ ضمن ما تهدف إلى إشعار كفار مكة ــ غلاظ الأكباد قساة القلـوب ــ أنه يدعو إلى الحق والعدل .. وأنه لم يكذب عليهم يوما ، فكيف يكذب علـى الله سبحانه ؟!.

نتوقف بعد ذلك عند غزوة الحديبية[1] .. والصلح الخاص بها ، لنوضح أن هذا الموقف يعد من المواقف الدالة على عظمة الرسول ﷺ باعتباره قـائدا مظفـرا وحاكما حازما بعيد النظر ثاقب الرؤية .

رأى النبي ﷺ وكل رؤى الأنبياء حق وصدق ــ أنه دخل مع أصحابه المسـجد الحرام حالقين رءوسهم ومقصرين شعورهم ، وهذه أمور تتعلق بالعمرة والحـج . فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة ، وخرج يقصد مكة ومعه ألف وخمسمائة صحابى وزوجه أم سلمة ، وأخذ الهدى ، ليعلم الناس أنه لم يأت غازيا .

عندما وصلت الأخبار إلى كفار قريش وثقيف ، حاولوا صد الرسول والمسـلمين رغم علمهم بأن المسلمين جاءوا معتمرين ــ لا محاربين ، فبعث الرسـول إليـهم عثمان بن عفان ومعه عشرة من رجال المسلمين للتفاوض ، فحبسهم الكفار ، وشاع

---

(١) الحديبية : قرية قريبة من مكة ، وسميت باسم بئر ماء عند مسجد الشجرة التى بايع فيها رسـول الله ﷺ أصحابه تحتها .. وقد حدث صلح الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة (٦٢٨م) .

عند المسلمين أنهم قتلوا ، حينما سمع النبي ﷺ ذلك شق عليه ما فعلوا ، وقـــال : **«لا نبرح حتى نناجزهم الحرب»** .

وهنا حدثت **بيعة الرضوان** تحت الشجرة . عندئذ خاف المشـــركون وأرسـلوا سهيل ابن عمرو للمكالمة فى أمر الصلح بعد أن أطلقوا سراح عثمان ومن معـــه . وبدأ على بن أبى طالب يكتب معاهدة الصلح ، فـــأملاه الرســول ﷺ : بســم الله الرحمن الرحيم . فاعترض سهيل وقال : اكتب باسمك اللهم .

فوافق الرسول ﷺ . ثم أملاه : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقاطعـــه سهيل مرة ثانية : لو كنا نعرف أنك رسول الله ما خالفناك ولم نصدك عن البيـت ، اكتب اسمك واسم أبيك . فثارت ثائرة عمر بن الخطاب وقال قولته الشهيرة :

ـ علام نرضى الدنية فى ديننا ..؟!

لكن ذلك لم يغير من حزم النبي وعزمه . وقال لعمر : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني . وقال لعلى اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبـد الله سهيل بن عمرو ـ مدة سنتين فى رأى الواقدى . وهى تنص على أنه من أتـــى محمدا من قريش بغير إذن وليه ، رده عليهم ، ومن جاء قريشا من رجال محمد لـم يردوه عليه . وأنه من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحـــب محالفة قريش فلا جناح عليه . وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هـــذا ، على أن يعود إليها فى العام الذى يليه ، فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة أيام ، ومعهم من السلاح : السيوف فى قرابها ، ولا سلاح غيرها »[1] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الواقعة فى سورة الفتح الآيات من ١٨ إلـى ٢٩ ومنها قولـــه تعـــالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفتح : ١٨ ـ ١٩] .

---

(١) راجع فى هذا الموضع الكتب التالية : تهذيب سيرة ابـن هشـام ، ص ١٧١ ـ ١٧٤ ـ الطـبرى : تاريخ الأمم والملوك ـ ج ٢ ، ص ١٥٢ ـ هيكل : حياة محمد ، ص ٣٧١ ـ ٣٨٦ .

يرى العقاد أن صلح الحديبية يعد بمثابة « عهد مهادنة ، أو عهد « إيقاف أعمال العداء إلى حين » ، كما يسمى فى اصطلاح العصر الحاضر .. فلا يعوزه شىء من الأصول المرعية فى أمثال هذه العهود من إثبات صفة المندوبين التى لا إرغام فيها لأحد الطرفين ، ولا مخالفة لدعوى الفريقين من حفظ كل [منهما] لحقه فى تجديد دعواه واستئناف مسعاه . فلو أن النبي عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه من يقصدها من رجاله ، لنقض بذلك دعوة الهداية الإسلامية ونقض الوصف الذى يصف به المسلمين . فإن المسلم الذى يترك النبي باختياره ليس بمسلم ، ولكنه مشرك يشبه قريشا فى دينها ، وهى أولى به من نبي الإسلام . أما المسلم الذى يرد إلى المشركين مكرها فإنما الصلة بينه وبين النبي الإسلام ، وهو شىء لا سلطان عليه للمشركين ، ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب .. فإن كان الرجل ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان وثيق الدين فبقى على دينه فلا خسارة فيه للمسلمين .

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هى الخاسرة بذلك الشرط الذى حسبته غنما لها وخذلانا لمحمد صلوات الله عليه ، فإن المسلمين الذين نفروا من قريش — ولم يقبلهم محمد فى حوزته رعاية لعهده — قد خرجوا إلى طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش ، وهى أمان فى عهد الهدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم إلى النبي ، لأنهم خارجون من ولايته بحكم الهدنة ، ولا استطاعوا أن يحجزوهم فى مكة — كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية. ولو قضى العهد بولاية النبى على من ينفر من مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبي بالمحافظة عليه »[1] .

يعلق هيكل وهو أستاذ فى القانون على هذا الصلح بقوله :

« وقد أثبتت الأيام أن هذا العهد حكمة سياسية وبعد نظر ، كان لهما أكبر الأثر فى مستقبل الإسلام وفى مستقبل العرب كله . فقد كانت هذه أول مرة اعترفت

(١) العقاد : عبقرية محمد ، ص ٦٣ .

قريش فيها بمحمد ﷺ لا على أنه ثائر بها خارج عليها ، ولكن على أنه ندها وعدلها : فاعترفت بذلك بالدولة الإسلامية وقيامها .

ثم إن إقرارها للمسلمين بحق زيارة البيت وإقامة شعائر الحج اعتراف منها بأن الإسلام دين مقرر معترف به من أديان شبه الجزيرة . وهذه الهدنة قد جعلت المسلمين يطمئنون من ناحية الجنوب ولا يخشون غارة قريش ، ومهدت للإسلام أن يزداد انتشارا . أفليست قريش ألد أعدائه وأشد محاربيه قد انتهت بالإذعان لما لم تكن تذعن له من قبل قط . وقد انتشر الإسلام بعد هذه الهدنة انتشارا أسرع أضعافا من انتشاره من قبل. كان [عدد] الذين جاءوا إلىالحديبية ألف وأربعمائة[1]. فلما كان بعد عامين اثنين جاء محمد لفتح مكة فى عشرة آلاف .. وكذلك صدقت الحادثات حكمة محمد ﷺ وبعد نظره ودقة سياسته ، وأثبتت أن عقد عهد الحديبية وضع حجرا ، لا ينقض فى سياسة الإسلام وانتشاره . وهذا هو الفتح العظيم »[2] .

هكذا انتهى الرسول ﷺ بسياسته الحكيمة من عداوة قريش واستراح من شرورها ، وتفرغ لليهود ليطهر المدينة وخيبر من شرهم ومكرهم . كما بدأ يفكر فى نشر الرسالة خارج حدود الجزيرة ، وأخذ يبعث برسله إلى حكام بعض البلاد المجاورة فى الشام ومصر والحبشة ، يدعوهم إلى عبادة الله والدخول فى زمرة الإسلام ، لأن من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يتقبل منه .

معنى ذلك أن الرسول بدأ بعد هذا الصلح المظفر يتطلع نحو تحقيق عالمية الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية . وقد حدث هذا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، ونتيجة للسياسة الحكيمة التى نفذها محمد ﷺ . ولن نجد وصفا لهذا الصلح أفضل مما وصفه الله سبحانه وتعالى من أنه «فتح مبين» . ذلك أن الرسول والمسلمين فى طريق العودة نزل الوحي .. وبلغهم الرسول ما أوحى إليه

---

(١) ثمة رواية أخرى تذكر أنهم كانوا ألف وخمسمائة جندى مسلم .

(٢) هيكل : حياة محمد ، ص ٣٨٣ وما بعدها .

من ربه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ ﴾ [الفتح : ٢ ، ٣] .

ننتهى إلى أن هذا الصلح كان مقدمة لفتح مكة .. والتطلع لنشر الإسلام فى البلاد المجاورة ، حتى ينصر الله عبده ، ويعز جنده ، وينشر دينه فى كافة أرجاء الأرض. وكان هذا العهد المدنى فى حياة الرسول ﷺ هو الذى أرهص بمرحلة (العالمية) فى حياة الإسلام والمسلمين ، التى بدأها الرسول ﷺ فى آخر حياته .. وحصد ثمارها المسلمون بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى ــ وقد قرت عيناه بإكمال الرسالة ونشر الدعوة إلى الناس كافة .

تعقيب

لا ريب فى أن كل ما حققه المسلمون من نصر وفتح وتقدم سواء فى حياة النبي ﷺ .. أو بعد وفاته ــ كان بفضل سياسة الرسول ﷺ وحسن تصريفه لكافة توجهات الحياة ، فقد قضى أجله بعد أن قال ما أشار إليه المولى من قوله الكريم :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣]. جزاك الله خيرا يا أفضل خلق الله ــ على ما تحملت من جهاد وأذى من أجل نشر رسالة التوحيد .

إن الذى لا ريب فيه أن عبقرية محمد ﷺ .. هى التى صنعت كل ما تحقق للإسلام والمسلمين من عزة وقوة .. وهى التى أدت إلى أن يخرج الناس من ظلمات الشرك والشقاق إلى نور الإسلام وضوء التوحيد بفضل الله الواحد القهار : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

وعلى الرغم من عظمة محمد ﷺ في كل ما قال وما فعل ، وما أجاز من قول أو عمل ، فإنه كان حريصا على التواضع أمام الخالق ومع الخلق . عن ابن عباس عن عمر ابن الخطاب قال : « قال رسول الله ﷺ : **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله** »[1] .

وصدق الصديق أبو بكر حين قال بعد وفاته :

« أيها الناس : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » . ثم تلا أبو بكر بعد ذلك هذه الآية الكريمة:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ **[آل عمران : ١٤٤]** .

جزاك الله خير الجزاء عن أمتك يا رسول الله .. ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ **[الفجر : ٢٧ ــ ٣٠]** .

لقد مات محمد الإنسان ــ كما يموت غيره من البشر ، فلكل أجل كتاب ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله . ولكن بقيت وستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيرته العطرة ورسالته السمحة وديانته الغراء . تهدى البشرية جمعاء إلى طريق الهدى والحق والعدل ، فمن آمن وصدق فقد كسب الدنيا وربح الآخرة . أما من كذب وتولى ، وأعرض عن ذكر ربه ، فسوف يحاسب حسابا عسيرا ، ولن يظلم ربك أحدا من خلقه، لأنه كتب على نفسه الرحمة وخص ذاته بالعدل .. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : ٧ ــ ٨] .

اللهم أكرم أمة رسولك .. ووحد صفوفهم .. واجمع كلمتهم يا رب :

يا رب هبت شعوب من منيتها … واستيقظت أمم من رقدة العدم

سعد ونحس وملك أنت مالكه … تديل من نعم فيه ومن نقم

(١) تطروني : تبالغوا فى مدحى ــ والحديث منقول عن كتاب : الشمائل المحمدية ، ص ٢٦٢ .

رأي قضاؤك فينا رأى حكمته	أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
الطف لأجل رسول العالمين بنا	ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يا رب أحسنت بدء المسلمين به	فتتمم الفضل وامنح حسن مختتم[1]

* * *

وبعد أن أكمل محمد بن عبد الله ﷺ حدود الدين .. وأرسى قواعد الدولة ، انتقل إلى رحمة الله فى السنة العاشرة للهجرة . وسوف تظل سيرته العطرة أسوة حسنة ، نهتدى بها .. ونقتدى ، من أجل السمو البشرى مع الذات .. ومع الآخر . فالإسلام دين السلام ، دين الإيمان والأمان ، ودستور الوئام والانسجام بين البشر قاطبة ؛ إذ لا إكراه فى الدين ، فالدين لله .. والدنيا لخلق الله . ولو شاء ربك لهدى الناس جميعا . فلم لا نترك الخلق للخالق ؟! ذلكم جوهر الإسلام .. وهذا تعبير القرآن « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » [القمر : ١٧] .

طبت حيا .. وميتا يا رسول الله .. وجزاك الله خير الجزاء على ما تحملت وصبرت وهديت . وسلام عليك إلى أن نلقاك .. « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » [آل عمران : ٥٣] وصلاة وسلاما عليك يا رسول رب العالمين.

(١) الشوقيات : ج ١ ، ص ١٩٠ المنية : الموت ــ رقدة العدم : نومة الفناء ــ تديل : تحول وتغير ــ خسف : ظلم ــ الفضل : المعروف والخير ــ لاحظ التورية فى تعبير « حسن مختتم » ، لأنها تدل على ختام عهد المسلمين كما تعبر عن خاتمة القصيدة .

المبحث الرابع

الأعلام .. والصفات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾

[المدثر : ١ ــ ٧]

الأعلام .. والصفات

التى وردت للرسول فى القرآن الكريم

تمهيـد :

الحديث عن شخصية عظيمة مقدسة ــ مثل شخصية الرسول ﷺ ــ معين لا ينضب ، ويصعب على أى عالم ــ مهما آتاه الله من العلم والحكمة ، ومهما أحاطت به ذاكرته من الرواية والدراية ــ أن يفى ذلك النبي الجليل حقه من التأريخ والوصف . لكن ذلك لا يحول دون وصف يوم من دهر .. وتقديم نقطة من بحر .

قبل أن نتحدث عن أسماء الأعلام والصفات ، التى وردت له ﷺ فى القرآن الكريم ، نتوقف ــ فى عجالة ــ لنوضح **بعض ملامح صورته البشرية** ــ كما وصفها بعض شهود العيان . حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى عفرة ، قال حدثنى إبراهيم بن محمد ــ من ولد على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : كان على إذا وصف رسول الله ﷺ قال :

« لم يكن رسول الله بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد ، وكان ربعة من القوم . لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط . كان جعدا رجلا ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم . وكان فى وجهه تدوير أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، أجرد ، ذو مسربة ، ششن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة[1] ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته : لم أر ، قبله

---

(١) خاتم النبوة : شحمة بارزة فوق لحم الكتف ، عليها شعر كثيف ــ ينحط من صبب : ينزل من مكان مرتفع .. أى يمشي مسرعا .

ولا بعده مثله ﷺ »[1] .

هذه شهادة أخرى تنسب للحسن بن على رضى الله عنهما .. « أخبرني رجل من بني تيم من ولد أبى هالة زوج خديجة [قبل الرسول] يكنى أبا عبد الله ، عن ابن لأبى هالة ، عن الحسن بن على قال : سألت خالى هند بن أبى هالة ــ وكان وصافا ــ عن حلية رسول الله ، وأنا أشتهى أن يصف لى شيئا منها أتعلق به . فقال :

« كان رسول الله ﷺ فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيقته فرق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة . كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف ــ أو قال : شائل الأطراف ــ خمصان الأخمصين ، مسيح

---

(١) أبو عيسى الترمذي : الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية ، ت . سيد الجليمى ــ ط المكتبة التجارية ــ مكة المكرمة ١٤١٣ ــ ١٨٩٣ ، ص ٣٣ ــ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص ٢٢١ . الطويل الممغط : الواضح الطول والهزال . القصير المتردد : القصير الممتلئ الداخل بعضه فى بعض . ربعة : متوسط القامة .. ليس طويلا أو قصيرا . الشعر الجعد : الشعر المتموج . الشعر الرجل : الشعر المسترسل . المطهم : الممتلئ ــ كثير اللحم . المكلثم : المدور الوجه . المشرق : يجمع وجهه بين البياض والحمرة . أدعج العينين : شديد سواد العين . أهدب الأشفار : طويل رموش العينين . الكتد : مجتمع الكتفين . المشاش : العظم ــ خاصة عظم المناكب .. الفواصل . ذو مسربة : ذو شعر دقيق من الصدر إلى السرة . الشثن : ممتلئ الأصابع من الكفين والقدمين . تقلع : مشى بقوة وسرعة . التفت معا : التفت بكامل جسمه . ألينهم عريكة : قليل الخلاف ــ سلس التعامل . عشرة : معاشرة ، مصاحبة . بديهة : مفاجأة .. صدفة . ناعته : واصفه .

القدمين، ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعا ، يخطو تكفيا ، ويمشى هونا ، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جل نظره ملاحظة ، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقى بالسلام»[1] .

يشير هذا النص — وما سبقه — إلى بعض صفات مادية ومعنوية للرسول ﷺ.. والنصان مصدراهما متقاربان إلى حد كبير ، فالأول ينسب إلى على بن أبى طالب ، والثانى يرويه الحسن بن على عن خاله (شقيق السيدة فاطمة الزهراء من الأم). كما أن النصين متقاربان فى بعض أجزاء من التركيب والدلالة . وقد آثرنا أن نرهص بهما لهذا الفصل .. لعل فيهما إرواء لغلة عطش فى هذا السبيل[2] ، رغم إدراكنا أن الظمأ فى التعرف على ملامح شخصية الرسول ﷺ يصعب إرواؤه ، كما يفهم من هذا المقطع الذى «يخمس» فيه الشاعر المصرى رفاعة الطهطاوى قصيدة فى مدح الرسول للشاعر اليمنى محمد البرعى:

---

(١) الشمائل المحمدية ، ص ٣٨ — الصورة التى يقدمها هند بن أبى هالة لابن شقيقته الحسن توضح أن منظر الرسول كان يدعو إلى الهيبة — وجهه مشرق كالبدر — متوسط القامة — ليس بالطويل أو القصير — معتدل الجسد — ليس ممتلئا أو نحيلا — عظيم الرأس — مرجل الشعر ، لا يجاوز شحمة أذنيه — وجهه أبيض مشوب بحمرة — واسع الجبهة — طويل الحواجب دون اتصال ، بينهما عرق ينبض عند الغضب — طويل الأنف مع تقوس فى وسطه .. أنفه مرتفع منير ، يحسبه من لا يعرفه علامة كبرياء وأنفة — لحيته كثيفة الشعر — خداه مستويان غير مرتفعين — عظيم الفم واسعه ، أسنانه منفرجة متباعدة.. وهذه علامة حسن وفصاحة ودلالة تفاؤل — جيده معتدل أبيض — جسده معتدل متماسك غير مترهل — عريض الصدر واسع المنكبين — ضخم عظام المفاصل — ما يظهر من جسده يبدو منيرا — شعر جسده يمتد من بداية الرقبة إلى سرة البطن فهو أشعر الصدر والذراعين والمنكبين — طويل ساقى الرجلين — راحة يده واسعة عريضة — ممتلئ الكفين والقدمين — طويل الأصابع لينها — باطن قدميه مرتفع عن الأرض .. أملس ينحدر عنهما الماء — عند المشى ينزع رجله بسرعة ، كناية عن الهمة والقوة والسرعة ، يخطو مسرعا ، ويمشى فى رفق ولين — واسع الخطو كأنه ينزل من منحدر عال — يلتفت بكامل جسده إلى من ينظر إليه — خافض الطرف ينظر إلى الأرض تواضعا وخشوعا — ينظر بطرف عينيه دون أن يتفرس — يمشى خلف أصحابه كأنه يتفقدهم ويحرسهم — يبدأ من يلقاه بالسلام صغيرا كان أو كبيرا .

(٢) كتاب «الشمائل المحمدية» لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ت سنة ٢٧٩ وهو صاحب كتاب « سنن الترمذى» ، والكتاب يشتمل على مجموعة من الموضوعات الخاصة بشمائل الرسول وصفاته ، وبعض عاداته . وهى موضوعات لم نجد لها مثيلا فى معظم كتب السيرة النبوية . ويمكن الرجوع أيضا إلى : تاريخ الطبرى — ج٢ ، ص ٢١ وما بعدها .

من في صباحتـــه يحكيـه مبتسـما   من في ملاحته حـــاز البـــها وسـما
كم أقســم الحق باسم المصطفى قسما   نور الهدى، جوهر التوحيد، بدر سما
ء المجد ، واصفه بالبدر يظلمه[1]

* * *

حـــقوق المصطفى

البحث عن أسماء الرسول ﷺ وصفاته يوضح ــ بجـــلاء ــ بعـض أفضالـه الحميدة وأدواره العظيمة فى مجال نشر الدعوة وتوطيد أركان العقيدة ، كما يبيــن المنزلة الرفيعة التى وهبه الله إياها ، فقد أنزله الله مقاما محمودا ، لم يعط لغيره من البشر . وأى مقام أسمى من أن يصلى عليه الله وملائكته ، ويأمر المســلمين بـأن يصلوا عليه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

يذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة : « المقصود من هذه الآيـــة أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليـه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلى عليه . قال البخاري قال أبـو العاليـة : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة : الدعاء له . ثـم أمـر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثنـاء عليـه مـن أهـل العالمين : «العلوى والسفلى جميعا»[2] .

لقد بلغ رسولنا الكريم ﷺ درجة رفيعة عند الله وملائكته ورسله والمؤمنين ؛ من هنا جاءت أهمية التعرف عليه من خلال دلالة ما أطلق عليــه مـن أسـماء وصفات وكنى مما ورد له فى القرآن الكريم . ويعد القاضى أبو الفضـل عيـاض

---

(١) طه وادى : ديوان رفاعة الطهطاوى ــ دار المعارف ــ ١٩٩٤ ، ص ١٢٥ . صباحة : ملاحـة ــ البهاء : الجمال ــ يحكيه : يشبهه ــ سما : ارتفع ــ بدر سماء : قمر سماء .
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص ٥١٤ .

اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) من أهم الذين توقفوا عند هذا المجال ، وأفرد له عدة مباحث فى كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ، وفيه مبحث عنوانه : «فصل فى أسمائه ﷺ وما تضمنته من فضيلته » ، ومما جاء فيه « .. حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « **لى خمسة أسماء: أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو بى الله الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب .»** .

وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمدا وأحمد ، فمن خصائصه تعالى أن ضمن أسماءه (الرسول) ثناءه (الله) ، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره .

فأما اسمه أحمد : فأفعل مبالغة من صفة الحمد .

ومحمد : مفعل مبالغة من كثرة الحمد .

فهو ـ ﷺ ـ أجل من حمد ، وأفضل من حمد ، وأكثر الناس حمدا ، فهو أحمد المحمودين ، وأحمد الحامدين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ، ليتم له كمال الحمد..» .

ثم يشير إلى دلالة جديدة لا سمى محمد وأحمد فيقول :

« فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن[1] آخر ، هو أن الله ـ جل اسمه ـ حمى[2] أن يسمى بهما أحد قبل زمانه . أما أحمد الذى جاء فى الكتب [السابقة] وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس ـ على ضعيف القلب ـ أو شك .

كذلك محمد ـ أيضا ـ لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده ﷺ أن نبيا سيبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ثم يذكر أنه روى عن الرسول ﷺ أن من أسمائه : طه ، ويس ، كما يذكر مجموعة من الصفات الأخرى الخاصة به مثل : رسول الرحمة ـ رسول الراحة

---

(١) فن : مغزى أو معنى .　　(٢) حمى : حفظ أو منع .

ــ رسول الملاحم ــ المقفى ــ القيم . كما يشير إلى أن له بعض أسماء أخرى وردت فى القرآن الكريم .. وصفات أخرى لم ترد فيه . ويختم هذا الجزء بقوله : «وأوصافه وسماته فى الكتب كثيرة ، وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله»[1] .

وقد توسع القاضي عياض فى ذكر الأسماء التى تطلق على الرسول ﷺ دون تفرقة أو تحديد بين ما ورد فى القرآن الكريم ، أو الحديث النبوى ، أو عند بعض كتاب السيرة .. وإنما تداخلت الأسماء ــ عنده ــ بدرجة كبيرة . وقد أدخل فى أسماء الرسول بعض أسماء لم يسمع بها من قبل مثل : المقدس ــ روح القدس ــ روح الحق ، إذ يبدو أنها من تأثير الإسرائيليات .

ولم يكن القاضى عياض وحده هو الذى توسع فى ذكر الأسماء التى تطلق على رسولنا الكريم ﷺ ، فجلال الدين السيوطى (٨٤٩ ــ ٩١١ هــ) ألف كتابا اسمه «البهجة السنية فى الأسماء النبوية» ، وقد أحصى فيه حوالى خمس مائة اسم . والحقيقة أن **كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى** . وتتبع ما كتبه بعض مؤرخى السيرة العطرة ، وبعض كتاب الدراسات الدينية أمر يطول شرحه وحديث لا تنتهى شئونه ، لأنه :

مكمل الذات فى خلق وفي خلق ... وفى صفات فلا تحصى فضائله

أو هو كما قال أحمد شوقى[2] :

محمد صفوة البارى ورحمته ... وبغية الله من خلق ومن نسم

سناؤه وسناه الشمس طالعة ... فالجرم فى فلك ، والضوء في علم

(١) أبو الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ــ بيروت (د.ت) ج١ ص ٢٢٨ ــ ٢٣٥ .

(٢) البيتان لأحمد شوقى (ج١ ، ص١٧٩) البارى : الخالق ــ نسمة : ج نسمة .. النفس ــ سناء : رفعة ــ سنى : نور ــ الجرم فى فلك : الجسد فى مدار خاص ــ الضوء : النور (الشاعر يشير إلى جمال الرسول المادى ، والمعنوى) ــ علم : عالم خاص به .

أولا : أسماء الأعلام

إن رسولنا المصطفى .. المختار قمين بأن تطلق عليه أسماء وصفات لا حصر لها ، نظرا لعلو منزلته وخلود رسالته ، لكن منهجنا فى تحديد تجليات إطار هذا الحقل الدلالى مستمد من آيات الذكر الحكيم . محمد ﷺ هو الرسول .. والقرآن الكريم هو الرسالة ، فما أحرى أن نعتصم بالرسالة ، لكى نتعرف على الرسول ﷺ . إن القرآن مفتاح كل أمر وهادى كل مفكر ، ونحن نريد أن نصل إلى الهدى من أقوم طريق . ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة القمر : ١٧] . وبناء على أن القرآن الكريم : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت : ٤٢] . كان اعتصامنا بالمنظور القرآنى .. والمنهج الربانى ، حتى نستعين بما جاء فيه من حجج ظاهرة وأدلة قاطعة ، لكى نتعرف على الأسماء والصفات التى وردت له ﷺ .

١ ـ محمد

ورد اسم محمد ﷺ فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع هى :

١ ـ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

٢ ـ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

٣ ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ٢] .

٤ ـ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

هذه هى المواضع الأربعة التى ورد فيها الاسم العلم الخاص بالرسول ﷺ .. وهو أشهر أسمائه جميعا وأشرفها . ومحمد : اسم مفعول بمعنى محمود .

ويروى أن عبد المطلب سئل حين سمى حفيده (محمدا) ، ورغب عن الأسماء الشائعة فى عصره قال : « أردت أن يكون محمودا فى السماء لله ، وفى الأرض لخلقه ..»[1] .

ويذهب القاضى عياض أن اسم (محمد) كان نادرا .. ولم يسم أحد بهذا الاسم سوى ستة أشخاص فقط .. « أما سابعهم وأفضلهم بل أفضل الخلق أجمعين فهو محمد بن عبد الله ..»[2] .

ومن المعروف أيضا أن هناك سورة فى القرآن الكريم تسمى « سورة محمد» ، وهى سورة مدنية ورقمها (٤٧) ، وعدد آياتها ثمان وثلاثون .

٢ ــ أحمد

ورد هذا الاسم مرة واحدة فى القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

أحمد : اسم تفضيل على وزن أفعل ، يدل على المبالغة فى صفة الحمد ، أى أنه أكثر الناس حمدا لله . وإذا كان هناك بعض من سمى بمحمد .. فليس هناك من سمى بأحمد قبل الرسول ﷺ . وهذا تكريم وتشريف ، ليتم له كمال الحمد .

٣ ــ طه

ورد ــ فى الذكر الحكيم ــ مرة واحدة فى سورة تحمل الاسم نفسه : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [طه : ١ ــ ٢] يفهم مما جاء فى «لسان العرب» أن كلمة طه ــ تعنى يا رجل أو يا إنسان ، وهى كلمة سامية قديمة ، دخلت من السوريانية أو النبطية أو الحبشية ثم عربت .

---

(١) هيكل : حياة محمد ، ص ١٢٦ .

(٢) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ ج ١ ، ص ٢٣٠ .

وقد ورد فى مادة «طهطه» : فرس طهطاه : أى مطهم وفتى ورائع[1] .

وذكر القاضى عياض فى تفسير اسم طه : « قيل إنه يا طاهر ، يا هادي ، يعنى النبي ﷺ . قال تعالى لـــه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝ ﴾ [الشــورى : ٥٢][2] .

وقد ورد فى تفسير الطبرى :

« يروى عن ابن عباس قوله : « طه .. يا رجل » ، وقيل إنها كلمـــة نبطيـة عربت . ومما يؤكد أن كلمة (طه) معناها يا رجل قول متمم بن نويرة :

هتفت بطه فى القتــال فلم يجــب   فخفــت عليــه أن يكــون موائلا

وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة : يا رجل أو يا إنسان ، ما أنزلنـــا عليــك القرآن لتشقى ، أى لتتعب فى العبادة .

وقال آخرون : « طه اسم من أسماء الله ــ أو .. قسم أقسم الله به »[3] .

«وعن أنس أنه قال : كان النبي ﷺ إذا صلى ، صلى على رجل ورفع الأخرى [كناية عن تورم قدميه من كثرة الصلاة] ، فأنزل الله تعالى (طه) يعنى طأ الأرض يا محمد ــ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .. ثم قال : ولا يخفى ما فـــى هـــذا مـــن الإكرام وحسن المعاملة »[4] .

هذا التفسير يرد عند بعض المفسرين .. وعند القاضى عيـــاض فـــى «الشـــفا» منسوبا إلى الربيع بن أنس[1] .

وقد ورد فى تفسير كلمة (طه) فى تفسير القرطبى : «إنها غير عربية .. وقيـــل إنها لغة يمنية فى قبائل عك وطيئ . وقيل هو اسم من أســـماء الله .. وقيـــل اســـم للسورة ومفتاح لها . وقال ابن عباس معناها يا رجل . وقال الكلبى لو قلت فى قبيلة عك للرجل يا رجل لم يجب ، تقول له يا طه . وأنشد فى ذلك :

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ــ دار المعارف ، القاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٧١٤ .

(٢) أبو الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج١ ص ٢١٤ .

(٣) محمد بن جرير الطبري : جامع البيان فى تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ج ٨ ، ص ٣٩ .

(٤) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ــ بيروت ــ ج ٣ ، ص ١٤٦ .

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ ج١ ، ص ٤٢ .

دعوت بطـــه فى القتال فلم يجـــب فخفـــت عليـــه أن يكـــون مؤائلا

وقال عبد الله بن عمر : معنى يا طه : يا حبيبى بلغة (قبيلة) عك . وقال قطرب هو بلغة طيئ ، وأنشد ليزيد بن المهلهل :

إن السفاهـــة طـــه من شمائلكـــم لا بـــارك الله فى القوم الملاعـــين

قال عكرمة أيضا هو كقولك يا رجل بلسان أهل الحبشة .

ويعلق القرطبي على هذا بقوله : والصحيح أنها وإن وجدت فى لغـــة أخـــرى ، فإنها من لغات العرب .

وقيل إن معنى طه : طإ الأرض ، ذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل مـــن مشـــقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورمان ، ويحتاج إلى الترويح بين قدميه ، فقيل له : طـــإ الأرض ، أى لا تتعب حتى لا تحتاج إلى الترويح .. وأن الأصل (طأ) ، ثم قلبـــت الهمزة هاء .

قال الكلبي : لما نزل الوحى على النبي ـــ وهو بمكة ـــ اجتهد فـــى العبـــادة ، واشتدت عبادته ، فجعل يصلى الليل كله زمانا ، حتى نزلت هذه الآية ، فـــأمره الله تعالى أن يخفف عن نفسه ، فيصلى وينام . ويمكن أن يكون (طاها) .. طا : هـــى طأ ـــ والضمير ها : يعود على الأرض .. أى طأ الأرض .

ثم ختم التفسير بقوله : وأغلب ما اتفق عليه أن معناها يا رجل أو يـــا إنســـان ، وأنها أحد أسمائه الشريفة ﷺ .. »[1] .

خلاصة لكل ما تقدم .. فإننا نميل إلى كون كلمة (طه) غير عربية الأصـــل .. ومعناها : يا رجل أو يا إنسان . وقد دخلت العربية عن طريـــق إحـــدى اللغـــات السامية القديمة . وقد استخدمت على أنها اسم علم للرسول ﷺ . وقـــد روى عـــن الرسول فى بعض أحاديثه الشريفة ما يؤكد هذه التسمية الخاصة به . ويبدو ـــ والله

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ط الهيئـــة المصريـــة ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٧ ـــ ج ١١ ، ١٥٤ .

تعالى أعلم وأعز أكرم ــ أن هذا الاسم لم يسم به أحد قبله من العرب . وفى هــذا تكريم وتشريف للرسول الأمين ﷺ .

٤ ــ يــس

كلمة يس ــ باعتبارها اسم علم ــ من الأسماء التى تطلــق ــ أيضــا ــ علــى الرسول ﷺ . ويبدو أيضا أنه ــ مثل طه ــ اسم لم يسم به أحد قبلــه .. وهــذا تشريف لمقامه العظيم كما ذكرنا . ولا يزال هذا الاسم مثل طه أيضا يستخدم فــى تسمية بعض الرجال ، وإن كان يكتب أحيانا بخط مختلف (ياسين) . وقد ورد ذكره مرة واحدة فى سورة تحمل الاسم ذاته :

﴿ يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ [يس : ١ : ٤] .

«يرى بعض المفسرين أنها تعد حروفا [مقطعة / منفصلة] مثل الحروف التــى تبدأ بها بعض السور . ويقول عكرمة إن معناها يا إنسان ، لأن الله تعالى قال بعدها مخاطبا رسوله : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾[١] ويذكر القاضي عياض أن معناهــا يا سيد[٢] .

يذكر ابن جرير الطبري : « قيل قسم أقسم الله به ــ وهو من أسماء الله تعالى . وقيل معناه : يا رجل ، وينسب إلى ابن عباس أن معناه يا إنسان بالحبشية ، وقيــل هو اسم من أسماء القرآن»[٣] .

ويذكر ابن كثير أن «يس» بمعنى يا إنسان .. وقيل أيضا .. إنها اسم من أســماء الله تعالى[٤] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ــ ج ٣ ، ص ٢١٧٣ .
(٢) أبو الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ ج ١ ، ٢٣١ .
(٣) ابن جرير : جامع البيان ــ ج ١٠ ، ص ٤٢٤ .
(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ــ ج ٣ ٥٧١ .

هكذا نجد أن كثيرا مما يروى فى تفسير كلمتي طه ويس متقارب إلى حد كبير ، فالبعض يذكر أنها حروف مقطعة ـ والآخر يذكر أنها اسم لله سبحانه وتعالى . لكن الروايات الأكثر تجمع على أنهما **كلمتان دخلتا إلى العربية عن طريق إحدى اللغات السامية القديمة ، وأن دلالتهما تعنى : يا رجل ـ يا إنسان ـ يا سيد ،** وهذا يعنى أن الرجولة والإنسانية والسيادة لم تتحقق فى أحد مثلما تحققت فى شخصية الرسول ﷺ . هذا ما وصفه الله به فى القرآن الكريم ، وخصه بهذين الإسمين اللذين لم يسم بهما أحد قبله فيما نظن ونرجح ,

وكون الكلمتين من جذور لغوية سامية قديمة ، يعنى قدرا من التكريم والتميز من الله سبحانه وتعالى لرسوله الصادق الأمين ، لأن فى هذا إشارة بعيدة لتكريم الحبيب المصطفى عند أصحاب تلك اللغات . كما أن إطلاقهما على الرسول ﷺ تنبيه للعرب أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خصه بأسماء ، لم يسم بها أحد قبله من قومه .

إحصاء بأسماء الأعلام

مسلسل	الاسم	العدد	الموضع
١	محمد	٤	آل عمران ـ ١٤٤ الأحزاب ـ ٤٠ محمد ـ ٢ الفتح ـ ٢٩
٢	أحمد	١	الصف ـ ٦
٣	طه	١	طه ـ ١
٤	يس	١	يس ـ ١

ثانيا : صفات الرسول فى القرآن

يصعب على أي دارس لسيرة المصطفى العطرة أن يحصى الصفات والفضائل التى يمكن أن ينعت بها ﷺ ، لأنه النبي المختار .. والسراج المنير .. الذى استطاع أن يخرج البشرية من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد . وقد جمعت كتب تفسير القرآن الكريم والسنة الشريفة والسير والمغازى والتاريخ العربى والفقه الإسلامي من صفاته الكريمة ما يصعب على الحصر والعد . ناهيك عن شعر المديح النبوي وما يتصل به من شعر ديني .

ويكفى رسولنا الكريم تشريفا من رب العزة سبحانه وتعالى أن جعل شهادة التوحيد مكونة من قسمين : لا إله إلا الله ــ محمد رسول الله . كما أن الله جل فى علاه يصلي عليه هو وملائكته والمؤمنون برسالته ، كذلك قال سبحانه : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء : ٨٠].

ولله در محمد بن محمد الجرزى حيث يقول :

خلاي إن شط الحبيب وربعه ... وعز تلاقيه وناءت منازله

وفاتكم أن تبصروا بعيونكم ... فما فاتكم وصف فهذي شمائله

مكمل الذات فى خلق وفي خلق ... وفي صفات فلا تحصي فضائله[1]

ثمة مجموعة من الكتب عنيت بالحديث عن صفات الرسول ﷺ ، وهى تدرس السيرة العطرة .. من أهمها :

١ ــ أبو عيسى الترمذي : الشمائل المحمدية .

٢ ــ محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك .

٣ ــ محمد بن عبد الله الأصبهاني : أخلاق النبي وآدابه .

٤ ــ ابن كثير القرشي : البداية والنهاية .

٥ ــ القاضي عياض اليحصبي : الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

---

(١) أبو عيسى الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ٨ .

٦ ــ أبو محمد الحسين البغوي : الأنوار فى شمائل النبي المختار .

٧ ــ جلال الدين السيوطي : البهجة السنية فى الأسماء النبوية .

٨ ــ الحافظ مغلطاى بن قليج : الإشارة إلى سيرة المصطفى .

٩ ــ الحافظ محمد بن عتيق الغرناطي : مطالع الأنوار فى شمائل المختار .

١٠ ــ زين الدين محمد المناوي : الروض الباسم فى شمائل المصطفى أبى القاسم .

١١ ــ يوسف بن إسماعيل النبهاني : وسائل الوصول إلى شمائل الرسول .

١٢ ــ محمد بن محمد الروضي المالكي : كشف اللثام عما جاء من الأحاديث النبوية فى شمائل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

١٣ ــ بير محمد دده بن مصطفى : الوسيلة العظمى فى شمائل المصطفى خير الورى .

١٤ ــ محمد ثابت بن عبد الله القيصرى : عين الرحمة والنور فى شمائل النبي المبرور .

١٥ ــ حبيب الله القنوجي : روضة النبي فى الشمائل .

١٦ ــ شعبان محمد إسماعيل : من خصائص النبي وشمائله .

١٧ ــ صفي الدين المباركفورى (هندي) : الرحيق المختوم .

١٨ ــ إبراهيم العلي : صحيح السيرة النبوية .

١٩ ــ محمد عزة دروزة : سيرة الرسول .

٢٠ ــ منير محمد غضبان : فقه السيرة النبوية (١) .

الحديث إذن عن صفات الرسول ﷺ وما يجب أن ينسب إليه ، مجال تقصر دونه الخطى ، وميدان تحار فيه القطا ، لذلك نلجأ إلى كتاب الله الكريم ، ونتضرع

---

(١) لمزيد من أسماء الكتب والدراسات يراجع : فهرس السيرة النبوية : إعداد قسم الفهرسة ــ معهد البحوث ــ جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ١٤١٦ هــ .

إليـه خـاضعين : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢]. الفضل منك وإليك .. نلوذ بك ونعتمد عليك .. فـي بيـان صفـات رسولك المطاع الأمين ، مما ذكرته عنه فى القرآن العظيم يا أرحـم الراحميـن .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

١ ـ رسول الله

يجب تتبع ما اشتق من الجذر اللغوى للفعل (أرسل) بمعنى : بعث برسالة ـ فى القرآن الكريم ـ على مستوى الفعل الماضى والمضارع ، أو الإفراد والجمـع ، أو الاسم المجرد من الإضافة والمضاف . **وقد وردت كلمة رسول باعتبارهـا صفـة مشتركة لأولى العزم من الرسل أجمعين . لكنها بالنسبة للنبي محمد صـارت أول وأهم صفة تطلق عليه** .. فهو «رسول الله » الذى أرسله بالهدى وديـن الحـق . وكلمة رسول : صيغة مبالغة على وزن (فعول) ، وهى تدل على المبالغـة فـى عمل الفعل وهو تبليغ الرسالة .

ومن المعروف أن ثمة فروقا جوهرية بين كلمتى نبي ورسول : فالنبي يبعـث إلى قوم ليهديهم ، وقد يكون معززا برسالة مكتوبة ، وقد لا يكـون مثـل صـالح وشعيب ولوط ويونس وإدريس عليهم السلام . أما الرسول فيبعث لقومـه خاصـة وللناس كافة ، ويؤيده الله بمعجزات معروفة وصحف مكتوبة مثل : نوح وإبراهيـم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وعلى هذا فإن كل رسول نبـي ، وليس كل نبي رسولا .

ومن الآيات الكريمة التى ورد فيها هذا النعت ـ الذى يعد أهم الصفات الشريفة التى أطلقت على نبينا الكريم ـ محمد رسول الله ﷺ ، وسوف نختار بعضا منـها فقط ـ على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤][1] .

٢ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

٣ ـ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

٤ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٨ ، ٢٩][2] .

٥ ـ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

٦ ـ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾[3] .

٧ ـ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

٨ ـ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر : ٧] .

٢ ـ النبي

كلمة النبي من التسميات والصفات الواردة فى القرآن الكريم على أساس أنها اسم أو صفة لرسولنا الكريم ﷺ أو لغيره من الرسل والأنبياء . وكلمتا نبي ورسول : تحملان قدرا من الدلالة المشتركة . ونبي : أصلها نبيء على وزن فعيل، ولكن حدث فيها تخفيف للهمزة وهى آرامية الأصل ومعناها : رسول . والنبي هو الذى يخبر بما أنزله الله عليه ، على أساس أن الكلمة مشتقة من الفعل «نبأ» كما يذكر ابن منظور[4] .

---

(١) خلت : سبقت .
(٢) الدين كله : الأديان كلها .
(٣) أسوة : قدوة ، مثل أعلى .
(٤) لسان العرب ـ طبعة بيروت ـ ج ١٤ ، ص ٩ .

وقد وردتْ هذه الكلمة على أساس أنها اسم .. أوْ صفة للرسول ﷺ فى آيـــات كثيرة ، نقدم بعضًا منها على سبيل المثال :

١ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

٢ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ٧٣](١).

٣ ـ ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ [التوبة : ١١٧] .

٤ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] .

٥ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ [التحريم : ١] .

٦ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التحريم : ٩].

٣ ـ عبدُ الله (= عبده)

التأكيد على عبودية الرسول لله أمرٌ لازب ، وحتى يعرف الثقلان أن محمــدا ـ رغم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التى منحها ربُّ العالمين إيّاه ـ عبدٌ من عبــاد الله . والرسول نفسه يعترف بهذا فى أكثر من آية كريمة .. من ذلك علـــى ســبيل المثال :

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ [الكهف : ١١٠] (٢)

﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء : ٩٣] .

وتأكيدًا لعبودية محمد لخالقه ومولاه ، وجدنا كثيرا من الآيات الكريمة تأتى كلمة (عبد) فيها مضافة إلى ضميرِ الغائب (الهاء) دلالة على قوة علاقـــة العبـد بربـه والرسول بخالقه ، ومن تلك المواضع :

١ ـ ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ [الإسراء : ١] (٣) .

---

(١) اغلظ عليهم : اشدد عليهم .
(٢) بشر : إنسان .
(٣) أسرى : السرى : السير ليلا .

٢ ـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ [الكهف: ١](١) .

٣ ـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان : ١] .

٤ ـ ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ [النجم : ١٠] .

٥ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ ﴾ [الحديد : ٩] .

وأكثر ما اطلعنا عليه من كتب التفسير لا يقدم شرحا لكلمة (عبده) إلا ما يدل على أن المقصود بها هو الرسول ﷺ ، حتى جار الله الزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ) وهو من أهم المفسرين الذين يعنون بالجانبين اللغوى والبلاغى .

لكن لفظ الجلالة استبدل بضمير الغائب فى آية كريمة واحدة هى :

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩](٢).

ويفسر الزمخشرى (عبد الله) فى الآية بأن « المقصود بها هو الرسول ﷺ .. ونظرا لأن الكلام واقع فى سياق حديث الرسول عن نفسه ، جىء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل لله سبحانه »(٣) .

والرسول يعترف بعبوديته لله سبحانه وتعالى وتواضعه فى أحاديث كثيرة ، منها على سبيل المثال : عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال :

« قال رسول الله ﷺ : **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد الله ، فقولوا : عبد الله ورسوله** »(٤) .

---

(١) عوجا : اختلافا ، اختلالا . وهى عكس قيم : بمعنى مستقيم ومعتدل .
(٢) عليه لبدا : متراكمين فى ازدحامهم عليه .
(٣) الزمخشري : الكشاف ـ ج ٤ ، ص ٦٣٠ .
(٤) الشمائل المحمدية ، ص ٢٧١ ـ الإطراء : المبالغة فى المدح .

٤ ـ بَشَرُ

وصف القرآن الرسول ﷺ فى أكثر من آية بأنه بشر .. أىْ إنسان عادى مثل بقية الناس . لكن الله فضّله بالنبوة وشرفه بالرسالة . وبشرية الرسول تلك هى التى جعلتْ بعضَ الكفّار يحارون فى أمره ويتعجبون من نبوته . ومن المعلوم أن الصفاتِ السامية للبشر تصدقُ على الأنبياء ، لكن صفات الأنبياء لا تصدقُ على البشر . فالرسول ليس ملاكا ، لكنه إنسان يتبعُ ما يُوحى إليه من ربه .

ومن المواضع الكريمة التى وردتْ فيها تلك الصفةُ البشرية :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٣].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤].

ويذكر ابن كثير فى تفسير آية سورة الكهف : يقولِ تعالى لرسوله ﷺ : قل لهؤلاء المكذبين برسالتك إليهم ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف : ١١٠][(١)] .

٥ ـ بَشِيرُ ومُبَشِّرُ

كلمة بشير ـ صيغة مبالغة على وزن فعيل ، وكلمة مبشر ـ اسم فاعل من الفعل المزيد بالتضعيف (بشّر) ، وكلتاهما تعودان إلى جذر لغوى واحد هو الفعل بشر بمَعنى فرح وسُرَّ .

ومن المعروف ـ نحويًّا ـ أن صيغةَ "الصفة المشبهة" باسم الفاعل تؤدى عمل اسم الفاعل ، وتنوبُ عنه فى العمل النحوى ، وإن كانتْ تزيدُ درجةً فى تأدية المعنى ، لأنها تدل على المبالغة والكثرة فى عمل الفعل والقيام به ـ وهو هنا التبشير بما أعدَّه الله سبحانه للمؤمنين من فضلٍ عميم وخير عظيم فى الدنيا والآخرة .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ ج ٢ ، ص ١١٤ .

فالبشيرُ والمبشّرُ هو الذى يأتى بالبُشرى والفرحة ، وينبئُ بخبرٍ سعيد وخير كثير ، يحدثُ فى المستقبل لمن أطاع الرسول واستجابَ لدعوة الحق .

أما النذير والمنذر فتؤديان الدلالة المقابلة تماما . ومعنى قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة : ١١٩] .

أى بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ، وهو رضاءُ الله ودخول الجنة ، ونذيرًا للكافرين بغضب الله ووبيل العقاب ودخول النار .

وهذه بعض المواضع التى وردت فيها كلمتا بشير ومبشر :

١ ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩] .

٢ ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

٣ ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فاطر : ٢٤] .

٤ ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٠٥] .

٥ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] .

٦ ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفتح : ٨] .

٦ ـ نَذِيرُ ومُنْذِرُ

كلمتا نذير ومنذر .. مثل بشير ومبشّر ـ متوازيتان فى الصيغة (صيغة مبالغة + اسم فاعل) ، ومُتساويتان فى الدلالة . وتأتيان فى كثير من آيات الذكر الحكيم فى سياق واحد ، تأكيدا على أن الرسول ﷺ مبشرُ وبشيرُ للمؤمنين ، ومنذرُ ونذيرُ للكافرين، أى أنه مرسلٌ بالوعد والوعيد فى آنٍ واحد .

ومن الآيات الكريمة التى وردت فيها هاتان الصفتان ـ اللتان هما فى الحقيقة صفة واحدة :

١ ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

٢ ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فاطر : ٢٤] .

٣ ـ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود : ١٢] .

٤ ـ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] .

٥ ـ ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [ص : ٦٥] .

٦ ـ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٤] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمتيْ مبشر ومنذر قد وردتا صفة للرسول ﷺ .. ولغيره من الأنبياء : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

٧ ـ شاهدُ وشهيدُ

شاهد وشهيد : اسم فاعل ، وصيغة مبالغة ، وقد وردت الكلمتان على أنهما صفتان للرسول ﷺ دلالة على أنه شاهدٌ ومقر لله سبحانه وتعالى ـ بالوحدانية .

كما أنه ـ أيضا ـ شاهد ومراقب على الناس ـ من آمن منهم ومن كفر ـ فى الدنيا والآخرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ . يقول الزمخشرى : «شاهدا على ما بعث إليهم وعلى تكذيبهم أوْ تصديقهم ، أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم ، كما يُقبل قولُ الشاهد العدل فى الحكم ، وأعربها على أنها (حال) مقدرة لما سوف يكون يوم القيامة»(١) . ومن الآيات التى وردت فيها الكلمتان :

١ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٥] .

٢ ـ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح : ٨] .

٣ ـ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المزمل : ١٥] .

٤ ـ ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء : ٤١] .

٥ ـ ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ [النحل : ٨٩] .

---

(١) الزمخشرى : الكشاف ـ ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

٦ ــ ﴿ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] .

٨ ــ الهادي

الهادي .. اسمُ فاعل من الفعل (هَدِىَ) ، وهو منْ يرشدُ الناسَ ، ويدلـــهم علـــى طريق الخير والحق .. وهو دين الله الحنيف . وهذه الصفةُ ترد فى القرآن الكريـــم لله سبحانه وتعالى وللرســـول ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقـرة : ١٢٠] .

وهنا نشير إلى ملاحظة غاية فى الأهمية : وهى أنه ترد فى القرآن الكريـــم ــ أحيانا ــ بعض صفات تُذكر فى حق الله سبحانه وتعالى .. وفى حق رسوله ، وهذا يوضح مدى تكريم الله له وتفضيله إياه بما لم يخص به أحـــدا غـــيره مـــن خلقـــه أجمعين، سواء من البشر أو من الملائكة المكرمين . روى أبو سعيد الخـــدرى أن النبى ﷺ قال : « **أتانىَ جبريل عليه السلام فقال : إن ربى وربك يقول : تـــدرى كيف رفعتُ ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا ذكرتُ ذكرتَ معى** »[(١)] .

معنى هذا أن الرسول ﷺ أعلى الخلق قدراً ، وأعظمهم فضلا .. «واعلمْ نـــورَّ اللهُ قلبى وقلبك ، وضاعفَ فى هذا النبيى الكريم حُبى وحبك ، أنك إذا نظرتَ إلـــى خصال الكمال التى هى غيرُ مكتسبة وفى جبلـــة الخلقـــة ، وجدتـــه ﷺ حـــائزا لجميعها، محيطا بشتاتِ محاسنها .. »[(٢)] .

من الآيات الكريمة التى وردت فيها هذه الصفة :

١ ــ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] .

٢ ــ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ ﴾ [الروم : ٥٣] .

وجاء فى تفسير الآية الأولى : « ولكل قوم هادٍ من الأنبياء يهديهم إلى الديـــن ، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ، ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة»[(٣)] .

---

(١) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج١ ص ٢ .
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ ج١ ، ص ٥٨ .
(٣) الزمخشري : الكشاف ــ ج ١ ، ص ٥١٤ .

٩ ــ الأُمِّىّ

الأُمِّىُّ : صفةٌ تطلق على من لا يعرفُ القراءة والكتابة ، وهى صفة تُنسبُ إلى الرسول ﷺ فى القرآن ــ كما نُسبتْ له من قبل فى التوراة والإنجيل ، حيث بشَّرتا ببعثه وظهوره ﷺ . وقد وردتْ هذه الصفة للرسول ﷺ فى آيتين متتاليتين من سورة الأعراف [١٥٧ ، ١٥٨] .

وهذا التكرارُ تأكيدٌ لإقناعِ البشر عامة ــ والكتابيِّين (اليهود والنصارى) خاصة ــ بصدق دعوة محمد ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٥٧ ، ١٥٨]** .

فإثباتُ صفة الأمية للرسول ﷺ كان أمرًا ضروريًا ، لإقناع الكتابيِّين ــ وغيرهم ــ أن ذلك الرسولَ الأمي هو الذي جاء بالقرآن المعجز الذي أوْحاه إليه ربُّ العزة. وهذا نفيٌ قاطعٌ لكونه شاعرًا أو ساحرا أو كاهنًا .. أو مُؤلفًا للقرآن ، وذلك ما تؤكده آية أخرى‌هى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ **[العنكبوت : ٤٨]** .

ويُعلِّق ابن جرير الطبرى على تفسير الآية (١٥٨) من الأعراف بقوله :

«والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الله ــ تعالى ذكره ــ أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته . ولم يخصص ــ جل ثناؤه ــ الجزء من «كلمات الله» ببعض دون بعض ، بل أخبرهم عن جميع «الكلمات ،

فالحق فى ذلك أن يعم القول ، فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله»[1] .

١٠ ــ كريم

كريم : صيغة مبالغة على وزن فعيل .. أىْ كثير الكرم . وقد أطلقها المولى ــ عزَّ وجل ــ عليه تشريفًا له وتعظيمًا لقدره .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ــ ٤٠] .

يذكر ابن كثير فى تفسير الآيات : « يقول تعالى مُقْسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته ، وما غابَ عنهم مما لا يشاهدونه من المغيَّباتِ عنهم ــ إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذى اصطفيناه لتبليغَ الرسالة وأداء الأمانة .. : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ، يعنى محمدا ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل»[2] .

فابن كثير يفسر ﴿ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فى آية الحاقة بأنه محمد ﷺ ، على حين يفسر الرسول الكريم فى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [التكوير : ١٩] الواردة فى سورة التكوير بأنه جبريل عليه السلام ، فيذكر « قوله تعالى .. ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ يعنى : أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أى مَلَك شريف حَسن الخلق بهيُّ المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام »[3] .

---

(١) تفسير الطبري : ج ٦ ، ص ٨٨ .
(٢) تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٤٤٥ .
(٤) تفسير ابن كثير ــ ج ٤ ، ص ٥١٢ .

معنى هذا أن كلمة (كريم) صفة تطلق فى القرآن على :

أ ــ الله سبحانه وتعالى .

ب ــ القرآن العظيم .

ج ــ الرسول محمد ﷺ .

د ــ جبريل عليه السلام .

معرفة السياق اللغوى ــ إذن ــ أمر مهم جدا فى تحديد الدلالات المتنوعة للكلمة الواحدة ، خاصة فى مجال تفسير النص القرآنى .

١١ ــ خَاتمُ النبيِّين

وُصف الرسول ﷺ بهذه الصفة فى آية واحدة هى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

من رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ، ومن تشريفه للرسول أنْ جعله خاتم الأنبياء .. « فى هذه الآية نصٌّ على أنه لا نبيَّ بعده ، وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بالطريق الأوْلى والأحْرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كلَّ رسول نبي ولا ينعكس .. قال ﷺ : « مثلى ومثل الأنبياء كمثلِ رجلٍ بنى دارًا ، فأكملَها وأحسنها إلا موضعَ لَبِنةٍ ، كان منْ دخلها ونظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة . فأنا موضع اللبنة ، خُتم بى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

وفى حديث آخر يقول المصطفى ﷺ : « **فُضِّلْتُ بستٍ : أُعْطيتُ جوامعَ الكلم ، ونُصرتُ بالرعد ، وأُحلّتْ لى الغنائمُ ، وجُعلتْ لى الأرض مسجدًا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلْق كافةً ، وخُتم بىَ النبيون »[1] .**

(١) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٥٠١ .

ويقولُ أحدُ المفسرين المعاصرين فى تفسير قولـــه تعـــالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ . إن الرسول ﷺ ليـــس أبَ أحدٍ من المؤمنين على جهة النسب ، ولكنَّهُ بمنزلة الأبِّ الروحى لكـــل المؤمنيـــن باعتباره نبيا ورسولا ، وهو أحنُّ على كل واحدٍ منهم من والديْه ، وأحرص علـــى مصلحته منه هو بحرصه على مصلحة نفسه ، فكان ﷺ بنصِّ القرآن الكريم أولْـــى بالمؤمنين من أنفسهم .

إن الآيةَ الكريمة تُثبتُ للمصطفى ﷺ ثلاثة من مظاهرِ فضلْ الله عليه :

الأول : كونه رسُولا ، والثانى كونه نبيًا ، والثـــالث : كونـــه خـــاتمَ الأنبيـــاء والمرسلين . عن أنس رضى الله عنه ، قـــال ﷺ : « إن الرســـالة والنبـــوة قـــد انقطعتْ، فلا رسولَ بعْدى ولا نبيَّ »[1] .

معنى ذلك أن من نعمةِ الله على الرسول ﷺ وأمته ، أنه كـــان خـــاتمَ الرسُـــلِ والأنبياء ، وهو ختامُ مسك وفضل عظيم لرسول كريم ، ليكون هو العاقبُ الـــذى لا نبيَّ بعده ، وتكون رسالتهُ هى الرسالة المهيمنةُ على كلِّ ما سبقها ، وتظـــل باقيـــةً تهدى الخلق إلى أنْ يرث اللهُ الأرضَ ومنْ عليها .

ننتهى إلى أنْ كلمة خاتَم (الأنبياء) على وزن فاعل .. وهى القراءة المشـــهورة ، وقد جاء على هذا الوزن ــ فى اللغة ــ كلماتُ أخرى مثل : آخر ــ طابعَ . وثمـــةَ قراءةٌ ثانية غير مشهورة بكسر التاء أىْ (خاتِم) . والصيغتان بالفتح والكسر بمعنـــى واحد ، هو أن الرسول ﷺ آخرُ الأنبياء زمانا ، وإنْ كان أفضلهم منزلةً ومكانـــةً ورتبةً .

---

(١) د. حسن محمد باجودة : تأملات فى سورة الأحزاب ، ط نادى مكة الثقافى ، ١٤٠١ = ١٩٨١ ، ص ٦٣٠ وما بعدها .

١٢ ــ السِّراجُ المنيرُ

وُصف الرسول ﷺ بهذه الصفة فى قولـــه تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحـزاب : ٤٥ ــ ٤٦] «السراج : المصباح الزاهر الذى يسرجُ ويضىءُ بالليل » .

والشمسُ : سراجُ النهار .. وهذا يُفهم من قوله تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ وفى الحديث .. قال ﷺ : « عمرُ سراجُ أهل الجنة » .

والمقصود بالآية ــ كما يرى ابن منظور ــ أن الرسول مثـــل الســـراج الـــذى يُستضاء به ، أو مثل الشمس فى النور والظهور . والهدى سراجُ المؤمن ــ علـــى التشبيه .

ويذكر الأزهرى فى شرح الآية : وإن جَعلت سراجا نعتا للنبى ﷺ كان حسنا ، ويكون معناه هاديا . كأنه سراج يُهتدى به فى الظُّلَم»[1] .

على هذا يكون معنى الآية أن الرسول ﷺ مثل الشمس المضيئة فى الظـــهور والنور ، وكلمة النور ترد كثيرا فى سياق الكلام عن الله سبحانه ، وعـــن رســـالة الإسلام ، وعن القرآن الكريم ، وعن جبريلِ عليه السلام ، وعن الرســـول ﷺ . ومما يدل على أن كلمة «النور» مقترنةً بمعانى الإيمان والهداية ــ قوله تعـــالى : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [سورة النور : ٣٥] . ومن الآيات التى تؤكد علاقة كلمة النور ــ أيضا ــ بالسياقات التى ذكرناها من قبل قوله عـــز مـــن قائل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥]

ولا ريبَ أن «من صفات السراج المنير أن يُنير للسائرين الطريق . وهذه إحدى صفاتُ المصطفى ﷺ التى نص عليها السياق . إن مدلول كل من السراج المنـــير والأسوة الحسنة واحد ، وإن المصطفى ﷺ الشاهدُ والمبشرُ والنذير ، والداعى إلى الله تعالى بإذنه والسراج المنير ، هو الأسوة الحسنة للمؤمنين فى كل الصفات التـــى

(١) لسان العرب : ج٣ ، ص ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ .

يعرفون بها ، والنعوت التى يتحلون بها . وفى مقدمتها ذكر الله تعالى ذكرا كثـيرا وتسبيحه جل وعلا بكرةً وأصيلا »[1] .

١٣ ـ الداعي إلى الله

داعي : اسم فاعل من الفعل : دعا .. وهو الذى يدعو قومـه إلـى عبـادة الله وطاعته والإيمان به .

وقد نُسبت هذه الصفة إلى الرسول ﷺ من خلال هذه الآية الكريمـة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] .

ويفسر أبو جعفر الطبري قوله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .. «داعيا إلى توحيـد الله وإفراد الألوهية له ، وإفراد الطاعة لوجهه دون كل من سواه .. وحدثنا سـعيد عن قتادة ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقوله : «بإذنه» بـأمرى إياه بذلك»[2] .

١٤ ـ المزَّمِّلُ

المزَّمِّل : صيغة اسم فاعل من الفعل المضعف (زمّل) .. وهو الذى يلْتَفُ بثيابـه بإحكام ، وهى مرادفةٌ لكلمة المدثِّر . ويروى أن الرسول ﷺ حيـن نـزل علـيه الأمينُ جبريل بالوحى أولَ مرة فى غارِ حراء ، وقال له : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ ﴾ عاد إلى بيته يرتجفُ ، ويرتعش من هـول الموقـف قـائلا لأهلـه : « زملّونى .. دثّرونى » .

ويذكر الزمخشري فى تفسير قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ ﴾ [المزمل : ١ ـ ٢] .

---

(١) د. حسن محمد باجودة : تأملات فى سورة الأحزاب ، ص ٣٧٧ .

(٢) تفسير الطبري : ج ١١١٠ ، ص ٣٠٧ .

« المزمل هو الذى يتغطى بدثار أو ثياب ، ليقوم بعبادة الله امتثالا لقوله تعالى :
﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] .
[الإسراء : ٧٩] .

١٥ ـ المدثـــر

أطلقتْ هذه الصفةُ على الرسول ﷺ بعد نزول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٣] وكلمة المدثر .. مثل المزمل : فى الاشتقاق الصَّرْفى والمعنى الدَّلالى .. كما أن هاتين الصفتين سُميتْ بهما السورتان الكريمتان اللتان وردت فيهما هاتان الصفتان . ويروى أن سورة المزمل نزلتْ بعد سورة الضحى بمدة قليلة .. ثم انقطع الوحى فترةً ، ونزلت سورة المدثر لتحضه على دعوة قومه لعبادة الله سبحانه وتعالى . وهذا ما يدل عليه قوله تعالى :
﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾ .

١٦ ـ رحمةٌ للعالمين

يقول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم :
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

إن الله سبحانه أرسل رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ، لينقذهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان فى الدنيا .. ويحميهم من عذاب النار ويدخلهم الجنةَ فى الآخرة . فالرسولُ هو الرحمةُ المهداةُ إلى العالمين . وهو يؤكد هذا فى حديث رواه أبو هريرة «قيل : يا رسول الله ادع على المشركين ، قال : إنى لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمةً »[2] .

(١) راجع تفسير الزمخشري ج٤ ، ص٤١٨ ـ وتفسير ابن كثير : ج٤ ص ٢٦٤ .
(٢) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٢١١ .

فالرسول أرسله ربه رحمةً للناس فى الدنيا والآخرة .. كما أنه كان يعامل الناس بالرحمة والحكمة والشفقة .. والقرآن الكريم يؤكد معانى الرحمة أيضا فى شخصية الرسول ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩][١] .

كان الرسول ﷺ رحمة للعالمين ، كذلك فإن الرحمة كانت من أهم صفاته ، لأنه ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . كما أنه يدعو قومه إلى التمسك بالرحمة والشفقة قائلا : « إن الله رفيق يحب الرفق » .

١٧ ـ الرَّؤوفُ الرحيمُ

رؤوف (فعول) .. ورحيم (فعيل) صفتان تختلفان فى الوزن الصرفى ، لكنهما تنتميان إلى مجال نحوى واحد ، هو صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة باسم الفاعل. وهما مترادفتان من حيث المعنى ، إذْ تدلاّن على الرأفةِ والرحمة والشفقة وحبّ الخير والبرّ للخلق أجمعين .

وهاتان الصفتان ذكرتا فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٨][٢] .

والصفتان من أسماء الله الحسنى ، لكن ربَّ العزة سبحانه وتعالى أعطى بَعض صفاته للرسول ﷺ مثل : الهادي ـ الرءوف ـ الرحيم ـ النور .. وهذا تشريفٌ لم يهبه الله سبحانه لأحد من عباده سوى أكرم خلقه وأشرف رُسله .

وقد وردتْ هاتان الصفتان لله سبحانه أيضًا فى هاتين الآيتين :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] .

---

(١) فظا : جافيا فى المعاشرة ـ انفضوا : تفرقوا وابتعدوا .

(٢) عزيز : صعب وشاق ـ ما عنتم : عنتكم ومشقتكم وعنادكم ـ حريص : حفى ومهتم بهدايتكم .

١٨ ــ صاحبُ الكوثر

هذه صفة من الصفات التى خُصَّ بها النبي الأمي العربيّ ، وهى مستوحاة مـــن قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر : ١] .

الكوثر : نهر من أنهار الجنة خُصّ به الرسول ﷺ وأمته .. وقد رُويتْ فى ذلك أحاديثُ كثيرة عن الرسول ﷺ ، منها عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال : « هو نهرُ فى الجنة أعطانيه ربِّى ، لهو أشدُّ بياضًـــا مـــن اللبـــن ، وأحلى من العَسل »(١) .

إنَّ القرآن الكريمَ يفسِّر بعضُه بعضًا ، لذلك يمكن أن نتخيَّل صفاتِ نهر الكوثـــر الذى خُص به الرسول على ضوء من هذه الآية الكريمة :

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [سورة محمد : ١٥] .

تلك صفاتٌ عامة لأنهار الجنة ، أما « نهرُ الكوثر » فهو اسم علم يدل على نهر مُعيَّن ، اختصَّ به اللهُ سبحانه وتعالى الرسول ﷺ والذين آمنوا معه ، ومن أجـــل هذا فليتنافس المؤمنون برسالة محمد ﷺ .

١٩ ــ صاحبُ المقام المحمود

هذه الصفة مستمدة من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

يروى أبو هريرة عن الرسول ﷺ فى تفسير معنى «المقام المحمود» أنه قـــال : «هو المقامَ الذى أشفع فيه لأمتى ..» يوم القيامة .

---

(١) تفسير ابن كثير : ج٤ ، ص ٥٩٦ .

٢٠ ـ صاحبُ العزَّة

هذه الصفة مستوحاةٌ من قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

العزة : جلالةُ القدر وقوةُ الغلبة والنصر على الأعداء ، لأن الكلمة واردةٌ في سياق الحرب بين المسلمين والمنافقين ـ الذين زعموا أنهم إن عادوا إلى المدينة المنورة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل . فردَّ اللهُ عليهم بأن العزة والقوة لله ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون »[١] .

تعقيب :

حاولنا فيما سبق أنْ نذْكرَ أهمَّ الصفاتِ الكريمة التى وردت ـ بشكل واضح وصريح ـ للرسول ﷺ فى القرآن الكريم ، وتتمثل فى عشرين صفة هى :

مسلسل	الصفة
١	رسول اللَّه
٢	النبي
٣	عبد اللَّه
٤	بَشَر
٥	بَشير .. ومُبشّر
٦	نذير .. ومنذر
٧	شاهد .. وشهيد
٨	الهادي
٩	الأميّ

(١) راجع تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٩٤ .

١٠	كريـــــــــــــم
١١	خـــــاتم النبييـــــن
١٢	الســـــراج المنـــــير
١٣	الداعـــي إلـــى اللّـــه
١٤	المزمّـــــــــــل
١٥	المدّثـــــــــــر
١٦	رحمـــــة للعـــــالمين
١٧	الـــــرءوف الرحيـــــم
١٨	صـــــاحب الكوثـــــر
١٩	صـــاحب المقـــام المحمـــود
٢٠	صـــــاحب العـــــزة

اعلمْ ــ نوّرَ اللهُ قلبى وقلبك .. وضاعفَ فى هذا الرسول حبى وحبّك ــ أنـــه لا تزالُ هناك **صفاتٌ أُخرى للنبيِّ الكريم** فى الذكر الحكيم ، من ذلـــك علـــى ســبيل المثال:

١ ــ **مُذكِّرٌ** : التى تفهم من قوله تعـــالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾ [الغاشية : ٢١ ــ ٢٢] .

٢ ــ **الحريص على أمته** : التى وردتْ فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

٣ ــ **النور** : التى وردتْ فى الآية الكريمة :[1]

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [المائدة : ١٥] .

(١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

٤ ــ **النجم** : وقد ذكرها بعض المفسّرين فى تفسير الآية الكريمة[١] :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ ﴾ [الطارق : ١ ــ ٣] .

مغْزَى ودلالةٌ

ذكرنا من الصفات الشريفة ما أجمعَ عليه معظمُ المفسّرين الثقات ، كذلك فإننا أشرنا إلى أهم ما ينسب لصاحب الرسالة الغرّاءِ من صفات ، وتركْنا بابَ التفسير والتأويل لمن يشاء أن يُكملَ مسيرتنا فى هذا المجال ، الذى ينبغى أن يكونَ موضوعًا مستقلا لبحثٍ خاص ، وليس فصلا فى كتاب متواضع مثل كتابنا .

على ضوْءٍ من هذه الصفات الشريفة يتضحُ المغْزى النبيل ، الذى حاولنا أنْ نُشير إليه : وهو أنَّ القرآن الكريم يُعطى خاتم الأنبياء منزلة محمودة ، ودرجة عالية رفيعة ، لم تُعط لغيره من المرسلين ، إذ لم يقسم الله ــ عز وجل ــ بأحد من الرسلِ إلا بمحمد ﷺ مثلما ورد فى قوله تعالى :

﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِى سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝ ﴾ [الحجر : ٧٢][٢] .

كذلك فإنه الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد وصفَ رسوله ببعض الصفات الجليلة مثل: الهادي ــ الكريم ــ الرءوف ــ الرحيم ــ النور ــ صاحب العزّة ــ عزيز.. إلخ .

وتلك نعوتٌ لم يمنحها اللهُ لأحدٍ من ملائكته أوْ رُسله أو سائر خلقه إلا لرسوله الكريم ﷺ ، الذى بعث لكى يُتمم مكارمَ الأخلاق .. لأنه ــ بوصف القرآن ــ على خُلق عظيم . وقد ظل طوال حياته صابرًا غافرًا داعيًا لقومه بالهداية . فقد رُوى أن النبي ﷺ لما كُسرتْ رباعيته ، وشُجّ وجههُ يوم أُحدٍ ، شقّ ذلك على أصحابه شقًا

---

(١) القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج١ ص ٣٠ .
(٢) سكرتهم : غوايتهم وضلالتهم ــ يعمهون : يعمون عن الرشد .

شديدا ، وقالوا : لو دعوتَ عليهم ، فقال : إنّى لم أُبعثْ لعّانًا ، لكنّى بُعثتُ داعيًا ورحمة . اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون »[1] .

بقيتْ سمةٌ أسلوبية : تُبيِّنُ مدى تكريم الله سبحانه لرسوله فى القرآن الكريم ، ذلك أن معظمَ الأنبياء والرسل يُخاطبون بذكر الاسم مجردا من أى وصف ، كما فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ ﴾ **[هود : ٧٦]** .

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ **[هود : ٤٨]** .

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ ﴾ **[الأنعام : ٨٤]** .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى ﴾ **[الأعراف : ١٤٤]** .

﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ **[آل عمران: ٤٥]** .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ **[يوسف : ٢١]** .

الحديثُ عن الرسل والأنبياء السابقين يأتى — فى مجال النداء خاصة .. وفى كثير من الأساليب الأخرى عامة — دون وصف بالرسالة أو النبوة . **أما الآيات التى ورد فيها اسم الرسول ﷺ : علمًا أوْ وصفًا ، فقد جاء — فى الغالب — متبوعا أو مسبوقا بنعتٍ ، يدل على خصوصية المنعوت** . كما قد يستدل على تميّز التركيب اللغوى الذى يرد فيه ذكر الرسول من السياق اللغوى للآيات الكريمة ، حتى لو كان الحديث يرد من خلال الصفة مثل : المزمل — المدثر — الهادى .. ونجد هذه الخاصية الأسلوبية المتميزة فى الآيات الكريمة التالية على سبيل المثال — لا الحصر :

١ — ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ **[الفتح: ٢٩]**.

---

(١) رباعيته : أنيابه الأربعة (أسنانه) — شج: جرح — الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ج١ ، ص ١٠٥.

٢ ــ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

٣ ــ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

٤ ــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

٥ ــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر : ١ ــ ٢] .

٦ ــ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

ولا غرو أن يُعطى القرآنَ الكريم خصوصيةً فى التعبير عن الرسول ﷺ ، لأنه ــ كما قالت عنه عائشة ــ رضى الله عنها : «كان خلقه القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه »[1] . كما أنه ــ وحده ــ المختار ــ دون البشر جميعا ليكون خاتم الرسل ، ونهاية الصلة المقدسة بين السماء والأرض .

خلاصة القول

قدّمنا فى هذا المبحث أسماء الأعلام .. وأهمَّ الصفاتِ التى أُطلقت ــ فى الذكر الحكيم ــ على رسولنا الكريم محمد ﷺ . وهناك أسماء وصفات أخرى تُطلق عليه.. وردتْ فى بعض الكتب الدينية أو التاريخية أو الأدبية ، بل إن بعضها **مكتوبٌ على جدران الروضة الشريفة فى مسجده بالمدينة المنورة ومنها :**

حامد ــ محمود ــ مصطفى ــ المختار ــ سيدُ الخلْق ــ سيدُ ولد عدنان ــ سيد ولد آدم ــ عبد الله ــ حبيب الله ــ كليمُ الله ــ أبو القاسم ــ أبو إبراهيم الطيب ــ ابن عبد المطلب ــ طيّبُ ــ مطهرُ ــ طاهرُ ــ رسول الرحمة ــ رسول النور ــ رسول التوبة ــ رسول الثقلين ــ نبيُّ التوبة ــ نبي الرحمة ــ خاتم الأنبياء والمرسلين ــ حريصٌ عليكم ــ مصباحُ الهدى ــ فصيحُ اللسان ــ مطهر الجنان ــ رءوف ــ رحيم ــ صاحب اللواء ــ صاحب المعراج ــ صاحبُ البراق ــ

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ ج ١ ، ص ٩٦ .

صاحبُ المغفرة ــ صاحب الكوثرِ ــ صاحب الحوض المورُود ــ صاحبُ الشفاعة ــ الصادق ــ الأمين ــ أبو فاطمةَ الزهراء ــ جدُّ الحسن والحسيْن .

خلاصة القول : إنه لا ريب ــ فى تقديرنا ــ أن كثرةَ الصفات وتعددهــا تــدلُّ على عظمة شخصية الموصوف ، وتعدد المجالاتِ التى تشــكل عنــاصر دوْرهــا البشرى والدينى .

ولعلَّ فيما قدمنا ما يدل دلالة ساطعةً على سمو شخصية الرسول الكريم محمـــد ﷺ وعلوّ منزلته عند الله سبحانه وتعالى ، وعند الملائكة المطـــهَّرين ، والأنبيـــاء والمرسلين ، وكافة الخلق أجمعين ، ذلك ما أكدته آياتُ الذكر الحكيم ــ التى حاولنا أن نفسِّرها ابتغاءَ مرضاة الله سبحانه وتعالى وحبا فى رسول الله ﷺ .

يقول الحسنُ البصريُّ :

« حَملةُ القرآن ثلاثة : رجلٌ اتَّخذهُ بضاعة ينقلهُ من مصر إلى مصر يطلب مـــا عندَ الناس ، ورجلٌ حفظ حروفَه وضَيَّعَ حدودَه واستدرَّ به عطف الولاة واســـتطال به على الناس ، ورجلٌ علِمَ ما فيه وحفظه وعمل به داعيًا وعـــابدًا ، وهـــو خـــيْرُ الحملَة » .

اللهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، واجعلْنا من العالمين العـــاملين بآيـــاتِ كتابك الكريم ، وسنة رسولك العظيم . يا رءوف يا رحيم ، يا أحكم الحاكمين .

المبْحَثُ الخامس

الرسالةُ .. مُعجِزةُ الرَّسُول

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾

[الإسراء : ٨٨ ــ ٨٩]

الدين أهم مُشكِّلٍ للضمير

يؤيد الله سبحانه وتعالى الذين يصطفيهم ، ليكونوا دعاة هداة بصحف وكتب منزلة ، تعلم شعوبهم حقوقَ الرب وكيفية التعامل مع الناس ، فالخالق الرازق يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .

الدين أمر أساسى فى حياة البشر ، لأنه يعد أهم مشكل للضمير ، وأفضل مُنوِّر للعقل ، فشعوبُ الأرض قاطبةً ـ حتى فى عصور ما قبل التاريخ ـ كانت لكل منها عقيدة معينة ، لها شعائر وطقوس خاصة . أما تلك الشعوب التى أكرمها الله بنبى مُرسل فقد هداها إلى صراط مستقيم . وتظل دعوة النبى أو رسالة الرسول سارية المفعول إلى أن ينساها البشر ويتحولوا عنها ، فيرسل الله سبحانه وتعالى من يجدد الدعوة ، ويحيى الرسالة بدين جديد مستمدٍ من جوْهر الأديان السابقة .

هكذا يمكن أن نقول : إن تاريخَ البشرية ـ فى حقيقته ـ تاريخٌ للأديان والرسالات ، وإذا نَسخ الله رسالةً من صدور العباد ، جددها برسالة أفضل ودعوة أشمل ، لأن الشعوب تزداد عددا ، والحضارات تتطور صعدا ، لذلك ينبغى ألا نغفل نظرة التدرُّج وحتميَّةَ التطوُّر فى تاريخ الأديان . وهذا ما يمكن أن نستدل عليه من الآية الكريمة التالية :

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [البقرة : ١٠٦][1] . معنى ذلك أن ما يزول ويمحى من آيات الله ورسالاته ، فإنه ـ بقدرته وعظمته ـ يأتى بخيرٍ منها .. أو مثلها .

---

(١) ننسخ نزيلُ ونبطل ـ ننسها : نمحوها من القلوب .

القرآنُ .. معجزة مُحمَّد

كان محمد ﷺ .. أفضل خلق الله وخاتم أنبيائه ورسله ، كذلك كانت ـ ولا تزال ـ رسالته أشمل الرسالات تعريفا بحقوق الله وواجبات البشر . إن ربَّ العزة ـ جل وعلا ـ قد أيد رسله وبعض أنبيائه بمعجزاتٍ ساطعة وآيات ظاهرة ، حتى يؤمن الناس بهم ، ويسلموا بما جاءوا به . لكن معجزةَ كل رسول أو نبي كانت مؤقتة .. تأتي فترة ، وتغيب أخرى ، وأقصى دوام لها مرهون ببقاء صاحبها حيا يُرزق ، وهاديا يَرشد . ينطبق هذا على : سفينة نوح ـ عدم إحراق النار لإبراهيم ـ حوت يونس ـ ناقة صالح ـ عصا موسى ـ قدرة يوسف على تفسير الأحلام ـ كلام سليمان للطير والحيوان ـ صبر أيوب ـ إبراء عيسى للمرضى وإحياء الموتى .

كل هؤلاء الأنبياء العظام عليهم السلام انتهتْ معجزاتُهم بانتهاء حياتهم على الأرض ، لكن الله سبحانه وتعالى شرَّفَ محمدا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله ، بأن جعل معجزتَه الباهرة ـ وهي القرآن الكريم ـ تظل خالدةً إلى أبد الآبدين ، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن القرآن إذا رُفع من صدور حُفَّاظه كان ذلك آيةً على قيام الساعة .

القرآن معجزٌ ـ لأنه ليس بكلام شاعر أو ساحر أو كاهن أو منْ به جِنة ـ كما ادعى كفار قريش ، وإنما هو :

﴿ تنزيل العزيز الرحيم (٥) لتنذر قوما ما أنذر ءاباؤهم فهم غافلون(٦) ﴾ [يس: ٥ ـ ٦].

القرآن كتاب حكيم ، أيْ مُحكم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهو تنزيل من رب العزة رأفةً بعباده ورحمة ، وقد خص به الله العربَ الذين لم يبعث فيهم نبي قبل محمد ﷺ ، وإن كان هذا لا ينفي أنه موجه إلى الناس جميعا[1] .. على ضوء قوله سبحانه .. ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

---

(١) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٧١ بتصرف .

وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً ۝﴾ [الإسراء : ١٠٥ ، ١٠٦][1].

وقد ذكر الطبرى فى تفسير آيتى الإسراء السابقتين ما يلى :

«يقول تعالى ذكره : وبالحق أنزلنا هذا القرآن ، نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة . والأمور المستحسنة الحميدة ، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة ، والأخلاق الرديئة ، والأفعال الذميمة ، وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد ﷺ . وما أرسلناك يا محمد إلا مبشرا بالجنة ، من أطاعنا فانتهى إلى أمرنا ونهينا ، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا .

وهذا القرآن (فرقناه) بتخفيف الراء .. بمعنى أحكمناه وفصلناه وبيناه ، وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ بتشديد الراء بمعنى نزّلناه شيئا بعد شيء ، آيةً بعد آية، وقصةً بعد قصة .

وأولى القراءتيْن عندنا الأولى ، لأنها القراءة التى عليها الحجةُ مجتمعةً . ومعنى قوله تعالى : لتقرأه على الناس على مكث ، أى : أنه لم ينزل جميعا دفعةً واحدة ، وكان بين أوله وآخره نحو عشرين سنة ، لتقرأه على الناس على تؤدة وبيِّنة ، ولا تعجل فى تلاوته ، فلا يفهم عنك ، بناء على أن الله يقول لنبيه فى موضع آخر : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝﴾ [المزمل : ٤][2] » .

إن القرآن الكريم .. هو الآية الكبرى ، التى خصَّ بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ أفضل خلقه وأكرم رسله ﷺ . فقد رأى ربُّنا ـ بعظيم حكمته وواسع قدرته ـ ألا تكون معجزةُ آخر رسله حسيّةً مؤقتة ، وإنما أراد أن تكون معجزة روحية خالدة، تشكل دستوراً يهدى البشر فى كل زمان ومكان ؛ أىْ أن الكتاب الكريم (معجزٌ) .. على مستوى الصياغة التعبيرية ، والمعانى الروحية ، لكى يهدى الأبصار والبصائر إلى نور الإيمان بفضل آيات القرآن .

---

(١) فرقناه : بيناه وأحكمناه وفصلنا به بين الحق والباطل ، مكث : تؤدة وتأن .

(٢) أبو جعفر الطبرى : جامع البيان فى تأويل القرآن ، ج ٨ ، ص ١٦٣ .

ومعانى هذا الكتاب المقدس المعجز متدفقة لا تنفد . ولو كانت مياه البحار حبرًا لعجزتْ عن بيان أسراره وكشف دلالتـه .. ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩].

فلغةُ الوحى الإلهى المعجزةُ تتميّز عن لغة البشر من حيث بنيةُ الكلمة وتركيبُ الجملة ودلالةُ العبـارة .. ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

الأسماء التى تطلق على الرسالة

وردتْ فى كتاب الله ــ سبحانه وتعالى ــ عدةُ تسميات مختلفة تُطلـق عليـه ، سوف نعرضها ــ بإيجاز ــ بعد أن نتعرف على بعض فضائله ، التى لا تعـد ولا تحصى :

ورد فى حديث قدسى : « **من شغله القرآن عن ذكـرى ومسـألتى ، أعطيتـه أفضل ما أعطى السائلين** » .

وقال رسول الله ﷺ « **خيركم من تعلم القرآن ، وعلمه** » .

وقال أيضا : « **أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** » .

وعن فضل المعلمين فى تعليم القرآن يقول المصطفى ﷺ : « **خيرُ الناس وخير من يمشى على وجه الأرض ــ المعلمون ، فإنهم كلمـا خَلَـق الديـن جـددوه . أعطوهم ولا تستأجروهم ، فإن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيـم فقالها ، كتب الله براءةً للصبي ، وبراءة للمعلم ، وبراءة لأبويه من النار** » [1] .

ومن أحسن عملا ممن جعل القرآن ربيعَ قلبه ، وشغل فكره ، وهـدى حياتـه . وفى هذا فليتنافس المتنافسون .

---

(١) الزركشي : البرهان ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .

١ ــ القرآن الكريم :

معنى كلمة قرأ : طالع وقرأ ما هو مكتوب .

قرأتُ الكتاب قراءة وقرآنا : أى جمعتُ بعضَه إلى بعض .

كلمة قرآن فى الأصل بمعنى الجمع ، فكل شيء جمعته فقد قرأته ، وهو مصدر على وزن (فعلان) مثل غُفران وكفران . وسُمى القرآن قرآنا : لأنه جمع القصص، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور ، بعضها إلى بعض[1] .

على هذا يكون الفعل قرأ بمعنى : جمع الشيءَ وضم بعضه إلى بعض[2] . غير أن المعنى الأكثر شيوعا هو : طالع وقرأ ما هو مكتوب .

والمعنى الاصطلاحى لكلمة قرآن : أنها اسم يُطلق على الكتاب الذى يجمع ما أنزله الله ــ سبحانه ــ على محمد ﷺ . وقد وردت هذه الكلمة فى الذكر الحكيم حوالى (سبعين) مرة تقريبا[3] . وهى تعد أكثر الكلماتِ دلالة واستخداما فى الوقت ذاته .. وهى تستخدم ــ غالبا ــ متبوعة بصفة مثل : الكريم ــ العظيم ــ المجيد .

ومن الآيات التى وردت فيها هذه التسمية ــ على سبيل المثال ــ ما يلى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر : ٨٧] .

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الواقعة : ٧٧] .

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [البروج : ٢١] .

---

(٢) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ٣ ــ خلق : قدم .. أى صار قديما ــ براءة : عتق من النار.
(٢) لسان العرب ــ ج ٥ ، ص ٣٥٦٣ ــ مادة قرأ .
(٣) راجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .

٢ ـ الكتاب :

مصدر مشتق من الفعل كتب بمعنى : جمع ما هو مكتوب ، وسُمى الكتاب كتابًا، لأنه يجمع أنواعًا مكتوبةً من القصص والآيات والأحكام والأخبار(١) .

وهذه الكلمة تعد من أكثر الكلمات استخداما للدلالة على كـــلام الله ـ سـبحانه وتعالى ـ سواء أكان الكتابُ هو : التوراة أم الإنجيل أم القرآن .

وقد تأتى نكرة أو معرفة ، ومفردة أو جمعا ، ومضافة أو غير مضافة ، وحيـن يكون المقصود بالكلمة القرآن .. فإنها غالبا ما توصف بمثـل : كتـاب حكيـم ـ مبارك ـ مبين ـ عزيز ـ مصدق ـ لا ريب فيه ، وغير ذلـك مـن الصفـات الواردة فى الآيات التالية على سبيل المثال :

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة : ١ ـ ٢] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

[آل عمران : ٧] .

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥ ﴾

[الأنعام : ١٥٥] .

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ [يونس : ١] .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [النحل : ٨٩] .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ [الشعراء : ٢] .

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ﴾

[لقمان: ١ـ٣] .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ ﴾ [فصلت : ٤١] .

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف : ١٢] .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، ص ٧٢٢ ـ مادة قرأ .

٣ ـ الذكر :

وردت كلمة ذكر بمعناها المباشر والإصلاحى ما يربو على خمسين مـرةً فـى القرآن الكريم . وبالطبع نحن لا نبحث هنا عن الدلالة اللغوية المباشرة .. وهـى أن ذكر بمعنى تذكر أمرًا ، واستحضره فى العقل وجرى على اللسان .. ولم يُنس .

ولكن البحث يدور حول التوظيف الاصطلاحى للكلمة باعتبارها مرادفة لكلمـة القرآن ، فالقرآن هو الذكر الذى يُذكِّر الناسَ بضرورة عبادة الله وتوحيده والإيمـان به . ونظرا لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن كلمة الذكر مرادفة لكتاب عزيـز فـى الآية (٤١) من سـورة فصلـت .. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ ﴾[1]، [فصلت : ٤١ ـ ٤٢]

وهذه بعض الآيات التى وردت فيها تلك اللفظة بالمعنى الذى أشرنا إليه :

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾ [آل عمران : ٥٨] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر : ٩] .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل : ٤٤] .

﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ ﴾ [فصلت : ٤١] .

٤ ـ التنزيل :

كلمة تنزيل : مصدر للفعل نزّل بتضعيف الوسط . وقد ورد هذا المصدر وفعله فى الآية الكريمة :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ۝ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

---

(١) الزركشى : البرهان ، ج ١ ، ٢٧٦ .

فالقرآن تنزيل من رب العالمين .. أى وحى من الله سبحانه ، نـــزل بـه روح القدس ، وهو جبريل على الرسول ﷺ . وقد ورد هذا المصدر فى القرآن الكريـم محملا بهذه الدلالة فى حوالى (خمسة عشر) موضعا منها على سبيل المثال :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الشعراء : ١٩٢] .

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ [طه : ٤] .

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة : ٨٠] .

٥ ـ الفرقان :

الفعل المجرد فرق : مصدره فرقًا وفرقانًا ، وفرق بين الشيئين : فصل بينـــهما وميز أحدهما عن الآخر . وسمى القرآن فرقانا ، لأنه يفرق بين الحق والبـــاطل ، ويفصل بين الإيمان والكفر .

وقد وصفت التوراة بهذه الصفة أيضا فى القرآن فى أكثر من موضـــع منـــها :

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة : ٥٣] .

لكن أغلب استخدام الكلمة يأتى فى سياق يدل على أنها بدل مطابق فى المعنـــى لكلمة القرآن . وكون الكلمة تستخدم وصفا للتوراة والقرآن أمـــرا واردا ، لأنـــهما أنزلا من مصدر إلهى واحد .. على رسولين من أولى العزم .

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران : ٤] .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١] .

٦ ــ كلماتُ ربى : [كلامُ الله]

كلماتُ الله ــ يفسرها ابن كثير على أنها أحكامه وآياته الدالة ..[١] وتعنى أيضا أوامر الله .. ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ [الشورى : ٢٤] .

كما أن هذا التركيب اللفظى يستخدمُ أيضا على أنه كناية عن القــرآن الكريــم . وهذا التعبير يرد أيضا فى القرآن بتركيب آخر هو «كــلام الله » .. ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢] [الكهف : ١٠٩] .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

خلاصة القول

إن هناك ست كلمات تستخدم للدلالة على كتاب الله الحكيم ، الذى يحتــوى مــا أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ ، ويشتمل على أحكام رسالته الســامية وشــريعته الخالدة . ويتضح أن من هذه الكلمات ما يحمل دلالة مباشــــرة مثــل : القــرآن ــ الكتاب ــ التنزيل . ومنها ما يحمل دلالة بلاغية مثل: الذكر ــ التنزيل ــ كلمــــات ربى [= كلام الله].

وتلك هى الأسماء ــ مرتبة بحسب كثرة الاستخدام فى المصحف الشريف[٣] :

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ، ص ١١٤ .

(٢) المداد : ما يكتب به (الحبر) ــ نفد : انتهى وفرغ ــ مددا : عونا وزيادة .

(٣) كلمة مصحف : من الكلمات المستخدمة ــ كثيرا ــ للدلالة على القرآن ــ رغم أنها لم تـــرد فيـــه . «وسمى المصحف مصحفا : لأنه أصحف ، أى جعل جامعا للحصف المكتوبة بين الدفتين » لسان العرب ج٤ ، ص ٢٤٠٤ . ويقال إن كلمة مصحف (مثل منبر) معربة .. وقد دخلت إلى العربيـــة عـــن طريـــق الحبشية . كما ذكر ابن مسعود . [الزركشى : البرهان ــ ٢٨٢/١] .

١ ــ القرآن الكريم	٢ ــ الكتــاب	٣ ــ الذكـــر
٤ ــ التنزيــل	٥ ــ الفرقــان	٦ ــ كلمات ربى

والذى لا ريبَ فيه هو أن كثرةَ الأسماء تدل على شرف المسمَّى وسمو منزلتــه وعِظم مكانته . فهذه الأسماءُ والكناياتُ تدل على الكتاب العزيز ، الذى جعله الله ــ سبحانه ــ معجزةَ رسولنا محمد ﷺ ، وأنزله عليه منجمًا فى آياتٍ وسور خـــلال ثلاثة وعشرين عامًا فى مكة والمدينة . والقرآن كلــه نسـيج واحـد فـى النظـم والإعجاز، وهذا ما يؤكد التكامل والتناسق بين المرحلتيْن : المكية والمدنيـــة فـى تعبيرٍ ، يقدّم صورة متكاملة / متسقة من الأحكام المنزلة فى صحف مطهرة .

* * *

أسماء أخرى

ثمة أسماءٌ وصفاتٌ أخرى ــ يُنعتُ بها القرآن الكريم ــ تقع فى مرتبة تاليــة من حيث كثرة الذكر ودرجةُ الشيوع ــ ذكرها بدر الديــن محمــد بــن عبـد الله الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) مؤلف كتاب «البرهان فى علوم القــرآن»[1] .. وســوف نختار بعضًا منها .. ونعرض عن بعضٍ ، لأنه قد توسع فيها بدرجة كبيرة . ومـــا ذكرناه آنفا .. وما نقلناه عن الزركشى ــ ليس القول الأخير فى هذا المجــال ، لأن كتاب الله محيطٌ زاخر ، لا يقدر أحدٌ على تفسير حقائقه وكشف أسراره .

١ ــ نور مبين : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

٢ ــ هدى ورحمة : ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [لقمان: ١ــ٣] .

٣ ــ هدى وبشرى : ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [النمل : ١ ــ ٢] .

---

(١) البرهان ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ج ١ ، ص ٢٧٣ .

٤ ـ موعظة وشفاء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس : ٥٧] .

٥ ـ عليٌّ حكيم : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف : ٤] .

٦ ـ حكمة بالغة : ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ [القمر : ٤] .

٧ ـ حبل الله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

٨ ـ قول فصل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الطارق : ١٣] .

٩ ـ النبأ العظيم : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [النبأ : ١ ، ٢] .

١٠ ـ الوحي : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنبياء : ٤٥] .

١١ ـ بصائر للناس : ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية : ٢٠] .

١٢ ـ بيان للناس : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

١٣ ـ بلاغ للناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

١٤ ـ العروة الوثقى : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

١٥ ـ أمر الله : ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ [الطلاق : ٥] .

١٦ ـ صحف مكرمة : ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ ﴾ [عبس : ١٣ ـ ١٤] .

هذه الأسماء تُعدُّ تالية فى الأهمية بعد الأسماء الستة الأولى ، ولا ريب أن كثرة التسميات تدل على شرف المسمى ورفعة مكانته ، إن القرآن الكريم ـ وحى الله المنزل على رسوله الأمين ﷺ ـ يتصف بكل ما ذكرناه من نعوت وأكثر ، لأنه دستور الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى خلقه ، وهو دستور جامع مانع ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . كما أن القرآن الكريم ـ

معجزة الرسول الخالدة ــ هو المصدر (الأول) للتشريع الإسلامى ، لأن ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

وهو ــ كما يصفه رب العزة سبحانه : ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة : ١٥] .

من أجل هذه المنزلة الرفيعة للقرآن الكريم كان مصدر تحدٍ للإنس والجن . ولا يزال هذا شأنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

عن مكانة القرآن ومنزلته يقول المصطفى ﷺ :

« فيه نبأ من قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه قصمَه اللهُ ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو الذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغُ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنةُ ، ولا تشبع منه العلماءُ ، ولا يخلق على كثرة الرد . ولا تنقضى عجائبه . من قال به صدقَ ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل . ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم»[1] .

خلاصةُ القول :

إن القرآنَ الكريم تتعددُ أسماؤه وتتنوع صفاته . وفى هذا دلالة على عظيم مكانته وسموّ غايته ، لأن ربَّ العزة ــ سبحانه وتعالى ــ أنزله بالحق على نبيه المختار ﷺ ، ليكون رسالةً جامعة وآية خاتمة ، تهدى المؤمنين الصالحين ، إلى أنْ يرثَ الله الأرضَ ومنْ عليها ، وهو خير الوارثين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ

---

(١) نبأ : خبر ــ الفصل : الفارق بين الحق والباطل ــ قصم ظهره : شقه نصفين أى أهلكه ــ تزيغ : تبعد عن الحق ــ لا يخلق على كثرة الرّد : لا يقدم ولا يبلى بكثرة التكرار والتداول والقراءة والشرح ــ تنقضى : تنتهى ــ أُجر : نال الأجر والثواب .

فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [البقرة : ٢ ــ ٥].

* * *

استدراك .. لا بد منه

مع أن كلامنا فى هذا المبحث يدور حول القرآن الكريم ، فإن ذلك لا يحول دون أن نشير إشارةً سريعة إلى أهمية «**السنة النبوية الشريفة**» باعتبارهـا (المصـدر الثانى) للتشريع الإسلامى . ومن المعلوم أن السنة الشريفة هى : ما أُثر عن النبـى ﷺ من قول ، أو فعل ، أو ما أقره من أعمال الصحابة ــ رضوان الله عليهم ، أى ما شاهده منهم ، ولم يعترض عليه .

«يروى أن الرسول ﷺ حين بعث معاذا بن جبل إلى اليمن سأله :

ــ بم تحكمُ يا معاذ ؟

قال : بكتاب الله .

فقال الرسول ﷺ : فإنْ لم تجدْ ؟

قال : بسنة نبيه .

قال الرسول ﷺ : فإنْ لم تجدْ ؟

قال : أجتهدُ برأيى » .

والرسول ﷺ يشير إلى أهمية السنة فى أكثر من مناسبة .. آخرها حجة الوداع بقوله : «**تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله ، وسنتى**».

كما يؤكد الرسول ﷺ أهمية السنة الشريفة بقوله :

«**قد أوتيتُ القرآنَ ومثله معه** » .

والقرآن الكريمُ نفسه يؤكـد أن ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝ ﴾ [النساء : ٨٠] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء : ٦٤] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : ٧] .

من هذا يتضح أن السنة الشريفة جزء متمم لرسالة الرسول ﷺ ، وتحتاج إلى بحث خاص مفصل . لكن حديثنا فى هذا المجال يدور حول القرآن الكريم وحده ، لذلك وجب الاستدراك والتنبيه ..!!

* * *

نزولُ القرآنِ الكريم
بين المكّى والمدنى

ثمة مجموعةٌ من الكتب الدينية تتناول قضية **«أسباب النزول» الخاصة بسور القرآن وآياته** .. والكلام عن هذه القضية موجود بكثرة وتوسع عند بعض المفسرين مثل : الطبرى والزمخشرى وابن كثير القرشى وأبى حيان الأندلسى وغيرهم .

تخفيفا من الله سبحانه وتعالى على رسوله وحبيبه المختار ﷺ لم يفجأه بأمر لقاء جبريل ، إنما كان هناك إرهاصٌ لهذا اللقاء ــ الذى راعَ الرسول وأرجف فؤداه أول مرة ، فعاد إلى أهله ترتعد فرائصه من هول الموقف ودهشة اللقاء . عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى ــ الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءتْ كفلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء يتحنث[1] فيه الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى فاجأه الملك (جبريل) فقال : اقرأ ــ فقال رسول الله: ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى[2] ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهدُ ، فقال:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: ١ــ٤] .

فرجع يرجفُ فؤاده حتى دخل على خديجة فقال : زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروْع . فقلت له : أبشرْ ، فواللهِ لا يخزيك الله أبدًا . إنك لتصل الرحم ، وتحملُ الكلَّ ، وتعين على نوائب الدهر»[3] .

---

(١) يتحنث : يتعبد . (٢) غطنى : ضمنى .

(٣) أبو الحسن على بن أحمد النيسابورى : أسباب النزول .
ط الحلبى ــ القاهرة ــ ١٩٦٨ = ١٣٨٨ ، ص ٦ .

بعد «سورة العلق » نزلت سور : القلم ، فالزمل ، فـالمدثر ، فالفاتحـة .. ثـم توالى بعد ذلك نزول بقية سور العهد المكى . ومن المعروف أن القرآن الكريم نزل (منجمًا) فى حوالى ثلاث وعشرين سنة ، وينقسم إلى مرحلتيـن أو عـهدين .. أو قسمين :

أولا : السور المكية :

وهى التى نزلت فى مكة المكرمة خلال ثلاث عشرة سنة .. وهى تشتمل علـى ست وثمانين سورة ــ يأتى بيانها بعد قليل .

ثانيًا : السور المدنية :

وهى التى نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة حتى وفاته ﷺ ، وتمتد ــ هـذه المرحلة ــ إلى عشر سنوات . وتشتمل على ثمان وعشرين سورة .

وسوف نقدم ــ بإذن الله وتوفيقه .. بناء على ما وجدنا عليه إجماعَ المفسـرين ومؤلفى كتب أسباب النزول ــ إحصاءين :

أ ــ إحصاء مرتب بحسب نزول السور الكريمة .

ب ــ إحصاء مرتب بحسب ترتيب السور فى المصحف ، مع ذكر أرقام بعـض الآيات التى وردت فى عهد مغاير لما تُنسبُ إليه بعض السور .

ترتيب نزول سور القرآن الكريم

أولاً : ترتيب نزول السور المكية (٨٦) :

١ ـ العلق	٢ ـ القلم	٣ ـ المزمل	٤ ـ المدثر	٥ ـ الفاتحة
٦ ـ المسد	٧ ـ التكوير	٨ ـ الأعلى	٩ ـ الليل	١٠ ـ الفجر
١١ ـ الضحى	١٢ ـ الشرح	١٣ ـ العصر	١٤ ـ العاديات	١٥ ـ الكوثر
١٦ ـ التكاثر	١٧ ـ الماعون	١٨ ـ الكافرون	١٩ ـ الفيل	٢٠ ـ الفلق
٢١ ـ الناس	٢٢ ـ الإخلاص	٢٣ ـ النجم	٢٤ ـ عبس	٢٥ ـ القدر
٢٦ ـ الشمس	٢٧ ـ البروج	٢٨ ـ التين	٢٩ ـ قريش	٣٠ ـ القارعة
٣١ ـ القيامة	٣٢ ـ الهمزة	٣٣ ـ المرسلات	٣٤ ـ ق	٣٥ ـ البلد
٣٦ ـ الطارق	٣٧ ـ القمر	٣٨ ـ ص	٣٩ ـ الأعراف	٤٠ ـ الجن
٤١ ـ يس	٤٢ ـ الفرقان	٤٣ ـ فاطر	٤٤ ـ مريم	٤٥ ـ طه
٤٦ ـ الواقعة	٤٧ ـ الشعراء	٤٨ ـ النمل	٤٩ ـ القصص	٥٠ ـ الإسراء
٥١ ـ يونس	٥٢ ـ هود	٥٣ ـ يوسف	٥٤ ـ الحجر	٥٥ ـ الأنعام
٥٦ ـ الصافات	٥٧ ـ لقمان	٥٨ ـ سبأ	٥٩ ـ الزمر	٦٠ ـ غافر
٦١ ـ فصلت	٦٢ ـ الشورى	٦٣ ـ الزخرف	٦٤ ـ الدخان	٦٥ ـ الجاثية
٦٦ ـ الأحقاف	٦٧ ـ الذاريات	٦٨ ـ الغاشية	٦٩ ـ الكهف	٧٠ ـ النحل
٧١ ـ نوح	٧٢ ـ إبراهيم	٧٣ ـ الأنبياء	٧٤ ـ المؤمنون	٧٥ ـ السجدة
٧٦ ـ الطور	٧٧ ـ الملك	٧٨ ـ الحاقة	٧٩ ـ المعارج	٨٠ ـ النبأ
٨١ ـ النازعات	٨٢ ـ الانفطار	٨٣ ـ الانشقاق	٨٤ ـ الروم	٨٥ ـ العنكبوت
٨٦ ـ المطففين	---	---	---	---

* * *

ثانيا : ترتيب نزول السور المدنية (٢٨) :

١ ـ البقرة	٢ ـ الأنفال	٣ ـ آل عمران	٤ ـ الأحزاب	٥ ـ الممتحنة
٦ ـ النساء	٧ ـ الزلزلة	٨ ـ الحديد	٩ ـ محمد	١٠ ـ الرعد
١١ ـ الرحمن	١٢ ـ الإنسان	١٣ ـ الطلاق	١٤ ـ البينة	١٥ ـ الحشر
١٦ ـ النور	١٧ ـ الحج	١٨ ـ المنافقون	١٩ ـ المجادلة	٢٠ ـ الحجرات
٢١ ـ التحريم	٢٢ ـ التغابن	٢٣ ـ الصف	٢٤ ـ الجمعة	٢٥ ـ الفتح
٢٦ ـ المائدة	٢٧ ـ التوبة	٢٨ ـ النصر	---	---

* * *

السور المكية

١ ـ إحصاء بالآيات المدنية الواردة فى بعض السور المكية :

مسلسل	السورة	رقمها	عددها الكلى			الآيات المدنية	عددها	
١	الفاتحة	١	٧	٠	٠	--	-	
٢	الأنعام	٦	٥	٦	١	٢٠_٢٣_٩١_٩٣_١١٤_	-	
						١٤١_١٥١_١٥٢_١٥٣	٩	
٣	الأعراف	٧	٦	٠	٢	من ١٦٣ إلى ١٧٠	٨	
٤	يونس	١٠	٩	٠	١	٤٠ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ٩٦	٤	
٥	هود	١١	٣	٢	١	١٢ ـ ١٧ ـ ١١٤	٣	
٦	يوسف	١٢	١	١	١	١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٧	٤	
٧	إبراهيم	١٤	٢	٥	٠	٢٨ ـ ٢٩	٢	
٨	الحجر	١٥	٩	٩	٠	٨٧	١	
٩	النحل	١٦	٨	٢	١	من ١٢٩ إلى ١٢٨	٣	
١٠	الإسراء	١٧	١	١	١	٢٦ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٥٧	-	
						من ٧٣ إلى ٨٠	٢	١
١١	الكهف	١٨	٠	١	١	٣٨ + من ٨٣ إلى ١٠١	٠	٢
١٢	مريم	١٩	٨	٩	٠	٥٨ ـ ٧١	٢	
١٣	طه	٢٠	٥	٣	١	١٣٠ ـ ١٣١	٢	١
١٤	الأنبياء	٢١	٢	١	١	--	-	٢
١٥	المؤمنون	٢٣	٨	١	١	--	-	
١٦	الفرقان	٢٥	٧	٧	٠	من ٦٨ إلى ٧٠	٣	
١٧	الشعراء	٢٦	٧	٢	٢	١٩٧ + من ٢٢٤ إلى ٢٢٧	٥	
١٨	النمل	٢٧	٣	٩	٠	--	-	
١٩	القصص	٢٨	٨	٨	٠	من ٥٢ إلى ٥٥ + ٨٥	٥	
٢٠	العنكبوت	٢٩	٩	٦	٠	من ١ إلى ١١	١	١
٢١	الروم	٣٠	٠	٦	٠	١٧	١	

مسلسل	السورة	رقمها	عددها الكلى			الآيات المدنية	عددها	
٢٢	لقمــــــان	٣١	٤	٣	٠	من ٢٧ إلى ٢٩	٣	
٢٣	الســـجدة	٣٢	٠	٣	٠	--	-	
٢٤	ســـــبأ	٣٤	٤	٠	٠	٦	١	
٢٥	فــــاطر	٣٥	٥	٠	٠	--	-	
٢٦	يـــس	٣٦	٣	٨	٠	٤٥	١	
٢٧	الصافـــات	٣٧	٢	٨	١	--	-	
٢٨	ص	٣٨	٨	٨	٠	--	-	
٢٨	الزمـــــر	٣٩	٥	٧	٠	من ٥٢ إلى ٥٤	٣	
٣٠	غـــافر	٤٠	٥	٨	٠	٥٦ ـ ٥٧	٢	
٣١	فصلـــت	٤١	٤	٥	٠	--	-	
٣٢	الشـــورى	٤٢	٣	٥	٠	٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٧	٤	
٣٣	الزخـــرف	٤٣	٩	٨	٠	٤٥	١	
٣٤	الدخــــان	٤٤	٩	٥	٠	--	-	
٣٥	الجاثيـــة	٤٥	٧	٣	٠	١٤	١	
٣٦	الأحقـــاف	٤٦	٥	٣	٠	١٠ ـ ١٥ ـ ٣٥	٣	
٣٧	ق	٥٠	٥	٤	٠	٣٨	١	
٣٨	الذاريـــات	٥١	٠	٦	٠	--	-	
٣٩	الطـــــور	٥٢	٩	٤	٠	--	-	
٤٠	النجـــــم	٥٣	٢	٦	٠	٢٢	١	
٤١	القمـــــر	٥٤	٥	٥	٠	من ٤٤ إلى ٤٦	٣	
٤٢	الواقعــــة	٥٦	٦	٩	٠	٨١ ـ ٨٢	٢	
	الملـــــك	٦٧	٠	٣	٠	--	-	
٤٣	القلــــــم	٦٨	٢	٥	٠	من ١٧ إلى ٣٣	-	
٤٤						ومن ٤٨ إلى ٥٠	٩	١
٤٥	الحاقـــــة	٦٩	٢	٥	٠	--	-	

مسلسل	السورة	رقمها	عددها الكلى			الآيات المدنية	عددها	
٤٦	المعارج	٧٠	٤	٤	٠	--	--	
٤٧	نوح	٧١	٨	٢	٠	--	--	
٤٨	الجن	٧٢	٨	٢	٠	--	--	
٤٩	المزمل	٧٣	٠	٢	٠	١٠ ـ ١١ ـ ٢٠	٣	
٥٠	المدثر	٧٤	٦	٥	٠	--	--	
٥١	القيامة	٧٥	٠	٤	٠	--	--	
٥٢	المرسلات	٧٧	٠	٥	٠	--	--	
٥٣	النبأ	٧٨	٠	٤	٠	٤٨	١	
٥٤	النازعات	٧٩	٦	٤	٠	--	--	
٥٥	عبس	٨٠	٢	٤	٠	--	--	
٥٦	اتكوير	٨١	٩	٢	٠	--	--	
٥٧	الانفطار	٨٢	٩	١	٠	--	--	
٥٨	المطففين	٨٣	٦	٣	٠	--	--	
٥٩	الانشقاق	٨٤	٥	٢	٠	--	--	
٦٠	البروج	٨٥	٢	٢	٠	--	--	
٦١	الطارق	٨٦	٧	١	٠	--	--	
٦٢	الأعلى	٨٧	٩	١	٠	--	--	
٦٣	الغاشية	٨٨	٦	٢	٠	--	--	
٦٤	الفجر	٨٩	٠	٣	٠	--	--	
٦٥	البلد	٩٠	٠	٢	٠	--	--	
٦٦	الشمس	٩١	٥	١	٠	--	--	
٦٧	الليل	٩٢	١	٢	٠	--	--	
٦٨	الضحى	٩٤	١	١	٠	--	--	
٦٩	الشرح	٩٥	٨	٠	٠	--	--	
٧٠	التين	٩٦	٨	٠	٠	--	--	

مسلسل	السورة	رقمها	عددها الكلى			الآيات المدنية	عددها	
٧١	العلق	٩٧	٩	١	٠	--	-	
٧٢	القدر	١٠٠	٥	٠	٠	--	-	
٧٣	العاديات	١٠١	١	١	٠	--	-	
٧٤	القارعة	١١٠	١	١	٠	--	-	
٧٥	التكاثر	١٠٢	٨	٠	٠	--	-	
٧٦	العصر	١٠٣	٣	٠	٠	--	-	
٧٧	الهمزة	١٠٤	٩	٠	٠	--	-	
٧٨	الفيل	١٠٥	٥	٠	٠	--	-	
٧٩	قريش	١٠٦	٤	٠	٠	--	-	
٨٠	الماعون	١٠٧	٧	٠	٠	من ١ إلى ٣	٣	
٨١	الكوثر	١٠٨	٣	٠	٠	--	-	
٨٢	الكافرون	١٠٩	٦	٠	٠	--	-	
٨٣	المسد	١١١	٥	٠	٠	--	-	
٨٤	الإخلاص	١١٢	٤	٠	٠	--	-	
٨٥	الفلق	١١٣	٥	٠	٠	--	-	
٨٦	الناس	١١٤	٦	٠	٠	--	-	
٨٦			٤٥١٣				٢	١٥

من الجدول السابق تتضح الحقائق التالية :

أولاً : عدد السور الملكية = ٨٦ سورة .

ثانيًا : عدد الآيات الكريمة فيها = ٤٥١٣ آية .

ثالثًا : عدد الآيات المدنية فيها : ١٥٢ آية .

رابعًا : عدد الآيات المكية فى السور المكية = ٤٥١٣ ـــ ١٥٢ = ٤٣٦١ آية .

خامسًا : عدد الآيات المكية فى السور المدنية = ١٥ آية .

سادسًا : مجمل الآيات المكية = ٤٣٦١ + ١٥ = ٤٣٧٦ آية .

السور المدنية

٢ ــ إحصاء بالآيات المكية فى السور المدنية :

مسلسل	السورة	رقمها	عددها الكلى			الآيات المدنية	عددها	
١	البقرة	٢	٦	٨	٢	--	-	
٢	آل عمران	٣	٠	٠	٢	--	-	
٣	النساء	٤	٦	٧	١	--	-	
٤	المائدة	٥	٠	٢	١	٣	١	
٥	الأنفال	٨	٥	٧	٠	من ٣٠ إلى ٣٦	٧	
٦	التوبة	٩	٩	٢	١	١٢٨ ــ ١٢٩	٢	٠
٧	الرعد	١٣	٣	٧	٠	--	-	٠
٨	الحج	٢٢	٨	٤	٠	من ٥٢ إلى ٥٥	٤	٠
٩	النور	٢٤	٤	٧	٠	--	-	
١٠	الأحزاب	٣٣	٣	٦	٠	--	-	٠
١١	محمد	٤٧	٨	٧	٠	٣	١	
١٢	الفتح	٤٨	٩	٣	٠	--	-	
١٣	الحجرات	٤٩	٨	٢	٠	--	-	
١٤	الرحمن	٥٥	٨	١	٠	--	-	
١٥	الحديد	٥٧	٩	٧	٠	--	-	
١٦	المجادلة	٥٨	٢	٢	٠	--	-	
١٧	الحشر	٥٩	٤	٢	٠	--	-	
١٨	الممتحنة	٦٠	٣	٢	٠	--	-	
١٩	الصف	٦١	٤	١	٠	--	-	
٢٠	الجمعة	٦٢	١	١	٠	--	-	
٢١	المنافقون	٦٣	١	١	٠	--	-	
٢٢	التغابن	٦٤	٨	١	٠	--	-	
٢٣	الطلاق	٦٥	٢	١	٠	--	-	
٢٤	التحريم	٦٦	٢	١	٠	--	-	
٢٥	الإنسان	٧٦	١	٣	٠	--	-	
٢٦	البينة	٩٨	٨	٠	٠		-	
٢٧	الزلزلة	٩٩	٨	٠	٠		-	
٢٨	النصر	١١٠	٣	٠	٠		-	
							-	
			١٦٢٣				١٥	

من الجدول السابق تتضح الحقائق التالية :

أولاً : عدد السور المدنية = ٢٨ سورة .

ثانيًا : عدد آيات السور المدنية = ١٦٢٣ آية .

ثالثًا : عدد الآيات المكية فى السور المدنية = ١٥ آية .

رابعًا : عدد آيات السور المدنية = ١٦٢٣ ــ ١٥ = ١٦٠٨ آية .

خامسًا : مجمل الآيات المدنية = ١٦٠٨ + ١٥٢ = ١٧٦٠ آية . .

سادسًا : مجمل سور القرآن الكريم :

= ٨٦ (مكية) + ٢٨ (مدنية) = ١١٤ سورة

سابعًا : مجمل الآيات الكريمة التى يشتمل عليها القرآن العظيم :

= ٤٣٧٦ (مكية) + ١٧٦٠ (مدنية) = ٦١٣٦ آية .

القرآن الكريم .. معجزةُ النبى الأمى محمد بن عبد الله ﷺ ، وهـــذا الكتـــاب المعجز فيه تبيان وتوضيحٌ لكل أمور الحياة والبعث ، وهو يهدى للتى هى أقـــوم ، لذلك يقول عنه من شرفَ رسولنا بالنزول عليه .. وخـــصَّ أمتنـــا بالإيمـــان بـــه والخشوع إليه :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩](١) .

فالمولى قدم لعباده فى هذا الدستور الجامع كل ما يحتاجون إليـه .. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨](٢) .

فالقرآن عِصمةُ المؤمن فى الدنيا والآخرة: يقول الرسول ﷺ : «ستكون فتن .

قيل : وما المخرج منها ؟

قال : كتاب الله : فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم »(٣) .

وقد أنزل ربُنا ـــ جلتْ قدرتُه ـــ هذا الكتابَ العظيم بلغة العرب الذين أنزل لهم خاصة وللعالمين كافةً ، حتى يبصرهم بأمور الدنيا والآخرة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ويخرجهم من الظلمات إلى النـــور.. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طـــه : ١١٣ ـــ ١١٤] .

نظرًا لأهمية القرآن الكريم ـــ بالنسبة للبشـــرية جمعـــاء .. وليـــس بالنســـبة للمسلمين فحسب .. كما سوف نوضّح فيما بعد ـــ فقد نال هذا الكتابُ المقدس مـــن عنايةَ المسلمين ـــ منذُ عصر الرسول ﷺ إلى اليوم ـــ عناية لا تُعـــدُّ ولا تُحـــد ، سواء من حيث حفظه والمحافظة عليه .. أم من حيث تلاوته وتفسيره .

---

(١) تبيانا : توضيحا .   (٢) فرطنا : أغفلنا وتركنا .

(٣) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ـــ ج٤ ، ص ٢٨ .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : « ليستْ تنزل بأحد فى الدين نازلةٌ إلا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها » . وقال أيضا : « جميع ما تقولـــه الأمـــة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن » يؤيد هذا قوله ﷺ :

« **إنى لا أُحل إلا ما أحل الله ، ولا أُحرِّم إلا ما حرَّم الله فى كتابه** »[1] .

وسوف نقدم فيما يلى ـــ باختصار شديد ـــ بعض الحقائق الخاصـــة بـــالقرآن الكريم باعتباره رسالة نبينا محمد ﷺ ، وهذه الرسالة دستور للبشر أجمعين ، ولن تهتدى الإنسانية إلى الصراط المستقيم والسبيل القويم إلا عندما تعرف حـــدود مـــا أنزل الله على رسوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور : ٥٤] .

* * *

نزول القرآن مُنجَّما

قال تعـــالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القدر : ١ ـــ ٤] .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

الذى عليه إجماع معظم الفقهاء والمفسرين أن القرآن الكريم نزل من اللـــوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر جملة واحدة . ثم نزل بعد ذلك منجمـــا .. ومتفرقا حسب الأحداث والمناسبات التى تعرض لها الرسول ﷺ والذين آمنوا معه خلال ثلاث وعشرين سنة . وهنا نشير إلى أمر غاية فى الأهمية بالنســبة لتفســير القرآن ، **هو أهمية معرفة أسباب النزول الخاصة ببعض السور والآيات الكريمة .**

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن : ج٤ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

الكتبُ السماوية نزلتْ دفعةً واحدة.. أما القرآن العظيم فقد نزل منجما متفرقـا، والسبب فى ذلك هو أن تكرارَ **نزول الوحى على الرسول ﷺ يثبّتُ قلبه ، ويقـوى عزمَه ، ويجدد العهد معه** ، حتى يواصل الطريق دون أن يحس أن ربه قد ودّعـه أو قـلاه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ ﴾ **[الفرقان : ٣٢ ــ ٣٣]** .

وقـال تعـالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ **[هود : ١٢٠]** .

هذا النزول المتواصل واللقاء المستمر بين الرسول ﷺ .. وبين الروح الأميـن ــ جبريل عليه السلام ــ ميزةٌ ، لم يهبها الله سبحانه لأحد من أنبيائه أو حتى رسـله أولى العزم ، وإنما خَص بها ــ فقط ــ عبده ورسوله محمدا ﷺ ، وقد أراد الله بـهذه الصلة المتواصلة أن يقوّى عزيمةَ رسوله حتى يواصل الدعوة وينشرَ الرسالة، لذلـك يقال إن رسول الله ﷺ كان أجود ما يكون فى رمضان ، لكثرة نزول جبريل عليه .

سبب آخر لنزول القرآن منجمًا : هو أن تكون الآياتُ البينات إجابةً وتفسـيرًا لما يتعرَّضُ له الدين والرسول والمسلمون من مواقف ومسائلَ ، ومـن ثـم يـأتى الوحىُ الأمين ، ليحلَّ المسألة ويشرحَ أبعادَ القضية ــ على أساس أن هذه القضايـا والمواقف ، لا تتصلُ باللحظة الزمانية الآنية الخاصة بسيرة الرسول ﷺ ومسـيرة الدعوة فحسب ، وإنما على أساس أنها تفسيرُ وتفصيلٌ لكـل المواقـف المشـابهة والقضايا المتجددة . « يروى أن عبد الله بن أمِّ مكتوم أتى النبيَّ ﷺ وهو يكلم عتبة ابن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيًّا وأميةَ ابنـيْ خلـف ، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويرجو إسلامهم ، فقام ابن أم مكتوم وقال :

ــ يا رسول الله علمنى مما علمك الله .

وجعل يناديه ويكرر النداء ، ولا يدرى أنه مشتغل ومقبل على غيره ، حتـى ظهرت الكراهية فى وجه الرسول ﷺ لقطعه كلامه . فعبسَ وأعرض عنه ، وأقبـل

على السادة الذين يكلمهم أملا فى أن يهديهم الله . بعد ذلك مباشرة نـــزل الوحـــى الإلهى معاتبا الرسول ﷺ .. الذى أقبل على الأغنياء والســادة ، وأعــرض عــن الفقراء الضعفاء »[1] . والآيات الكريمة الدالة على ذلك هى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ [عبـس : ١ ــ ١٠]
ورغم حب الله لرسوله ، فإنه عاتبه على ما بدر منه ، لأنه أراد أن يعلمه .. ويعلـم أمته جميعا : أن أفضل الناس أتقاهم ، حتى لو كان عبدا حبشيا ، وأننا ينبغـــى ألا نقوم البشر بمقياس المادة وسعة الرزق أو المكانة الاجتماعية ، وإنما على أســـاس طهارة الروح ونقاء السريرة . وقد أكرمه الرسول ﷺ بعد ذلـــك ، وكــان إذا رآه يقول مبتسما : «مرحبا بمن عاتبنى ربى فيه » .

فهذه الموعظة ليست للرسول ﷺ وحده .. وإنما هى درس لأمته على مــــر العصور والدهور . ورغم هذا فإن العبرة دائما بعموم اللفظ لا بخصوص الســبب ، ومع ذلك تبقى للسبب المباشر أهميته فى توجيه العموم وتشخيصه .

يذكر الزركشى رأيا فى قضية نزول القرآن ، يحاول فيه أن ينفى وجه الغرابة فى نزوله منجما « وقيل : معنى « لنثبت به فؤادك» ، لتحفظه ، فإنه عليه الســلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ففرق عليه ، ليبسر (الله) عليه حفظه .. فــإن قلــت : كان فى القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبى ﷺ دفعة ، قلت : ليس كـــل ممكـــن لازم الوقوع . وأيضا فى القرآن أجوبة عن أسئلة ، فهو سبب من أســـباب تفــرق النزول ، ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ، ولا يتأتى ذلـــك إلا فيمـــا إذا أنـــزل مفرقا»[2] .

هناك أسباب أخرى تبرر نزول القرآن منجما بحسب المناسبات ، ويمكن

---

(١) راجع : النيسابورى : أسباب النزول ، ص ٢٩٧ . كان عبد الله أعمى لا يبصر .
(٢) الزركشى : البرهان ج ١ ، ص ٢٣١ .

الرجوع إليها فى الكتب الخاصة بأسباب النزول وبعض كتب التفسير وعلوم القرآن، مثل : تفسير الطبرى ، والزمخشرى ، وابن كثير ، والإتقان للسيوطى ، والبرهان للزركشى ، وأسباب النزول للنيسابورى – على سبيل المثال لا الحصر .

* * *

ترتيب القرآن وتدوينه

قبل أن يتوفى الرسول ﷺ كان القرآن الكريم قد اكتمل بنزول الآية قبل الأخيرة فيه .. وهى قوله تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ **[المائدة : ٣]** .

وعلى الرغم من نزول القرآن منجما .. متفرقا ، فقد تعهد الرسول ﷺ بترتيبه وتلاوته حسب وحى من الله تعالى إليه . يقول ابن عباس الذى يوصف بأنه ترجمان القرآن:

« كان رسول ﷺ يأتى عليه الزمان .. وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فإذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا »(١) .

معنى هذا أن الرسول ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أتم نشر مبادئ رسالته ، ورضى لأمته الإسلام دينا ، وأكمل كل ما أراد الله أن يذكر به عباده . والذى عليه جمهور الصحابة والأئمة والمفسرون والفقهاء .. **هو أن ترتيب القرآن بالنسق المعروف والشكل المألوف بالرسم العثمانى ، كل ذلك كان (توقيفا) بأمر الرسول بناء على ما أوحى إليه من ربه** . فقد كان جبريل يراجعه فى شهر رمضان من كل سنة . وفى السنة الأخيرة عرض الرسول عليه القرآن مرتين ؛ وعلى هذا فإن ترتيب سور القرآن وآياته أمر قدره رب العالمين منذ الأزل . يقول وهو خير القائلين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ **[الحجر : ٩]** .

---

(١) الزركشى : البرهان ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

إن الذى أنزل القرآن هو الذى تولى أمر حفظه .. والله خير حافظا ، وهو المهيمنُ على شئون خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين والحافظين .

كما كان جبريل هو الواسطة بين الله سبحانه ـ ورسوله ﷺ ، فأنزل القرآن على النحو الذى أمر به. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥] .

مما يؤكد أن القرآن الكريم ظل محافظا عليه ـ بعد أن رسختْ كلماته ومعانيه فى صدور النبى وأصحابه ـ أنه لم يكن محفوظا كما قرأه الرسول ﷺ فحسب ، وإنما كان (مدونا) عند بعض الصحابة من كتاب الوحى .. ومن أهمهم :

على بن أبى طالب ـ عثمان بن عفان ـ زيد بن ثابت ـ عبد الله بن مسعود ـ أبى بن كعب ـ حذيفة بن اليمان ـ أبو هريرة ـ أبو موسى الأشعرى ـ طلحة ابن عبيد الله ـ أبو الدرداء ـ معاوية بن أبى سفيان ـ معاذ بن جبل .

ويجب أن نعلم أن كتابة القرآن وجمعه فى عصر أبى بكر ليست أمرا مستحدثا ، فإن الرسول ﷺ نفسه كان يأمر بكتابته .. ولكن المكتوب منه كان مفرقا عند من يجيدون الكتابة من الصحابة الذين أذن لهم الرسول بذلك .

كما أن القرآن كان مكتوبا كله فى بيت النبى ﷺ ومجموعا ، لكنه غير مرتب السور . لقد كان الرسول ﷺ أخبر خلق الله بكتاب الله .. وقد أمنه الله من النسيان بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعلى : ٦] . فلما مات ﷺ بعد أن أكمل رسالته ، ألهم الله خلفاءه بأن يجمعوا القرآن فى كتاب واحد ، حتى لا يختلفوا بعد رحيل رسولهم ﷺ .

« فى (كتاب صحيح) البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد الرسول ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد الأنصارى »[1] . وهذا يؤكد أن القرآن

---

(١) الزركشى : البرهان ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

الكريم كان مدونا منذ عصر الرسول ﷺ . وتلك مسئولية أقرها رب العـزة علـى نفسه حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر : ٩] .

أما سبب جمع القرآن وتدوينه بين دفتى كتاب : فيعود إلـى مـوت بعـض الحفظة فى حروب الردة فى السنة الثانية من ولاية عبد الله بن أبى قحافة .. وهـو أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه :

روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال :« أرسل إلى أبو بكر بعـد مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتـل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن[١] ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بـالمواطن[٢] ، فيذهب كثير من القراء . وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ .

فقال عمر : والله إن هذا خير .

فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، وقد رأيت فى ذلك الـذى رأى عمر .

قال زيد .. وقال أبو بكر : إنك رجل عاقل لا أتهمك . وقد كنت تكتب الوحـى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه .

قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ، ما كان بأثقل على مما أمرنـى به من جمع القرآن »[٣] .

وقد مضى زيد فى مهمته المقدسة المقدسة ، يجمع القرآن مما دون فيـه مـن العسب[٤] ، واللخاف[٥] ، وصدور الرجال . وبعد أن تمت كتابة (نسخة كاملـة) ، أودعت عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

---

(١) استشهد فى معركة اليمامة من الصحابة حوالى أربعمائة وخمسين ، وجملة القتلى من المسلمين ـ فى حروب الردة ـ حوالى ألف شهيد .   (٢) المواطن : البلاد .

(٣) الزركشى : البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٤) العسب : ج عسب ، وهى جريد النخل إذا نحى عنه خوصه .

(٥) اللخاف : ج لخفة ، وهى حجارة بيضاء عريضة رقيقة .

فلما كان عصر عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ قدم عليه حذيفة بن اليمان الذى شارك فى فتح بلاد أرمينية وأذربيجان ، وقد أفزعه اختلاف بعض المجاهدين فى قراءة بعض آيات القرآن ، فقال لعثمان :

ــ أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى .

فأرسل عثمان إلى حفصة [بنت عمر بن الخطاب] أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . وكان عثمان قد قال للرهط القرشيين : **إذا اختلفتم أنتم وزيد فى شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم** »[1] .

بعد ذلك رد عثمان ــ رضى الله عنه ــ النسخة الأولى إلى السيدة حفصة .. [زوج الرسول] ، وأرسل نسخة إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق وبقيت نسخة عنده فى المدينة . ثم إنه أمر بإحراق كل صحيفة فيها شيء من القرآن ، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد .

بمثل هذا الحرص الشديد على جمع القرآن وتدوينه من أولئك المسلمين الأتقياء الذين كانوا يكتبون الوحى فى حياة الرسول ﷺ ، تم جمع القرآن وتدوينه جمعا صحيحا دقيقا .. فالقرآن نزل بالحق ، ودون بالصدق ، ولم يكن يجرؤ أى من هؤلاء الصحابة الأنقياء أن يزيد أو ينقص حرفا واحدا، إذ أن إيمانهم الصادق كان يحول بينهم وبين أى هوى .. أو ريبة . ولا شك أنهم كانوا يدركون تحذير الرسول ــ الذى قال فيه : « **من كذب على متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار** » .

وقد روعيت هذه الدقة فيما بعد حين تصدى علماء المسلمين لتفسير القرآن .. لأنهم كانوا يعون قول الرسول ﷺ : « **من قال فى القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ** » .

---

(١) الزركشى : البرهان ــ ج ١ ، ص ٢٣٦ .

وقد دُوِّنَ القرآن وكُتب بلسانِ قريش ـ كما نزل ، ومـن ثـم كـانتْ قـراءةُ الجمهور تتفق مع طبيعة لغة قريش ، بل إن القراءات التى حصرها ابن مجاهد فـى سبع ، وهى أشهر القراءات ، كانت فى الوقت نفسه أقربَ إلى لغة قريـش ، أى أن القرآن كتب بلسان قريش ، وقرئ بلغتها أيضا . والقراء السبعة الذين اختار ابـن مجاهد قراءتهم هم : ابن عامر ـ نافع ـ ابن كثير ـ أبو عمرو بـن العـلاء ـ عاصم ـ حمزة ـ الكسائى .

وعند كتابة القرآن الكريم بالخط العثمانى حدثَ ما يلى :

قُسم القـرآن كله إلـى :	←	٣٠ جزءًا
وكل جزء قُسِّـم إلـى :	←	حزبيْن
وكل حزبٍ قسم إلـى :	←	أربعة أرباع

والهدف من هذا التقسيم ـ الذى تمَّ فى عهد الأمويِّين فى القرآن الأول الهجرى ـ هو : تسهيل التلاوة والحفظ لمن شرح الله صدره لقراءة القرآن وحفظه . وقد ظـل هذا الرسم الإملائى وذلك التقسيم طوال العصور التالية .. وحتى اليوم .

* * *

القرآنُ معجزٌ .. كيف .. وإلى متى ؟!

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [سورة النحل : ٦٠] . إنّ ما يقدمه القرآن الكريم مـن آياتٍ بينات ومعجزات باهرات ، يعدُّ مثلا أعلى للبشر فى كل المجالات ، فقد ذكـر ربُّ العزة ـ سبحانه ـ فى كتابه العظيم صفاته الحسنى وأفضالـه العظمـى ، إذْ أرسل إلى عباده نبيا كريما برسالة سامية خالدة ، ليخرجَهم بها من ظلمات الكفـر إلى أضواء الإيمان . القرآن إذن مصدر كل شئ بالنسبة للبشر أجمعيـن . يقـول رب العالمين :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر : ٢٧ ـ ٢٨] .

القرآن ــ إذن ــ يرسم طريق العبادة ، ويصور أسلوب الحياة ، ويوضح سبيل النجاة فى الدنيا والآخرة ، أى أنه دستور عبادة ومنهج حياة ، وهو هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور .. وخذ من القرآن ما شئت لما شئت . فمن يتدبر آيات الفرقان تكشف عنه الحجب ، وتدرأ عنه الكرب . وهو كتاب ليس خاصا بالعرب وحدهم ، وإنما هو رسالة عامة للبشر أجمعين . ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يتقبل منه . يقول المولى عز وجل مخاطبا رسوله الكريم :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

القرآن العظيم ــ رسالة محمد ﷺ ــ رحمة للناس كافة . وإذا ما حاولنا أن نتبين وجوه إعجازه ، فسوف نفكر طويلا ، ونتردد كثيرا .. ونقول قليلا ، لأن **القرآن ــ باختصار شديد ــ معجز فى أى مجال نظرت منه إليه : إنه معجز بمعانيه الفاصلة ، ومضامينه الزاخرة، ومعجز بطريقة ترتيب سوره ، وتنسيق آياته، وتركيب مفرداته .!!**

دين يشيد آية فى آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جل جلاله البناء[1]

اعلم ــ هدانى الله وهداك .. وجعل القرآن ربيع قلبى وقلبك ــ أن الله جلت قدرته ، وعظمت حكمته ، **قد جعل معجزة كل نبى مما اشتهر به قومه وأتقنه شعبه. ولما كانت العرب أمة (شاعرة) ، تجيد نظم الشعر ورواية القص .. فقد جعل ربنا معجزة القرآن الكريم ــ فى المقام الأول ــ معجزة لغوية بلاغية** ، لذلك نجد أن معظم من سمعوه فى بداية عصر البعثة ، انجذبوا نحو طلاوة العبارة وحلاوة الدلالة ــ وقال ــ مثل الوليد بن المغيرة : ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[المدثر : ٢٤]** .

---

(١) الشوقيات : ج ١ ، ص ٢٦ ــ يشيد : يبنى ويقام ــ لبناته : أحجاره ــ السورات والأضواء : السور والنور الذى يشع منها ــ البناء : البانى والمؤسس .

كما أن عمر بن الخطاب حين قرأ صدر « سورة طه » عند سعيد بن زيد زوج أخته فاطمة ، قال : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .. ثم قال : دلني على محمد يا خباب حتى آتيه فأسلم »[1] .

يقول جلال الدين السيوطى :

« اعلم أن المعجزة خرق للعادة ، مقرون بالتحدى ، سالم عن المعارضة .. وإن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم . فلم يشاهدها إلا من حضرها. ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه العادة فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات .

قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » .

والمعنى أن المعجزات الماضية (للأنبياء والرسل) كانت حسية تشاهد بالأبصار: كناقة صالح وعصا موسى ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذى يشاهد بعين الرأس ، ينقرض بانقراض مشاهده ، والذى يشاهد بعين العقل باق ، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا »[2] .

وقد تحدى القرآن العرب ـ الذين لم يؤمنوا ـ أن يأتوا بحديث مثله .. أو بعشر سور .. أو على الأقل بسورة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

والقرآن ليس معجزة تستعصى على البشر فحسب ، وإنما على الجن أيضا :

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ـ ج ١١ ، ص ١٦٤ ـ خباب : هو الذى كان يعلم سعيدا وزوجه فاطمة بنت الخطاب قراءة القرآن .

(٢) السيوطى : الإتقان ـ ج ٤ ، ص ٤ .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

من وجوه إعجازه ـ أيضا ـ الإخبار بقصص السابقين ، والحديث عن أمور غيبية سوف تقع وتتحقق فى المستقبل ، مثل قوله تعالى مشيرا إلى هزيمة دولة الروم : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾
[الروم : ١ ـ ٥] .

قال الإمام فخر الدين الرازى : «وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب » .

قال الزملكانى : «وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة ، وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى » .

قال ابن عطية : «الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه إعجازه ـ أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه »[1] .

الرأى الأخير قريب من رأى عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه : دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة ، حيث يرى أن القرآن الكريم معجز بطريقة نظمه وأسلوب تأليفه . وهذا الرأى قريب أيضا مما ذهب إليه حازم القرطاجنى فى «منهاج البلغاء» : «وجه الإعجاز فى القرآن الكريم من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها فى جميعه »[2] .

ومما عدده السلف الصالح فى مظاهر الإعجاز القرآنى : تأثيره القوى فى القلوب ، حيث يجعل من يستمع إليه يخشع لذكر الله .. ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

---

(١) السيوطى : الإتقان ـ ج ٤ ، ص ٩ .   (٢) المرجع السابق : ص ١٠ .

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر : ٢٣][(١)] .

وقال آخرون : ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية والأمم السابقة .

وقال آخرون : ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع .

وقال آخرون : كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ، ويشق حصرها .

ومن وجوه إعجازه أيضا الروعة التى تلحق قلوب سامعيه ، والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته . وقد أسلم جماعة من الصحابة عند سماع بعض آيات القرآن تتلى عليهم ، كما حدث مع عمر بن الخطاب وجبير بن مطعم .. وغيرهما[(٢)] .

* * *

خلاصة القول

إن القرآن الكريم معجز لكل البشر ـــ ناهيك عن أمر الجن ، هذا الإعجاز وذلك التحدى قائمان منذ تلاه الرسول ﷺ على العرب مسلمين وكافرين . وسوف يظل الإنس والجن عاجزين عن أن يأتوا بسورة من مثله إلى أبد الآبدين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . **فالقرآن معجز بكل ما فيه : مبنى ومعنى ، تركيبا ودلالة ، ومعجز بطريقة ترتيب سوره ، وتنسيق آياته داخل السور** . كما أنه معجز حتى بطريقة تلاوته ، التى لا تأخذ بمجامع قلوب البشر فحسب ، بل تجذب الجن ـــ أيضا ـــ بقوة تأثيره فى القلوب قبل الآذان :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ **[الجن : ١ ـــ ٢]** [(٣)] . وإلى هذه

---

(١) متشابها : فى إعجازه وهدايته وخصائصه ـــ مثانى : مكررا فيه الأحكام والمواعظ وغيرها .

(٢) راجع الإتقان : ج ٤ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٣) راجع تفسير الطبرى : ج ١٢ ، ص ٢٥٨ .

الحادثة تشير آية أخـرى هـى قولـه تعـالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

والقرآن يتجاوز تأثيره الإيمانى قلوب البشر وأرواح الجن إلى صخور الجبال:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر : ٢١](1) .

القرآن .. نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من شرح صدره للإيمـان . اللـهم اشرح صدورنا لكلماتك التامات ، وآياتك البينات ، فى الدنيا وبعد الممات ، يا بديـع الأرض والسموات .

ننتهى من حديثنا المختصر – عن إعجاز القرآن الكريم – إلى أن محاولة تحديـد وجوه الإعجاز القرآنى – أيضا – أمر معجز . وهل يقدر إنسان ضعيـف مـهما أوتى من علم وحكمة أن يحيط بأسرار عظمة كتاب ، جعله رب العزة رسالة خـاتم أنبيائه وأفضل رسله وخير خلقـه ؟!. ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

معنى هذا أن أشجار الأرض وبحارها لو تحولتا إلى أقلام وأحبار .. لنفدتا قبل أن تقدرا على تفسير كلمات الله وأوامره وأحكامه ، وشرح دلالات معانيها ، وبيـان وجوه إعجازها . وإذا عجزت الأشجار والبحار .. فمن باب أولى أن تعجز الأقـلام والأوراق..!!

---

(١) متصدعا : متشققا كناية عن الخشوع والرهبة .

فى النهاية نؤكد أن بعثة الرسول الكريم محمد ﷺ رحمة ، أهداها الله للبشـــر أجمعين، وتنزيل القرآن هبة من العاطى الوهاب ، لينتفع بها أولو الألباب على مــر العصور وتتابع الدهور :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾
[آل عمران : ١٦٤] .

اللهم اجعل ذكرك مصباح حياتنا ، والقرآن ربيع قلوبنا ، وحب الرسول أنـــس نفوسنا . اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، واتباعا لسنة نبيك ، وفق المسلمين إلى طاعاتك ، والاعتصام بكتابك ، وهدى رسولك ، حتى ينتشر نور الإيمان فى قلـــب كل إنسان ، فى كل زمان ومكان ..!!

خاتمـــــةٌ

الإسْلام .. دينُ السَّلام

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[فصلت : ٣٣]

الإسلام .. دين السلام

الإسلام دين الفطرة

على منبر مسجده الشريف جلس رسول الله ﷺ ـ قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بأيام معدودات ـ وهو يعانى آلام المرض وسكرات الموت عاصبا رأسه . وبعد أن حمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ، قال :

« أيها الناس أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه قبله ، وإنه لخليق بالإمارة ، وإن أباه كان خليقا لها » .. ثم قال :

« إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله». ففهمها أبو بكر وعرف أنه يعنى نفسه فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا . قال ﷺ : «انظروا إلى هذه الأبواب اللافظة[1] فى المسجد ، فسدوها إلا باب أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحدا كان فى الصحبة أفضل عندى يدا منه . وإننى لو كنت متخذا من العباد خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن صحبة وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده . »

وبعد ذلك قال : « يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيبتى[2] ، التى آويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم »[3] .

هذه العبارات السريعة الخاطفة التى قالها الرسول القائد ﷺ .. وهو فى آخر لحظات حياته أكدت عدة أمور ، كانت لها آثار بعيدة الغور فى توجيه سياسة الدولة

---

(١) اللافظة : النافذة إليه أو المفتوحة عليه .
(٢) عيبتى : خاصتى والمقربين إلى وموضع أسرارى .
(٣) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٣٤٠ .

الإسلامية ، وترشيد مسيرتها ، وتقوية روابط الوحدة بين صفوفها ـ بعد رحيل الراعى الهادى ﷺ .

أهم تلك الأمور الجليلة ، التى نخرج بها من حديث القائد الحكيم ، الذى ظل حريصا على أمته ـ رءوفا عليها ، حتى اللحظات الأخيرة هى :

الأمر الأول : إن المسلمين تأخروا فى تسيير حملة أسامة بن زيد ، التى أمر بإعدادها رسول الله ﷺ ، لتأمين الحدود الشمالية من الخطر الزاحف على الدولة الوليدة من حكام الروم فى جنوب بلاد الشام . ويبدو ـ والله أعلم ـ أن البعض قد استنكف أن يكون أسامة ـ وهو الشاب الحدث ـ قائد جيش يكون من جنوده : أبو بكر وعمر وخالد وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم . وربما ساعدهم على هذا الاستبطاء الانشغال بمتابعة أخبار مرض المصطفى المختار ﷺ ، لينظروا ما الله قاض فى شأن رسوله الكريم ﷺ .

إن أهم قاعدة فى القانون العسكرى هى الطاعة التامة للقائد وحسن الضبط والربط . فإذا كانت الديمقراطية فى السلم مطلوبة ومرغوبة ، فإنها فى أثناء المعارك مرفوضة وممنوعة ، لذلك أصر القائد العظيم أن تنفذ أوامره . ولم تشغله غمرة المرض الذى يعانى منه ، والوجع الذى يشتد فى جسده الشريف ، لأنه لم يستطع الخروج من حجرة عائشة إلا بعد أن أطفأ حرارة الحمى بالماء .. وعصب رأسه بعصابة ، حتى يوقف صداع الرأس ، قائلا لآل بيته : «هريقوا على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم »[١] .

هكذا كان القائد العظيم حازما فى رأيه ، حاسما فى أوامره ، حتى وهو يعانى أوجاع الموت . بمثل هذه القيادة الرشيدة استطاع الرسول أن يبلغ رسالته ، وعرف القائد كيف يؤسس دولته .. بالحق والقوة فى آن واحد مسترشدا بهدى من كلمات الله ـ عز وجل :

---

(١) هريقوا : أريقوا وصبوا الماء .

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ **[الأنفال : ٦٠]** [(١)] .

الأمر الثانى : إن الرسول الكريم والحاكم الملهم أشار إشارة اللبيب الحكيم دون أن يصرح أو يأمر بأن أبا بكر رضى الله عنه ينبغى أن يكون خليفته ، والقائم على أمر الأمة من بعده ، حين طلب منه أن ينوب عنه فى الصلاة بالناس . وحين تخلف أبو بكر مرة ، وسمع الرسول ﷺ صوت عمر رضى الله عنه يصلى بالناس ، استنكر ذلك قائلا : « يأبى الله ذلك ورسوله » .

كما أمر ﷺ وهو فى لحظات الموت الأخيرة بأن تغلق كل الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا باب أبى بكر ، وأثنى عليه قائلا : «فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن صحبة وإخاء إيمان .. » .

العجيب فى الأمر أن الصديق قبل تنفيذ أمر الرسول ﷺ على أنه تكليف ومسئولية ، وربما أحس بأن النبى على وشك الرحيل ، فأحزنه شأن مرضه ﷺ أكثر مما أسعده أمر خلافته ، فقد أحس وهو الرجل الطيب النقى الحيى أن المسئولية أكبر من أن يتحملها ، إذ كيف يقدر على أن يخلف الرسول ﷺ فى أمور الدين والدنيا .

الرسول ﷺ بثاقب بصيرته أراد أن يجنب الأمة من بعده شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، فقد وكل أبا بكر رضى الله عنه فيما يرضى عنه الله ورسوله .. وترك لهم أمر اختياره خليفة فيما يرضى عنه عامة المسلمين استئناسا بتزكية الرسول الكريم له . إذ لا ريب أن المسلمين أصحاب محمد وتلاميذه فهموا كناية «سدوا الأبواب» المؤدية إلى مسجد الرسول إلا باب أبى بكر ، حين قال :

---

(١) ما استطعتم : كل ما تقدرون عليه ــ رباط الخيل : الخيل المرابطة المعدة للجهاد فى سبيل الله ــ آخرين : المقصود بها هنا : المنافقين .

«انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد ، فسدوها إلا باب أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحدا ، كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه » . الرسول الحكيم بهذه الإشارة الذكية ، كنى ولم يصرح ، دل ولم يأمر ، زكى دون أن يحدد مسترشدا بقول الخالق سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

هكذا أسس الرسول ﷺ بنيان الأمة ، وأقام أركان الدولة ، على هدى وبصيرة، لأن الفطرة السليمة والطبيعة النقية ، توجب اجتماع أمرين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما : الدين والعقل .. التقوى والرشاد . ولا ريب أن القدوة المثلى متحققة فى هذا هى النبى الكريم ﷺ ، الذى يقول عنه رب العالمين :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

الأمر الثالث : الإسلام دين الفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها ، لذلك فقد طهر الإسلام قلوب المسلمين ، وجعلهم أبعد ما يكونون عن الانشغال بأمور الدنيا ومظاهر الحياة . كانت غاية جميع المسلمين الذين صحبوا النبى ﷺ ، وتعلموا من هديه ، وارتووا من نبعه ، هى أن يرضى عنهم الله ورسوله . لم يطمع أحد منهم فى سلطان .. أو إمارة .. أو جاه .. أو إدارة .. أو زعامة ، وإنما كان هدفهم الأسمى أن يتقوا الله ، ويطيعوا رسوله ما استطاعوا ، وإذا جاءتهم الدنيا ابتعدوا عنها ، ولسان حالهم يقول : «يا دنيا غرى غيرى » . وهو منطق مستوحى من قول المعلم العظيم الذى أدبه ربه واصطفاه : « إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » . وهذا ما فعله الفاروق عمر ـ الوزير الثانى للرسول ﷺ بعد أبى بكر ـ فقد انتدبه عبد الله بن زمعة لإمامة المسلمين فى الصلاة نتيجة لغياب أبى بكر عن المسجد فى هذا الوقت . وحين علم عمر بأن الرسول ﷺ لم يرحب بهذا الأمر منه ـ لم يغضب .. ولم تثر ثائرته ..

ولم يعترض .. ولم يعاتب .. ولم يدر بخلده أى ظن سيئ ، بل أكثر من هذا أحس الندم، وشعر أنه تجاوز الحد ، وفعل ما لم يؤمر به . وقال معاتبا عبد الله : «ويحك..!! ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ؟ والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمر بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس »[1] .

ومما يؤكد أن هذا الرأى كان تعبيرا صادقا عن موقف عمر من أبى بكر رضى الله عنهما أنه أول من بايعه «يوم السقيفة» ، إذ كان أسبق من وعى ما كنى عنه الرسول ﷺ .. وما ألمح إليه ــ عندما صاح عمر بصوته الجهورى : «ابسط يدك يا أبا بكر.. فأبايعك ، وهو يقول [معترفا بأفضليته عليه] : ألم يأمرك النبى بأن تصلى أنت يا أبا بكر بالمسلمين ، فأنت خليفته . ونحن نبايعك ، فنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا» .

هكذا كان صحابة الرسول الكريم ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ رجالا أنقياء أتقياء ، لا يخافون فى الحق لومة لائم ، وينفذون كل ما يرضى المعلم العظيم ﷺ ، الذى استمدوا منه الأسوة الحسنة فى كل أمور دينهم ودنياهم .

الأمر الرابع : إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين صار أول خليفة للمسلمين .. لم تتعكر نفسه الصافية .. ولم يتخل عن تواضعه .. وإنما أحس أن العبء أكبر من أن يتحمله كاهله ، خاصة أنه أول خليفة يخلف النبى الكريم ﷺ ، أو بتعبير آخر : **أول تلميذ يضطلع بالمسئولية بعد غياب أستاذه العظيم ..!!**

وقد أكد المتعلم النجيب عظمة المعلم الكبير حين أعلن فى أول خطبة له بعد أن حمد الله .. وصلى على رسوله : «أيها الناس : إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى . الصدق أمانة ، والكذب خيانة . الضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح[2] عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٣٣٩ .
(٢) أريح : أرجع وأرد .

الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله . فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ..» (1) .

تعرف عظمة الأب بنجاح أفراد أسرته ، وتعرف قدرة المعلم بتفوق تلاميذ مدرسته . تلك قاعدة بدهية من قواعد الحياة ، إذ لا شىء يأتى من فراغ أو عدم .. كل شىء بمقدار ، وكل خطوة بمعيار . فالبذر الطيب ــ ينتج نباتا طيبا ، والخلق الخبيث .. يفسد بحرا أبيض .

وقد غرس الرسول ﷺ فأحسن الغرس ، من هنا كان صحابته مظهرا جليلا من مظاهر إخلاصه لدعوته ، والقاعدة السابقة التى أشرنا إليها مستوحاة من قول رب العزة سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ــ ٢٧] .

نريد أن نصل إلى فكرة مهمة هى أن النبى محمدا ﷺ ، قد ربى أصحابه وتلاميذه تربية عظيمة .. وهذا يؤكد أن الأساس الطيب الذى قامت عليه رسالته ، هو الذى زكى نفوس أصحابه ، وفتق مكامن عبقريتهم . فى حوالى مائة سنة بعد وفاة النبى ﷺ دون المصحف الشريف ، وكتبت السنة المطهرة ، وانتشرت الدعوة المقدسة شرقا وغربا ، وورث المسلمون دولتى فارس والروم ، وتجاوزوا حدودهما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . ثم فتحت المدارس ، ونشأت العلوم ، وترجمت آثار اليونان والفرس والهند . وبدأ المسلمون يؤلفون فى كافة المجالات العلمية والأدبية واللغوية والدينية .

---

(1) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٣٤٨ .

كان كتابُ الله الكريم هو المصباحُ المنير الذى أضاءَ ما حولهم ، وأنـار لـهم سُبل العرفان . كل هذا النور غرسُ الرسول ﷺ ، وهؤلاء النجباء ــ فـى أمـور الدين .. وشئون الحكم .. ومجالات العلم والمعرفة .. واتجاهات الفكـر والفـنّ ــ تلاميذُ فى مدرسة محمد ، أضاء الإسلام بصيرهم وهداهم إلى صـراط مسـتقيم ، فالإيمان أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .. ثم استقم كما أمرت . ذلك هـدى الله .. ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ **[الكهف: ١٧]** .

دلالة كل ما سبق .. وكل ما يمكن أن يلحق : **هو أن الإسلام دينُ الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، لأنه دينُ العقل والمنطق والتفكير** . ولا يكلف الله عبـاده أمرا من أمور الدين أو الدنيا ، إلا لهم فيه خيْر كثير وفضل عميم ، حتى العبادة .. فإنها ــ فى المقام الأول ــ تطهير للروح وتزكية للنفـس.و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ **[الأعلى : ١٤ ــ ١٥]**[1] .

إن البشر إذا تركوا وشأنهم ، فسوف يدركون أن الإسلام هو الديـن الـذى يتلاءم مع الطبيعة البشرية ، الدين الذى يُكرم بنى آدم ، ويأمرهم باستخدام العقل فى كل أمور الدنيا والآخرة . وقد أوضحَ الأديب الفقيه الأندلسى «ابن طفيل» فـى قصة رمزية له بعنوان : «حىّ بن يقظان» .. أن الإنسان (الحى) لو ترك وشـأنه لتوصل إلى عبادة الله (اليقظان) الذى لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم . إذ أن ذلـك الطفـل الصغير (حى) الذى نشأ فى جزيرة مجهولة بعيدة عن الناس ، أخذ يتأمل ما حولـه حتى توصل فى النهاية إلى التعرف على الله والإيمان به .

الإسلام دينُ الفطرة النقية والطبيعة الطاهرة التى خلـق الله النـاس عليـها .. فاتباعُ الإسلام هو ــ فى حقيقة الأمر ــ استجابةٌ لنداءِ الطبيعة وتحقيـق لمطـالب الفطرة :

---

(١) أفلح : فاز ــ تزكى : تطهر من الكفر والمعاصى .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠] (١) .

دينُ الفطرة أول ما يوجب على البشر هو الإيمان بالله فاطر السموات والأرض.. وأن يقولوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر : ١] (٢) .

الفطرةُ تقودُ ـ بالضرورة إلى الإيمان بالله الفاطر ـ ومنطق الفطرة هو الاستجابة الطبيعية للإيمان بالله الخالق الرازق :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤] .

نتيجة منطقية لكون الإسلام دينَ الفطرة .. أنه انتشر بين العرب فى حوالى عشرين سنة . كما انتشر فى العالم كله فى حوالى مائة سنة بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وسرى مسرى البرق فى الظلم ، حتى وصل إلى حدود الصين شرقا .. وفرنسا غربا .

ولم يكن إسلام غير العرب إسلامًا شكليًا صُوريا ، وإنما كان إسلام المؤمن الحق ، لذلك برز منهم فى مجال الفقه والتفسير والسنة والثقافة والعلم أئمةٌ ورجال لا يقلون عددًا أو أهمية عن العرب المسلمين فى المجالات الدينية وغيرها ، ويكفى أن نتذكر أهمية رجال فى الفقه الإسلامى وبعض المعارف العربية أمثال :

الإمام البخارى ـ الإمام مسلم ـ ابن جرير الطبرى ـ جار الله الزمخشرى ـ سيبويه ـ أبو على الفارسى ـ أبو الفرج الأصفهانى ـ عبد الله بن المقفع ـ

---

(١) الدين : الإسلام ـ فطرة : طبيعة ـ القيم : المستقيم .
(٢) فاطر : مبدع وخالق .

أبو تمام — ابن جنى — ابن الرومى — إسحق بن حنين — أبو بكر الصولى — الآمدى — أبو على الفارسى — التبريزى — الزوزنى — الجرجانى — الترمذى — ابن مضاء القرطبى — الخوارزمى — ابن سينا — ابن رشد — حازم القرطاجنى .. إلخ.

هذه الأسماء .. وغيرها الكثير — تدل دلالة قاطعة على أن الشعوب غير العربية بعد أن دخلت فى رحاب الدين الحنيف حسن إسلامهم ، وتعربت ألسنتهم . ومن خلال نهج الحضارة الإسلامية ومنطق اللغة العربية قدموا إسهامات جليلة فى تاريخ الحضارة والثقافة والعلم والدين والأدب والفلسفة والنقد والبلاغة .

معنى ذلك أن الإسلام دين البشر أجمعين ، وأنه صالح لكل زمان ومكان .. منذ الأزل وإلى الأبد . ولو كان من عند غير الله .. ما استطاع أن يصل إلى قلوب البشر أجمعين .. فى مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

الإسلام .. دين السلام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

نوجز تفسير هذه الآية كما أورده الطبرى فيما يلى :

« يا أيها الناس إن الله خلقكم من نطفة رجل وامرأة ، وجعلكم أقرباء على مستوى النسب البعيد (الشعوب) والقريب (القبائل) ، ليعرف بعضكم بعضا ، وتعلموا أن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه — لا أعظمكم بيتا ، ولا أكرمكم عشيرة . قال رسول الله ﷺ : « **إن أنسابكم هذه ليست بمساب على أحد ، وإنما أنتم ولد آدم كطف الصاع**[1] .. **لم تملؤوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو عمل صالح** » .

(١) طف الصاع : جزء من كوب ماء .

وإن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم وأكرمكم عنده ، وذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم ، لا تخفى عليه خافية »[1] .

وقد ذكر ابنُ كثير – أيضا – فى تفسير هذه الآية ما نوجزه فيما يلى :

« يقول تعالى مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوبا وهى أعمُّ من القبائل .. فجميعُ الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ، ليحصل التعارفُ بينهم ، كلٌّ يرجع إلى قبيلته . وإنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب . قال ﷺ : **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » .

وفى حديث آخر يقول : « المسلمون إخوةٌ لا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى» .

وقال أيضا : « كلكم بنو آدم ، وآدم خُلق من تراب ، ولينتهين قومٌ يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان »[2] .

وقال أيضا : « خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله عز وجل ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم » .

ومعنى قوله تعالى : «إن الله عليم خبير» ؛ أى عليم بكم ، خبير بأموركم ، فيهدى من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويفضل من يشاء على من يشاء . وهو الحكيم العليم الخبير فى ذلك كله »[3] .

فهذه الآية الكريمة – كما يتضح من التفسير المذكور .. الذى يتضمن بعض أحاديث الرسول ﷺ – توضح مبدءًا من أهم المبادئ السامية التى يقوم عليها الإسلام وهو **المساواة والعدل بين البشر** . إن الله خلق الناس أجمعين من أصل واحد، لذلك يذكّر المولى عباده بأمر مهم ، هو أن آدمَ الذى ينحدرون من صُلبه قد

---

(١) تفسير الطبرى : ج ١١ ، ص ٣٩٨ .

(٢) الجعلان : ج جعل ، حيوان مثل الخنفساء ، يكثر فى المواضع الطينية الرطبة .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

خُلق من تراب ، فلا قيمةَ إذن لحسب ونسب .. أو مال وجاه ، لأنه سبحانه خلق الخلق ، لكى يتعارفوا ويتعاونوا ويعمروا الأرض ، ويشكروا الله على ما آتاهم من فضله .

التقوى — إذن هى المعيار الوحيد الذى يُحاسب به الخالق عباده . وهذا المبدأ العادل ، يؤكده رسول الله ﷺ أيضا بقوله :

«الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربىّ على عجمى إلا بالتقوى» .

هذا العدل الإلهى يوضح لنا أن مبادئ الإسلام السمحة تنبع من دلالة أسماء الله الحسنى . وهذه الأسماء العلية تدل على صفاته الجليلة . ويصعب أن نتتبع دلالة هذه الأسماء الكريمة ، التى تبلغ تسعةً وتسعين اسما . لكن هذه الأسماء — فى مجملها — توضح للخلق أجمعين أن الله بعباده رءوفٌ رحيم .. عادل مقسط.. غافرُ الذنب .. قابل التوب . ومع عزته وجبروته وقدرته على أن يُذهب ويفنى من يكفر به من خلقه ، ويأتى بقوم آخرين ، مع هذا كله فإنه لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يرغبُ فى أن يعيش البشر فى الحياة مثل الأنعام أو أضل سبيلا . وإنما يريد — رأفةً بهم وشفقة عليهم — أن يؤمنوا به ، ويشكروه ، لعلهم بهذا يحمون أنفسهم من عذاب يوم عظيم .

ما أحرانا أن ننعم النظر فى الآيات البينات التى تدل على قدرة الله ، لندرك — بالبصيرة .. التى وهبنا الله إياها — مدى رحمة الخالق البارئ بعباده ، وحرصه — سبحانه وتعالى — على أن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويشرح صدورهم للإيمان . ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ

أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [الأنعام : ١١ ــ ١٥] (١) .

سبحانك ربى سبحانك .. سبحانك ما أعظم شأنك .. القرآن الكريم رسالة محمد رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله بالدليل والبرهان ، لأنه يحترمُ العقل ، ويحض على التفكير فى أمر الخالق والكون ، حتى يؤمنوا عن بيِّنةٍ ، ويسلموا عن حجة . والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها قوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾ [الغاشية: ١٧ ــ ٢٦] (٢).

نظرًا لأن الإسلام يُعلى من شأن العقل ، ويجعله حكما فى كل شىء ، فإنه يدعو أيضا إلى العلم ، ويرفعه إلى درجة الإيمان .

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة : ١١] .

والعلماء ليسوا على مستوى واحد ، لأن العلم فى الإسلام ذو درجاتٍ ومراتب، حتى يتنافس المتنافسون فى تحصيله وتعلمه :

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

والرسول ﷺ يوصى أتباعه بالعلم النافع ، حتى لو اضطرهم ذلك إلى السفر والرحلة : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » . وقال ﷺ « **طلبُ العلمِ فريضة على كل مسلم ومسلمة** » . ويقول : « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهّل الله به طريقا من طُرق الجنة** » .

---

(١) كتب : قضى وأوجب على نفسه تفضلا ورحمة بعباده ــ فاطر : خالق ، مبدع ــ يطعم : يرزق ــ أسلم : انقاد وخضع ــ يصرف : يبعد .

(٢) ينظرون : يتأملون ــ ذكر : ذكر الناس يا محمد بقدرة الله ــ بمسيطر : بمتسلط جبار ــ إيابهم : رجوعهم يوم القيامة ــ حسابهم : محاسبتهم على ما فعلوا يوم القيامة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة : ٧،٨] .

وقال : «**فَضْلُ العالم على العابد كفضلِ القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب**».

وجاء رجل من قبيلة مراد إلى النبى ﷺ وهو فى المسجد ، فقال لـــه : « يـــا رسول الله إنى جئتُ أطلب العلمَ ، فقال : مرحبا بطالب العلـــم ، إن طـــالبَ العلـــم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها » .

كما جعل الرسول العلماء فى مرتبة فوق مرتبة الزهاد ، جعلهم فى منزلة فوق منزلة الشهداء فى سبيل الله قائلا : « للعلماء على الشهداء فضل درجة» . أكثر من هذا يقول الرسول الكريم : « **العلماء ورثةُ الأنبياء** » .

وقال أيضا : «عدلُ ساعة فى حكومة أفضلُ من عبادة ستين عامـــا» ؛ أى أن الحاكم العادل خيرٌ من الفقيه الزاهد .

ويصعب فى هذه الخاتمة الموجزة أن نحصى عدد الآيات البينات التـــى وردت فى الذكر الحكيم .. والأحاديث الشريفة التى أثرت عن الرسول ﷺ فى بيان فضل العلم والعلماء وأهمية العدل فى الحكم . وننهى حديثنا عن العلم فى هـــذه الخاتمـــة المختصرة بهذا القول المأثور عن الرسول ﷺ :

« من سلك طريقا يبتغى به عِلما ، سهل الله له به طريقـــا إلـــى الجنـــة ، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع » . صدق رسول الله .

* * *

مع أن الله سبحانه ــ غافرُ الذنب وقابل التوب ، فإنه قادر على أن يخسف بمن كفروا به الأرض .. أو يُسقط عليهم كسفا من السماء ، فإنه تـــرك لعبـــاده حريـــةَ الاختيار ــ بعد أن وهبهم نعمةَ العقل وحكمة القلب . بعد ذلك يكون كل امرئ بمـــا كســـب رهينـــا ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة : ٧،٨] .

تلك عدالة الله وهذه عظمة الإسلام .. فكيف يكذب المكذبون ؟!

الإسلام دينُ التأمل والفطرة ، دين اليسر والسماحة . وهو كما أوضح الرســول الكريم يقوم على أسس سهلة وأركان ميسرة لكل طوائف البشر : قال ﷺ : « بُنـــى الإسلام على خمس :

١ ــ شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

٢ ــ إقام الصلاة .

٣ ــ إيتاء الزكاة .

٤ ــ صوم رمضان .

٥ ــ حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

هذه الأركان الخمسة فرضها الله سبحانه ، وهو يعلم أنها فى إطار طاقة البشر وقدرتهم . بل إن حُسن أداءِ ركن واحد منها كفيل بأن يدخل من يقوم به الجنة ــ دار السلام . قال ﷺ : « **خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، من أتى بهن بتمامهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة** » .

وقال ﷺ : «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه** » .

وقال ﷺ : « **من حج ولم يرفث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**». وقال أيضا : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . حقا ما أعظمك ، وما أصدقك يا رسول الله : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

الإسلام دين الفطرة والسماحة والرحمة ــ كما بينه المولى فى القرآن الكريم.. والرسول فى السنة الشريفة . **إنه دين السلام ــ على كافة المسويات :**

السلام النفسى مع الذات : فالإسلام يجعل صاحبه من أصحاب النفوس المطمئنة الذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنه . وهذا ما بشر الله به المؤمنين بقوله ــ عز من قائل : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

السلام الأخوى مع الآخر / الفرد : الإسلام يشترط على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وهذه الأخوة فى الله هى التى تجعل المجتمع صفا واحدا ، غايته

واحدة ، لأنّ دستوره واحــــد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ **[الصف : ٤]** .

وقال ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .. والمــــهاجر مــن هجر ما نهى الله عنه** » .. هكذا نجد الإسلام دائما يدعو إلى المسالمة والبعد عــن أذى الناس، لأن «الدين المعاملة» كما يروى أيضا عن صاحب الرسالة الغراء ﷺ.

قال سفيان بن حسين : ذكرتُ رجلا بسوء عند إياس بن معاوية ، فنظــر فــى وجهى وقال : أغزوتَ الروم ؟ قلت : لا . فقال : أغزوت السند أو الهند أو الترك؟ فقلت : لا .

قال : أيسلم منك الرومُ والترك والسند والهندُ، ولا يسلم منك أخوك المسلم..؟!

السلام الإنسانى مع البشر : الإســـــلام لا يــأذن للمســلمين بــالحرب إلا إذا اضطروا لذلك ، دفاعًا عن الدين أو العِرض أو الأرض . ومع أنه يدعو إلى إعـداد العدة للجهاد ، لكنه فى الوقت نفسه يحض على السلام ويدعو إليه . هذا ما تؤكـــده الآيــــة الكريمــــة : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ **[الأنفال : ٦١]** .

* * *

الإسلام أيضا ــ دينُ الرحمة ، يدعو إلى المسالمة والتعـــاون والمحبــة ، لأن القاعدة الأساسية هى أنه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ **[البقــرة : ٢٥٦]** ، وبالتـــالى فـــإن الإسلام يدعو إلى السلام وحسن المعاشرة مع جميع الناس .. حتى مع الكـــافرين ، لأن .. ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ **[الكافرون : ٦]** .

السلام بين الإسلام والأديان الأخرى

الإسلام لا يدعو أنصاره إلى قتال من يختلفون معهم فى العقيدة ، حتـــى لــو كانوا كفارا أو وثنيين . كذلك الحال بالنسبة لأهلِ الكتاب من اليهود والنصـــارى .
والرسول ﷺ حينما حاربَ حارب مضطرا ، حتى يُرهب الكفار والمنافقين ، ويكفَّ

أذاهم عن المسلمين . كما أن إعداد العدة للحرب يكون لمجرد الإخافة والحماية وزرع الهيبة في نفوس الأعداء : ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء : ٨٤] .

المسلمون إذن لا يميلون إلى الحرب إلا مضطرين ــ كما يوضح المولى جل جلاله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

السلام بين شعوب الأرض كافة : السلام اسم من أسماء الله الحسنى .. والجنةُ هى دار السلام ، وتحية أهلها السلام .. ومكةُ المكرمة أيضا دار السلام ، والمسلمون فى نهاية كل صلاة يسلمون مرتيْن ؛ من أجل هذا فهو يدعو إلى السلام مع شعوب الأرض قاطبة ، لكنه سلام من غير ضعفٍ أو حيْف .

كما أن الإسلام يجعل المسلم صاحبَ قلب سليم ، فيكون سمحا مسالما ، لأنه من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما . ومن يستقرئ كتاب التاريخ الإسلامى الذى فتح أولى صفحاته رسول السلام ، لا يجد أن المسلمين قد نقضوا عهدًا أو خانوا صلحا، لأن الإسلام طهر نفوسهم وأيقظ ضمائرهم .

ثمة ملمحٌ لغوى يقوى العِلاقة بين الإسلام والسلام ، ذلك أن الكلمتين مشتقتان من (جذر لغوى) واحد .. هو الفعل : (س ل م) .. الإسلام والسلام إذن **مشتقان من جذر لغوى واحد.** وهذا ما يؤكد الدلالة القوية والعلاقة الواضحة بين الكلمتين. وذلك يدل ــ كما ذكرنا ــ على أن الإسلام دين السلام . والسلام هو أن تخضع لما يدعو إليه ــ بالحكمةِ والموعظة الحسنة ــ الإسلامُ .. رسالة محمد ﷺ . الإسلام فى حقيقة الأمر دينُ السلام والإيمان والخير والطهارة والتعاون كما تدل على ذلك هذه الآية الكريمة :

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧] (١).

معنى هذا أن الإسلام دينُ السلام الشامل على المستويين الخاص والعام . ولا شكّ أن عدمَ إيمان كثير من البشر به هو سببُ ما نجده فى هذه الحياة من حروب وفتنٍ وصراعات ومظالم ..!!

* * *

عظمة الإسلام

الإسلام دينُ طهارة الروح وتزكيةِ النفس وسمو الأخلاق وسماحة التعامل ، وما قرره من مبادئ وأحكام فيه ــ لكل من آمنَ به ــ خير وسعادة وفضل وزيادة، وما نهى عنه فيه إثم للذات وللآخر وضرر يؤدى إلى التهلكة ؛ من هنا تتبدى عظمةُ الإسلام فى هذه الصحوة الروحية التى قام بها الرسول الكريم ﷺ ، فقد استطاع أن يجعل من قبائل متفرقة أمه موحدة ، تقود العالم ، وتنشر نور الإيمان فى كل مكان .

الإسلام ــ دينُ الأخلاق الفاضلة والمثل النبيلة ــ يقدم أرقَى صورة للأديان السماوية كلها ، وهو مهيمنٌ على كل ما سبقه من الرسالات ، ومع ذلك يطلب من أتباعه ألا يجادلوا أهلَ الكتب السابقة إلا بالتى هى أحسن ، وأن يدعوهم بغير جبر، ويرشدوهم دونَ قهر . فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر . ولا تزر وازرةٌ وِزر أخرى .

إن ما جاء به الإسلام الحنيف ــ من قيم روحية ومبادئ مثالية ــ أكبر من طاقة كثير ممن كفروا به وصدوا عن سبيله . إن الغرائز الحيوانية والمطالب المادية والأثرة وحب الذات والوقوع فى أسر التقليد واتباع ما تركه الآباء .. كل ذلك يؤدى إلى الضلال والعمى.. لكن أى عمى ، إنه عمى القلوب ــ لا الأبصار،

---

(١) البر : كلمة تدل على جميع أعمال الخير ــ ابن السبيل : (كناية) المسافر ــ فى الرقاب : من أجل تحرير رقاب الأسرى أو العبيد ــ الموفون : الأوفياء ــ البأساء : شدة الفقر والحاجة .
الضراء : السقم والمرض والشدة ــ حين البأس : وقت محاربة العدو ــ صدقوا : أخلصوا فى إيمانهم .

كأنما القلوب أغلقت بأقفال صدئة : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

الإسلام دين الروح والطهارة .. والبعد عن الماديات والمظالم . ولا ريبَ في أن العداوة والبغضاء والحروب والفتن والفسق والفساد تنتشر فى ربوع العالم ، وترعى فى أرجائه مثل رعى الأنعام فى غابة لا أمان بها ، لأنه لا إيمان فيها . وحين تصل رسالة الصادق الأمين ﷺ إلى البشر كافةً ، فسوف يعم الوئام ، وينتشر السلام . وما ذلك على الله ببعيد ..!!

نختم هذه الفقرة برأى للمفكر الهندى المسلم السيد سليمان الندوى يقول فيه:

«أما الرسالة المحمدية فهى الأولى والأخيرة من رسالات الله التى جعلها الله للناس كافة أحمرهم وأصفرهم وأبيضهم وأسودهم عربا كانوا أو عجما ، من الصين شرقا إلى أقصى الجزائر البريطانية شمالا ، يستوى فيهم التتار والأفرنج ، ذلك لأن إله رسول الله محمد ﷺ هو إله جميع الأمم ، وهو رب العالمين «الحمد لله رب العالمين» . فهو لأجل ذلك مرسل للإنسانية كلها «رحمة للعالمين» . فرسالة الإسلام رسالة تعم جميع البشر «إن هو إلا ذكر للعالمين » ، «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والأرض » . فمحمد ﷺ نذير للدنيا كلها ، ورسالته تعم العالم أجمع، وحينما ينفذ حكم الله فلتكن شريعة الإسلام قائمة ورسالة محمد نافذة .. وقد ثبت من النصوص أن الإسلام وحده هو الذى أعلن عموم دعوته إلى الإنسانية كلها ، وأنه هو الدين التام الكامل الجامع للمحاسن ، ولن يأتى بعده دين غيره . جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**بعث الأنبياء قبلى إلى أممهم خاصة ، وبعثت إلى الأمم كلها عامة**» . وهذا يؤيد دعواى والتاريخ يشهد لها شهادة لا ترد . وكما أن السيرة المحمدية كاملة تامة وفيها الأسوة لجميع البشر ، كذلك دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ كامل دائم ، وفيه صلاح العالم ورشاده »[1] .

---

(١) السيد سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ترجمة محمد ناظم الندوى ــ ط دار الفتح ــ دمشق ــ ١٤٠١ = ١٩٥٢ ، ص ٢٠٥ .

مبادئ الإسلام السمحة ـ التى تتلاءم أشد ما تكون الملاءمة مع الفطرة البشرية ـ تنبثق من روح الأديان السماوية التى دعا إليها السابقون من المصطفين الأخيار عليهم السلام . رسالة محمد ﷺ ليست جديدة ، وإنما هى ـ فى حقيقتها ـ خطوة أكمل على درب مسيرة الإيمان بالله . ويؤكد استيعاب الإسلام لكل ما سبقه من رسالات أن المسلمين مطالبون بأن يؤمنوا بالرسل والأنبياء السابقين أجمعين :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

الإسلام ـ إذن يعلو .. ولا يعلى عليه ، باعتباره أكمل الرسالا وخاتم الدعوات والمهيمن على كل ما سبقه ؛ من هنا فإنه دين الفطرة .. ودين الخلق أجمعين . لن يضر الإسلام ألا يدخله إنسان ، لكن المتضرر هو من ظلم نفسه ، وأغمض بصيرته ، وضل عن طريق الله ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . من يرد خير الدنيا فعليه بالإسلام ، ومن يرد ثواب الآخرة فعليه بالإسلام ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٢٧٧) ﴾ [البقرة : ٢٧٧].

لله المشرق والمغرب ، بل لله الأمر كله ، لو شاء لهدى الناس جميعا ، لكن الذى يجب أن يعرفه كل البشر ـ بالحكمة والموعظة الحسنة والنصيحة المخلصة ـ أن ليس هناك فضل لأى دين فى هذا الكون إلا لدين الله ـ بشرط أن يفىء الضال برغبته ، ويرجع الكافر بنفسه عن ملته . فالقاعدة العادلة التى أرساها رب الأديان ، ومنظم الأكوان ، ومؤسس العمران ، وفاتح أبواب الجنان ، هى أنه :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ٱللَّهُ وَلِيُّ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦ ـ ٢٥٧] (١) .

فالله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم أخبرنا أن الذى يبتغى غير الإسلام دينا فلن يتقبل منه .. ولو كان معه حمل الأرض ذهبا .

لا إله إلا الله .. لا دين بعد الإسلام .. لا رسول بعد محمد ، فمن قال : رضيت بالله تعالى ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، حرم الله على وجهه النار .. وأدخله الجنة مع الأبرار .

* * *

إسلام واحد .. وشعوب مختلفة

الوعى بالآخر ـ فى حقيقة الأمر ـ وعى بالذات ، وحين تعى الشعوب حجم وجودها وإمكاناتها ، تعرف ـ بالضرورة ـ طبيعة المستقبل الذى ينتظرها ، وتحاول أن تقوم بالواجب المنوط بها . إننا نعيش عصر العلم والتكنولوجيا والعولمة. كل أمر يمكن أن يحسب حسابه بشكل علمى دقيق ، لذلك ينبغى أن يعلم المسلمون بمنظور واقعى حجم عددهم وإمكاناتهم ، حتى يقدروا على القيام بدورهم، ويأخذوا العدة لمواجهة أعدائهم . الحياة كلها جد ، لا مكان فيها لغافل أو متواكل ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

ندعو الله ـ الخبير العليم ـ أن يهدى المسلمين أجمعين إلى ما فيه صلاح الدنيا والدين .. وأن يعرفوا مقدار حجمهم وقدر إمكاناتهم على ضوء الحقائق التالية:

---

(١) الرشد : الهدى ـ الغى : الضلال ـ الطاغوت ما يعبد ضلالا من أصنام وشياطين .

أولا : إحصاء بعدد المسلمين[1]

(حسب الكتاب السنوى لدائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٩٥)

المسلمون العرب	غير العرب	المجموع
٢٤١,٧ مليون	٧٩١,٧ مليون	١٠٣٣,٤ مليون
%٢٣,٤	%٧٦,٦	%١٠٠

ثانيا : إحصاء بعدد سكان العالم

(موزعة حسب الديانات)

الديانة	العدد بالمليون سنة ١٩٩٩	النسبة
المسيحية	١٩٠٠,٢	٣٣,٦
الإسلام	١٠٣٣,٤	١٨,٣
اليهودية	١٣,٤	,٠٢
مجموع الديانات الثلاث	٢,٩٤٧	٥٢,١
ديانات أخرى	٢,٧١٤,٥	٤٧,٩
جملة سكان العالم	٥,٦٦١,٥	%١٠٠

(١) هذه الإحصائية مستمدة على ضوء ما جاء فى كتاب :
ـ د . أحمد إسماعيل : العالم الإسلامى ، ط دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ ـ ص ٣٢ .
ـ د . السيد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى ، ط لجنة البحث العلمى ـ كلية آداب الريـاض ـ ١٨٨٤ ـ ص ٢٢٣ .

من الإحصائية (التقريبية) السابقة يتضح ما يلى :

أولا : نسبة عدد المسلمين العرب إلى غير العرب تكاد تصل إلـــى (الرابــع) تقريبا [١ــ٤]. وهذا يضاعف مسئولية المسلمين العرب على المسلمين غير العرب.

ثانيا : نسبة عدد المسلمين إلى غيرهم من سكان العالم ــ أصحاب الديانـــات الأخرى ــ تكاد تصل إلى حوالى الخمس [١ــ٥] تقريبا .

ثالثا : عدد المسلمين ليس بالعدد الهين ، لـــذا ينبغـــى عليـــهم أن يتحـــدوا ويتآزروا، ويتمسكوا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، حتى يحققوا لشـــــعوبهم وحـــدة أكمل وغدا أفضل بإذن الله .

رابعا : إذا أضفنا إلى كثرة عدد السكان ، قوة الإمكانات الاقتصادية ، ورخص العمالة البشرية ، كما أن العالم الإسلامى يكاد يحتكر بعض ثروات خاصة مثـــل : البترول.. والغاز الطبيعى والحديد وأعمال الزراعة والرعى والصيد .. والحديـد .. واللؤلؤ الطبيعى . . وبعض معادن أخرى لم تكتشف بعد .. بالإضافة إلى المزارات الدينية فى مكة والمدينة المنورة والقدس .. والآثار التاريخية فـــى مصـــر والشـــام والعراق واليمن وتونس .

خامسا : العالم الإسلامى ــ لو أحسن التخطيط وشكل وحدة حقيقية ، لاستطاع أن يكون **سلة للحبوب الغذائية .. والثروة الحيوانية** [اللحوم ومنتجـــات الألبـــان] **والثروة السمكية** .. ناهيك عن الإمكانات الطبيعية والتاريخية ، التى تقـــوم عليـــها السياحة الدينية والثقافية باعتبارها موردا اقتصاديا ، له أهميته فى عصر تطـــورت فيه أساليب الاتصالات والمواصلات .

سادسا : القوة البشرية والمادية للعالم الإسلامى ، تجعله كما تنبأ له ــ منذ مـــا يزيد عن نصف قرن ــ المؤرخ الألمانى باول شمتز[1] Paul Schmits **«قوة الغـــد**

(١) نقل الكتاب إلى العربية د. محمد شامة ــ ونشر فى مكتبة وهبـــة بالقـــاهرة ســـنة ١٣٩٤ = ١٩٧٤ وعنوانه : «الإسلام قوة الغد العالمية» ، ويقع فى ٣٢٤ صفحة ، وقدم له د. محمد البهى .. وزير الأوقاف المصرى السابق .

العالمية» . ولا أظن أن ذلك المؤرخ الألمانى كان حريصا على المسلمين بقدر ما هو حريص على تنبيه غير المسلمين إلى قوة المسلمين فى المستقبل ، فانتبهوا يا أولى الألباب لعلكم تفلحون ..!!

ننتهى مما سبق إلى أن عدد المسلمين فى العالم يشكل نسبة كبرى لا يستهان بها . المهم ألا يستهين المسلمون بأمر المستقبل الزاهر الذى ينتظرهم باعتبارهم مؤهلين لأن يكونوا قوة الغد العالمية ، خاصة وأنه لا تكاد توجد دولة فى العالم المعاصر لا تعيش فيها جالية مسلمة .

إن الإسلام يكسب كل يوم أرضا جديدة ، وعدد المسلمين فى ازدياد مطرد ، سواء بحكم ارتفاع نسبة الخصوبة بين بعض شعوبه [مثل مصر – الهند – باكستان – بنجلاديش – أندونيسيا – تركيا – إيران – بلاد الشام – العراق] أو بدخول أفراد غير مسلمين إلى زمرة الإسلام [الولايات المتحدة فيها حوالى عشرة ملايين مسلم.. وإنجلترا حوالى أربعة.. وفرنسا حوالى ثلاثة.. وألمانيا مليونان..].

الإسلام : حضارة وثقافة ، يلقى – بفضل الله الذى لا إله إلا هو – قبولا حسنا عند كثير من الناس اليوم ، لأن الإنسان المعاصر – خاصة فى العالم الغربى وبعض المجتمعات الصناعية مثل اليابان – قد وصل إلى أزمة روحية حادة، وإلى مأزق فكرى مسدود ، لأنه بالغ فى الاعتماد على حضارة الآلة ، ومنطق الصناعة والتجارة ، والفكر المادى ، والمذهب الجدلى ، والفلسفة الوجودية، والتحرر من بعض القيم الأخلاقية .

وقد أفضت هذه النزعات المادية إلى سيطرة الفلسفة البراجماتية ومنطق السوق : « يساوى قرشا من معه قرش !! » . فالمرء يقدر ويقدم بقدر ما يملك من أرصدة فى المصارف وبيوت المال .

كل ذلك وغيره .. جعل الإنسان المعاصر – خاصة فى بعض البلاد المتقدمة فى مجال التكنولوجيا والصناعة – يشعر بقدر كبير من الاستلاب والاغتراب (Alienation) والقلق الاجتماعى والفقر الروحى . وقد ضاعف من قسوة الإحساس

بهذه الآلام النفسية ظهور بعض الأمراض الفتاكة مثل السرطان ، والإيدز ، وفقـــد المناعة، وجنون البقر ، وحمى الوادى المتصدع ، وبعض الأمـــراض الســرية .. وانتشار الخمور والمخدرات ولعب القمار .

كما قوى من الإحساس بالاغتراب أيضا ظهور جماعات ضالة ومضللة مثـل: جماعات الهيبز ، وعصابات المافيا ، والجنس الثالث ، وفتيات الجيشـــا ، وعبـدة الشيطان ، وتفشى كثير من الأمراض النفسية ، والحروب الأهلية ، والفتن الطائفية.

أدرك ــ أخيرا ــ كثير من الناس ــ بفطرتهم السليمة ــ أن صمام الأمان فــى حياة الإنسان ، يكون بالعودة إلى النبع الصافى المستمد من روضة الدين وحديقـــة المثل العليا . الإنسان بلا روح وحش ضار .. والحياة بلا هدف عبث وضــــلال . الدين هو المنقذ من الضلال .. والهادى إلى الحق والخير والجمال . أكثر من هـــذا يؤدى إلى الفوز بسعادة الدنيا وثواب الآخرة .

يقول الشاعر الباكستانى المسلم محمد إقبال :

إذا الإيمـــان ضاع فـــلا أمـــان ولا دنيا لمن لم يحـــي دينـــا

فى ظل هذا الظمأ الروحى إلى الإيمان يكسب الإسلام أرضا جديدة ــ لا فـــى بلاد لم تكن تدين به فحسب ، بل فى بلاده ذاتها ، حيث أصبح الفكر الدينى يمثـــل اتجاها رئيسيا فى كثير من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ، وصـــار لأصحابـه وجود متميز فى الشارع السياسى . هذا هو حال الإســـلام اليـــوم ، يزيـد أتباعـــه ويتضاعفون بفضل من الله وتوفيقه ، الذى وعدنـــا بقولـــه : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ **[القصص : ٥ ــ ٦] .**

وكم كانت النفس تنشرح والقلب ينفتح حينما أذهب إلى المسجد الحرام ، فأرى المسلمين ، من كل فج عميق ، يأتون لأداء مناسك العبادة فى أول بيت وضع لذكر

الله على الأرض ، وهم رغم اختلاف الجنسيات واللهجات ــ يلبون يهللون يدعــون ربهم قائلين:

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملـك ، لا شريك لك لبيك . اللهم إن هذا الحرم حرمك ، والبلد بلــدك ، والأمــن أمنـك ، والعبد عبدك . جئتك من بلاد بعيدة ، بذنوب كثيرة ، وأعمال سيئة . أسألك مســألة المضطرين إليك ، المشفقين من عذابك : أن تستقبلني بمحض عفوك ، وأن تدخلنــي في فسيح جنة النعيم ، اللهم إن هذا حرمك وحرم رسولك ، فحرم لحمــــي ودمــي وعظمي على النار . اللهم آمني من عذابك ، يوم تبعث عبادك . أسألك بأنك أنـــت الله الذي لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم ، أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلـــى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا » .

الإسلام ــ إذن ــ بخير والحمد لله ، والمسلمون في يقظة ونهضـــة ، والديــن يجدد صحوته برجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ولا يخافون فـــي الله لومة لائم .

* * *

بين مخافتين

أخشى على الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر من أمرين مهمين خطريـــن في آن واحد ــ رغم اختلاف أسهم العداوة والبغضاء .. وتنوع سيوف الخصومـــة والخلاف :

الأول : كثرة أعداء المسلمين في شتى بقاع العالم ، بدرجة يظن معها البعض ــ أحيانا ــ أن الحروب الصليبية قد عادت من جديد ، وإن كثـــيرا مــن أعــداء الإسلام ــ رغم كونهم من أهل الكتاب ، فإن بعض رجال السياســـة عندهــم ، لا يزالون يضمرون للإسلام وأهله الشر الكثير . ومعظم المناطق المتوترة في عالمنــا

المعاصر بأصناف من الحروب العرقية والمذهبية والسياسية ، هذه المناطق الملتهبة تتحرك على قنابل قابلة للانفجار فى أى وقت . السر فى هذا يكمن فى أنها مناطق يدين أهلها بالإسلام ، وتردد مآذانها نداء : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أين ذهب مسلمو روسيا والصين والفلبين وإسبانيا وشرق أوربا ..؟! ولماذا قامتْ الحروب فى البوسنة ، وأرض الشيشان ، ودولة الألبان ، وجنوب السودان ، وبلاد الأفغان ، وفلسطين ، ولبنان والعراق ..؟!

ثم لماذا يُشجع بعض المتبجحين على الإساءة إلى الإسلام ورسوله وكتابه .. مثلما حدث — فى إنجلترا — مع مؤلف كتاب «آيات شيطانية» .. وغيره ؟!

لا أود أن أسترسل .. وإن كنت أريد أن أنكأ الجراحَ ، حتى نكتشفَ الحقيقة المرة — ونحن على بداية الألف الثالثة من ميلاد السيد المسيح عليه السلام — وندرك أن الإسلام وأهله وأرضه مستهدفون من الأعداءِ .. وأن كثيرا من دول المسلمين تُنتهك حرماتها .. وتُسلب ثرواتها .. وتتقطع أوصالها — لا لشىء إلا لأنها بلاد إسلامية ، تؤمن برسالة محمد ﷺ ، فاعتبروا يا أولى الألباب ، واحذروا الكافرين والمنافقين ، واعلموا أن الحَمل المستسلم يُغرى — أحيانا — بالذبح .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

الثانى : هو أن بعض الجماعات الدينية فى عالمنا العربى المعاصر تتسم بقدرٍ لا بأس به من ضيق الأفق ، والحكم على كثير من الناس والأمور بالظاهر ، ويبالغون فى حرفية الفهم وشكلية التقليد . أكثر من هذا أنهم يرمون من يخالفهم الرأى أو المظهر بالمروق والزيغ . تلك لعمرى ثالثةُ الأثافى ، فالرسول ﷺ يقول: «**اختلاف أمتى رحمة**» ، وهم يقولون صراحة : «**من ليس معنا فهو علينا** » . أبعد من هذا — والعياذ بالله — أنهم يكفرون من يخالفهم ، ويقتلون — جهارا نهارا — من لا يتفق معهم فى آرائهم المتزمتة ومواقفهم المتعصبة .

لقد نشر الرسول الكريم ﷺ رسالته السمحة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان يجادل قومه بالتى هى أحسن ، لذلك قال له رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

أكاد أظن أن بعض أعداء الإسلام فى الخارج ، هم الذين يشجعون بعضَ هذه الجماعات التى تدعى أنها دينية ، والدين منها براء ؛ إذ لا يوجد دين فى الوجود يبرر قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق . كما أن تنفيذ القصاص ــ إن وجب ــ لا يقوم به أى فرد فى المجتمع ، وإنما أجهزة الدولة وسلطة الحكومة . الدنيا ليست غابة يا عباد الله ..!!

المسلمون ــ إذن ــ فى حاجة إلى التعاون والتفاهم والتماسك والتسامح .. إننا نتمنى أن يدخل ناس كثيرون فى زمرة الإسلام ، فكيف يجوز لمن تسول له نفسه أن يخرج مسلما من حظيرة الإيمان، لأنه لم يطلق لحيته ، أو لم يقصر ثوبه.. أو يعتدى على كرامة امرأة بسبب خروجها للتعليم أو العمل ؟!. الله ــ سبحانه وتعالى ــ وحده هو الذى يعلم الظاهر والباطن ، ويعلم ما تخفى الصدور . أما نحن البشر الضعفاء فلنا الظاهر فحسب ، ولله ــ جل وعلا ــ الباطن وما تخفى الصدور ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣] .

المسلم من يعتنق الإسلام ، والإسلام دين السلام ، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى .. والجنة دار السلام . اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة دار السلام . تباركت ربنا وتعاليت ياذا الجلال والإكرام .

أدعو الله مخلصا له الدين أن يكون ما تشهده بعض المجتمعات العربية والإسلامية ــ من هم وغم ــ سحابة صيف، وأن تعود لبلاد الإسلام روح السلام.

* * *

المسلمون غير العرب .. يا عرب ..!!

أومأت منذ قليل إلى أن نسبة المسلمين العرب إلى غير العرب تكاد تصل إلى (خمس) العدد الإجمالى لعدد المسلمين فى العالم تقريبًا . وهذا يوضح أن **نسبة المسلمين غير العرب أكبر بكثير جدًا من المسلمين العرب** . فنحن وهم جميعًا مسلمون موحدون بالله .. مؤمنون برسالة محمد ﷺ ، ويصفنا المولى عز وجل بقوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ **[الفتح ـ ٢٩]** (١) .

ورسولنا الكريم ﷺ يوضح لنا أهمية وحدة الصف الإسلامى قائلا :

«مثلُ المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعتْ له سائرُ الأعضاء بالسهر والحمَّى » .

المسلمون جميعا إخوة .. لا فضل لعربى على عجمىّ إلا بالتقوى ، وكان من صحابة النبى ﷺ : بلال الحبشى .. وسلمان الفارسى .. وصهيب الرومى . والرسول ﷺ حين هاجر إلى يثرب كان أول أمر فعله هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

إن العصر الذى نعيشه عصر التجمعات الكبرى .. لذلك فإن على المسلمين العرب مسئولية عظيمة جليلة هى تجميع صفوف المؤمنين ، وتوحيد روابط الشعوب الإسلامية كلها ، وهذا التوحيد ركن من الجهاد المقدس الذى أمرنا به سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ

---

(١) سيماهم : علامتهم ـ مثلهم : صفتهم ـ أخرج شطأه : أظهر ثماره المتفرعة منه ـ آزره : قواه ـ استغلظ : صار غليظا ناميا ـ استوى على سوقه : قام على فروعه وغصونه .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ **[الحج: ٧٨]** (١).

أسمى درجات الجهاد الذى أمرنا به الله ورسوله – وصدق الله ورسوله – أن نكون أمةً واحدة مثل البنيان المرصوص : نتعاون على البر والتقوى ، ونقف كتلة واحدة صامدة ضد أعدائنا . أكثر من هذا ينبغى أن نتجمع فيما بيننا ، ونتدارس أمر ديننا ، ونقرب بين مذاهب فقهنا . أتمنى أن يلتقى فقهاء مذاهب أهل السنة الأربعة : مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، كما أتمنى أن يجتمع الفقهاء العرب – خاصة وأن معظمهم ينتمون إلى الفقه السنى – مع فقهاء الشيعة ، حتى يقربوا بين مبادئ الفقه الإسلامى . إن المذاهب الإسلامية كلها تعتمد على أهم مصدرين فى التشريع وهما : الكتاب والسنة .

إذن لم الخلف والاختلاف والمصدر واحد .. والدين واحد .. والهدف واحد ؟!

أذكر أننى حضرت إحدى ليالى التشريق بمنى ، حين كنت أؤدى فريضةَ الحج فى العام الماضى ، وحين أتى موعدُ صلاة العشاء قصرًا ، كنَّا نحن المسلمين السُّنة نُصلِّى خلفَ إمام مسجد الخيْف بمنى . لكن الحجاج الإيرانيين كانوا ينتظرون حتى تنتهى الصلاة فى المسجد ، ثم يعلنون قيام الصلاة مرة أخرى ، ويصلون خلف إمام خاص بهم .

كم آلمنى هذا المنظر .. وأدمى قلبى .. وأذهل فكرى .. هل مثل ذلك التفرق – فى أداء المناسك – يمكن أنْ يكون بين المسلمين ؟! وإنْ جاز – وهذا مجرد فرضٍ مستحيل – فى الأوقات العادية ، فهل يجوز أن يوجد فى أيام مناسك الحج التى هى مظهر جليل من مظاهر تجمع الأمة الإسلامية حول وحدانية الله المعبود ، الذى سعى إلى مشاعره المقدسة المسلمون من كل مكان قائلين خاشعين : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، لا شريك لك لبيك ..؟!

---

(١) اجتباكم : اختاركم لدينه وعبادته – حرج : ضيق بتكليف يشق عليكم

إن الله العلى القدير الذى جمع المسلمين فى إطار شريعته المقدسة ورسالته السامية .. هو الذى أمرنا بأن نتمسك بالوحدة ، إذ أن **وحدة الصف تقوى وحدة الهدف** . نحن حين ندعو إلى هذه الوحدة الإسلامية الوثقى ، فإنما ندعو ــ فى الحقيقة ــ إلى تنفيذ ما أمرنا به الله ورسوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ **[آل عمران : ١٠٢ ــ ١٠٤]** .

* * *

دعوة إلى الحكام العرب

حتى لا تكون الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ــ التى ندعو إليها ونؤمن بها ــ صرخةً فى الهواء .. أو مجرد قول ونداءٍ ، **نقدم هذه المقترحات المتواضعة إلى كافة ملوك ورؤساء الدول العربية قاطبة** ــ بحكم المسئولية المنوطة بالمسلمين العرب إزاء إخوانهم غير العرب :

أولا : إن تجمع المسلمين من خلال المؤتمر الإسلامى تجمع يمثل أضعف الإيمان .. لكن أقوى الإيمان هو : **الدعوة إلى رابطة للشعوب الإسلامية** .. مثل رابطة دول الكومنولث ، أو رابطة الشعوب المتكلمة بالفرنسية .. أو رابطة الشعوب الروسية ، أو منظمة الوحدة الإفريقية . ويكون اجتماع كل دورة برئاسة واحد من حكام المسلمين بالتناوب . وفى تقديرى أن منظمة المؤتمر الإسلامى لا تمثل الوحدة الحقيقية التى ينبغى أن تكون عليها الشعوب الإسلامية : سياسيا واقتصاديا وفكريا .

ثانيًا : أن يكون لرابطة الشعوب الإسلامية **مقر دائم فى مكة المكرمـــة .. أو المدينة المنورة** ، وأن يكون للاجتماع الدورى زمان محدد ، هو الأســـبوع الأول من شهر المحرم.. لما له من مكانة خاصة فى تاريخ الإسلام .

ثالثًا : أن يكون مستوى التمثيل الدبلوماسى فى اجتماعـــات الرابطـــة علـــى مستوى وزراء الأوقاف والشئون الدينية ، حتى تكون للقرارات هيبة وصدى ، ومن ثم تصبح قابلة للتنفيذ الفورى الكامل .

رابعًا : أن تقوم حكومتا كل من **جمهورية مصر العربية والمملكـــة العربيـــة السعودية بزيادة عدد الموفدين من الشعوب غير العربية لدراسة الشريعة والفقـــه الإسلامى واللغة العربية فى** جامعات الأزهر بمصر وأم القرى بمكـــة المكرمـــة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض والمدينة المنورة .. وغيرها من المؤسسات التعليمية فى الوطن العربى ــ ذات الطابع الإسلامى .

خامسًا : أن تخصص حكومةُ خادم الحرمين الشريفين **بعثاتِ حج مجانية** كـــل عام لبعض أبناء الشعوب الفقيرة والمضطهدة والتى يقل عدد المسلمين فيـــها ، لأن هؤلاء الحجاج سوف يصبحون سفراءَ للدعوة الإسلامية فى بلادهم .

سادسًا : ترجمة معانى القرآن الكريم وتفسيره إلى كل اللغات التـــى يتكلـــم بـــها مسلمو العالم. وهذا يقتضى إنشاءَ معهد للترجمة بين الشعوب الإسلامية ، بحيـــث يكون له مقر دائم وخطة عمل واضحة وميزانية مدعمة ، ويمكن لهذا المعهد فـــى مرحلة تالية أن يقومَ بدراسة **الأدب الإسلامى المقارن** .. وغير ذلك من المعـــارف التى تهم المسلمين ، وتقوى الروابط بينهم .

سابعًا : تقوية العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ، وإنشاء شبكة طـــرق برية وبحرية ، وتبادل الخبرات بين الشعوب الإســـلامية . إن وحـــدة الصـــف .. والتعاون العملى والثقافى فى جميع المجالات ، لها دور كبير وخطير فى إحـــداث التقارب المنشود بين المسلمين العرب وغـــير العـــرب . فـــهل يمكـــن أن يكـــون للمسلمين: سوق اقتصاد إسلامى مشترك ، وجامعة إسلامية تضم النابهين من أبنـــاء

المسلمين .. ومؤتمر سياسى موحد ، يضم صفوفهم المبعثرة ، ويوحد آراءهم المشتتة ؟!

لعل فى بعض هذا ما يجعلهم يقفون أمام أعدائهم وقفةَ رجل واحد ، يؤمن بالله ورسوله ووحدة أمته ـ التى هى خيرُ أمة .

الذى لا ريبَ فيه .. هو أن هذه ليستْ كل القضايا .. وليست كل الشجون .. **لكنها تدعو للتأمل والعمل** ، إذ أن الألف ميل تبدأ بخطوة . المهم أن تجد الدعوة صدى .. فأنا متفائل لأنى موقن بأن الكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة ، لا بد أن تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود : ٨٨] .

وإذا كان هذا الكتاب يدور حول سيرة الرسول ﷺ فإننا نهيب بأتباعه فى كل مكان أن يتوحدوا ، ويتمسكوا بالعروة الوثقى التى تربطهم برباط مقدس من كتاب الله وسنة رسُوله .. ندعو الله ـ مخلصين له الدين ـ أن يوحد صفوف المسلمين ، ويعلى كلمة الحق والدين ، وأن يوفق حكام بلاد الإسلام إلى ما فيه صالح المسلمين أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى جميع الرسل والنبيين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

خطبةُ الختام

الحمد لله رب العالمين .. الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، له الكبرياء والعظمة ، والسلطان والقدرة ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم رسله محمد ﷺ الصادق الأمين ، نبى المسلمين ، ورسول رب العالمين .

وبعد .. فإن هذا هو الجزء الثانى من كتاب «أولو العزم من الرسل » عليهم الصلاة وأزكى السلام . وقد دار **الجزء الأول** منه حول أربعة من الرسل المكرمين ـ عليهم الصلاة والسلام :

ـ نوح .. الرسول الأول والأب الثانى للبشرية .

ـ إبراهيم .. أبو الأنبياء ومؤسسُ الكعبة .

ـ موسى .. كليم الله ورسولُ بنى إسرائيل .

ـ عيسى .. كلمة الله ورسول النصارى .

أما الجزء الثانى : فقد أفردناه للحديث عن رسولنا العظيم محمد ﷺ خاتم هذه السلسلة النورانية من الرسل الكرام أولى العزم ، الذين بلغوا رسالات رب العالمين إلى البشر أجمعين .

ولا ريب فى أن رسالات كل هؤلاء الرسل الكرام واحدةٌ فى جوهرها ، متقاربةٌ من حيث المقاصد والغايات فى مجملها ، وهى الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى خلق الخلق ، ودبر الكون ، كما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أسبغَ على كل مخلوقاته خيراته ظاهرة وباطنة ، ليحمدوه على نعمه ، ويشكروه على إحسانه وفضله . يقول جل شأنه :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .

لكنه جلتْ قدرته ، وعظمت حكمته ، بعث لكل قوم بشيرا نذيـــرا ، حتـــى لا يكون للناس حجة بعد الرسل . وكل واحد من هؤلاء الرسل الكرام ، لم يبعـــث ـ بداهة ـ إلا بعد أن تكون الرسالة السابقة عليه ، قد تحولتْ وتبدلت ، لذلك يجـــدد الله سبحانه وتعالى ـ وهو العليم الخبير ـ الدعوةَ إلى عبادته وطاعته برســـالة جديدة ورسول آخر ، مطاعٍ ثم أمين . والرسالاتُ التالية تكون ـ بداهةً ـ أفضـل وأكمل مما سبقها ، لأن المجتمعات والحضارات ـ كما قدر رب العـــزة ـ تتغـير وتتطور . وإلى هذا تشير الآية الكريمة :

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وقد ظلت الحال على هذا المنوال إلى أن جاءت الرسالة الجامعة المهيمنةُ علـى كل ما سبقها .. رسالة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ؛ من هنا فإن رسالة الإسلام هى الصورة النقية لجوهر الرسالات السماوية كلها . ومن يبتغِ غير الإسلام دينـــا فلن يُتقبل منه . لكن الرب العظيم .. خلق الخلق ، وترك لهم حرية الاختيار ، إذ لا إكراه فى الدين ، من شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر . لكن شتان بين من اهتـدى ، ومن ضل . . بين من آمن واتقى ، ومن ضل وغوى . إن الله سبحانه وتعالى غافر الذنب وقابل التوب .. لكنه فى الوقت نفسه منتقم جبار شديد العقـــاب . إن صفـة العدل توجب ـ بالضرورة ـ الثوابَ أو العقاب ، لذلك يدعو الله عبـــاده ـ عـن طريق رسله الكرام ـ ليسارعوا إلى مغفرة من ربهم ورحمة .. على ضوء المبـدأ العادل الـذى تقـرره هـذه الآيـة الكريمـة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

اللهمَّ .. تقبل هذا العملَ خالصًا لوجهك ، وأعنِّــى علــى ذكــرك وشــكرك ، واشْملنى برعايتك ، وأدخلنى جنّتك ، وأظلنى بظلك ، يومَ لا ظلَّ إلا ظلـــك .. يــا أرحمَ الراحمين وأكرمَ الأكرمين ..!!(*)

أخيرًا .. نسأل الله التوفيق فيما يقربُ من رضاه ورحمته ، ونعوذ به من كـــل ما يؤدى إلى سخطه ومعصيته . ونصلى ونسلم على أولى العزم من الرسل ، الذين تحملوا ما لا طاقة لبشر عليه ، حتى ينشروا نور الإيمـــان علـــى مـــر العصـــور والأزمان .

المتوكل على الله أبو محمد

طه بن عمران وادي

رضى الله عنه

(*) لم نذكر قائمة المصادر والمراجع لكثرتها .. واكتفينا بإثباتها فى المواضع الخاصة بها .

مؤلــفات د. طـــه وادي

أولاً : فى مجال الدراسات النقدية

١ ــ **جماليات القصيدة المعاصرة** : المصرية العالمية (لونجمان) ــ الرابعة ــ ٢٠٠٠ .

٢ ــ **شعر شوقى الغنائى والمسرحى** : دار المعارف ــ الرابعة ــ ١٩٩٤ .

٣ ــ **شعر ناجى : الموقف والأداة** : المصرية العالمية ــ الخامسة ــ ٢٠٠٣ .

٤ ــ **ديوان رفاعة الطهطاوى** ــ جمع ودراسة : دار المعارف الرابعة ــ ١٩٩٥.

٥ ــ **الشعر والشعراء المجهولون فى القرن التاسع عشر** ، المصرية العالميـــة ــ (لونجمان) . الخامسة ــ ٢٠٠٢ .

٧ ــ **دراسات فى نقد الرواية** : دار المعارف ــ الثالثة ــ ١٩٩٤ .

٨ ــ **الرواية السياسية** : المصرية العالمية (لونجمان) ــ الثانية ــ ٢٠٠٢ .

٩ ــ **مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية**: دار النشر للجامعات ــ الثانية ــ ١٩٩٦.

١٠ ــ **هيكل .. رائد الرواية** ــ السيرة والتراث : دار النشر للجامعات ــ الثانية ــ ١٩٩٦ .

١١ ــ **شوقى ضيف** ــ سيرة وتحية : دار النشر للجامعات ــ الثانية ــ ١٩٩٧.

١٢ ــ **القصة ديوان العرب** : المصرية العالمية ــ لونجمان ــ ٢٠٠٠ .

* * *

ثانيًا : فى مجال الإبداع الأدبى

١ ــ **الليالى .. سيرة ذاتية (جــ١)** : مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩١ .

٢ ــ **عمار يا مصر** : مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩١ .

٣ ــ **الدموع لا تمسح الأحزان** : مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩١ .

٤ ــ **حكاية الليل والطريق**: مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الثالثة ــ ١٩٩٢.

٥ ــ **دائرة اللهب** : مجموعة قصصية ــ مكتبة ــ الثانية ــ ١٩٩١ .

٦ ــ **العشق والعطش** : مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الأولى ــ ١٩٩٣.

٧ ــ **صرخة فى غرفة زرقاء** : مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩٦.

٨ ــ **الأفق البعيد** : رواية ــ مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩٢ .

٩ ــ **الممكن والمستحيل** : رواية ــ مكتبة مصر ــ الثانية ــ ١٩٩٢.

١٠ ــ **الكهف السحرى** : رواية ــ مكتبة مصر ــ الأولى ــ ١٩٩٣ .

١١ ــ **فى البدء تكون الأحلام** : خواطر ومقالات أدبية ــ الهيئة المصرية ــ الأولى ــ ١٩٩٥ .

١٢ ــ **عصر الليمون** : رواية ــ مكتبة مصر ــ الأولى ــ ١٩٩٨ .

١٣ ــ **رسالة إلى معالى الوزير** : مجموعة قصصية ــ مكتبة مصر ــ الأولى ــ ٢٠٠٠ (تُترجم إلى الإنجليزية) .

١٤ ــ **أشجان مدريد** : رواية ــ مكتبة مصر ــ الأولى ــ ٢٠٠٢ (تترجم إلى الإسبانية) .

* * *

ثالثا : فى مجال الدراسات الدينية

١٥ ــ **أولو العزم من الرسل** : مكتبة مصر ــ الثانية ــ ٢٠٠٣ .

١٦ ــ **المسلمون فى العالم** : تحت الطبع .

* * *

رابعا : أعمال أدبية مترجمة إلى الإنجليزية

1 - **The Distant Horizon** : Novel - Translated By:
Dr. Hala al-Borollosy, Egyption Book Organaization, Cairo-1997.

2 - **Desire and Thirst** : Short Stories - Translated By:
Dr. Abdel-Moneim Ali, Egyption Book Organaization, Cairo - 1997.

الفهــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثالث

مُوسى .. كليم الله ورسول بنى إسرائيل

الفصل الرابع

عيسى .. كلمة الله ورسول النصارى

الجزء الثانى

محمد الرسول والرسالة

المبحث الأول : من المولد إلى الوحى

المبحث الثانى
من البعثة إلى الهجرة

المبحث الثالث
من المدينة إلى العالم

المبحث الرابع
الأعلام .. والصفات

المبحث الخامس

الرسالة .. معجزةُ الرسول

خـاتـمـة

الإسلام .. دين السلام

* * *

رقم الإيداع : ٧٤٨٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : I.S.B.N.: 977 - 17 - 1472 - 7